المجلس الأعلى للثقافة

لا تنسنى

تأليف

مريم جعفرى

ترجمة

هويدا عزت

مراجعة وتقديم

بديع جمعة



المشروع القومى للترجمة

456

رواية

المشروع القومى للترجمة

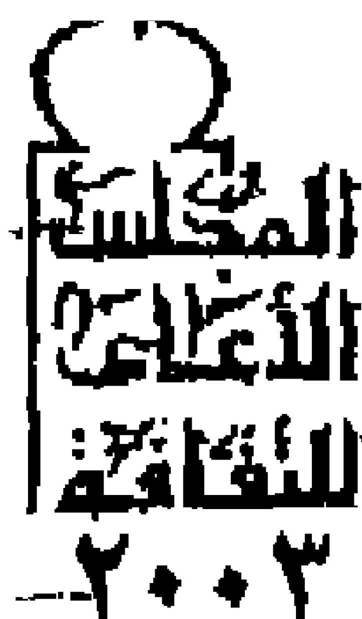
لا تنسنى

(روايـــة)

للكاتبة الإيرانية : مريم جعفرى

تـرجـمـــــــة : هويدا عزت محمد

مراجـعـــــــة : بديع محمد جمعة



المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٤٥٦
- لا تنسنى
- مريم جعفرى
- هويدا عزت محمد
- بديع محمد جمعة
- الطبعة الأولى ٢٠٠٣

هذه ترجمة لرواية :

فراموشم مكن

الكاتبة الإيرانية : مريم جعفرى

الناشر : انتشارات بل - طهران

عام النشر : ١٩٩٩ م

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 **Fax** : 7358084.

المقدمة

هذا بحث أتناول فيه بالترجمة والدراسة رواية فراموشم مكن – لا تنسني – للكاتبة المعاصرة مريم جعفرى ، وإحقاقًا للحق إن السبب الأساسي وراء اختيارى هذه الرواية بعينها هو تأثرى الشديد بها منذ بدأت فى تصفحها لمجرد القراءة العابرة فقط ، ودون أن أبيت النية على تناولها فى بحث مستقل . وقد توهمت فى الوهلة الأولى أن الكاتبة من النوع الرومانسي سوف تتناول موضوعًا يتعلق بمحور ذاتها ، أو أنها تقدم نموذجًا يتعلق بعالمها كامرأة ؛ فموقع المرأة على خارطة الوجود الإنساني بأبعاده الإنسانية والاجتماعية والتكوينية الجسدية والأعراف المحيطة بها والموروث التاريخي الذى تحمله يوجه نظرها فى اتجاه خاص ، ويجعل مساحتها الإبداعية موزعة تجاه محاور خاصة ، إلا أننى – وبعد سطور قليلة – أدركت أن الكاتبة قد تجاوزت هذه المرحلة ، وعايشت تجربة إنسانية بعينها، ولم يكن من الضرورى أن تكون قد عانتها بنفسها ، وعرضت لنا طبقًا لمنظورها ورؤيتها موضوعًا اجتماعيًا كان محوره الرجل ، وعبرت من خلاله عن سلوك كثير من أهل بلدها أرادت أن تنعى عليهم موقفهم فى مسألة ما ، ألا وهى شغفهم الشديد بالسفر إلى الخارج والزواج من أجنبيات .

هذا وسوف أتناول البحث على قسمين : أولهما أعرض من خلاله الترجمة العربية للرواية كاملة ، أما القسم الثانى فسأتناول من خلاله القصة بالدراسة التحليلية النقدية ، لنرى إلى أى مدى أجادت الكاتبة فى التعبير عن عالم الرجل ، وإلى أى حد وفقت فى عرض أفكارها

بما يخدم غرضها الأصلى فى إطار هذا العمل الدرامى ، ثم أنهى البحث بالخاتمة ، وأتبعها بملحق يتضمن الألفاظ والمصطلحات العامية التى أوردتها الكاتبة على لسان أبطالها ، وأتمنى من الله العلى القدير أن يوفقنى إلى ما فيه الصلاح .

المترجمة

القسم الأول

الترجمة العربية الكاملة

لرواية لا تنسنى

الفصل الأول

إننى أخشى الوحدة، ولا أريد أن أختلى بنفسى وأفكر فى الماضى. أتخيل فى الوحدة بأن شخصًا ما يقوم بتأنيبى دون توقف، ويذكرنى بأننى السبب فى كل هذه التعاسات.

من الحماقة أن يدمر شخص أساس حياته بيديه، ولكننى كنت من الحماقة بذلك القدر الذى جعلنى أدمر حياتى عن جهالة وعدم وعى، ووقفت أتابع انهيارها. البعض يقول إن الرفاهية الزائدة عن الحد تكون داعيًا لهذه الأخطاء، والبعض يعتقد أن رجاحة العقل ليست بالسن؛ فأحيانا يمكن لطفل فى الخامسة من عمره أن يفهم أكثر من شيخ يبلغ السبعين، وهذا ما يصدق علىّ، فأنا لا أستطيع أن أسمى ما قمت به سوى أنه دربٌ من الجنون!

لا أريد ولا أستطيع أن أتهم الآخرين بالتقصير، حتى فى هذه اللحظة التى أشعر فيها بوحدة موحشة فى حجرتى الصغيرة، صار عملى التحديق فى أبواب هذا المنزل وجدرانه القديمة والتفكير فى الماضى!

لا أستسيغ طعم ذكريات الماضى بما فيها من مرارة؛ لذا أسعى دومًا لأقلل من تكدير نفسى؛ فجميع تلك الأحداث تتوالى أمام عينى مثل شريط فيلم وتعكر صفوى، حتى فى منامى ليلاً، رغم تناولى للأقراص المهدئة!

أستيقظ فى منتصف الليل، وأنظر إلى تساقط قطرات أمطار الربيع على زجاج حجرتى، ويقع صوت هطول المطر الهادئ علىّ، وكأنه صوت مطرقة مزعج تدق رأسى، لمَ؟!

دائما ما يتردد مثل هذا السؤال في ذهني مثل الديالوج المكتوب: لم ؟! لم يجب أن أكون على هذا النحو ؟ وفي النهاية لا أعلم عمرى! ففى خريف هذا العام أتم السابعة والثلاثين . إذن لمَ ترتعد يداى ؟ ولمَ أفقد السيطرة على أعصابى عند سماع أقل صوت ؟ أحيانًا أخشى ، لا قدر الله ، بأنه ليس هناك فاصل بيني وبين الجنون، ولكنني أضحك من بعد على أفكارى !

أتعلمون ؟ إن مشكلتي هي أنني لا أستطيع أن أختلي بنفسي، لا أستطيع أن أتقبل أحداث الماضي على أنها أمر واقع ، مع أنني المتسبب الأول فيها ، أريد أن أتخيل أن كل شيء حدث كان كابوسًا ! لكن المشكلة هنا هي أنني لا أستطيع حتى أن أكذب على نفسي ، أنا رجل غير طبيعي.

إن الحياة مسألة صعبة ومعقدة ؛ فالجميع يتعجلون الإنجاب والدخول في المشاكل ، وقد رأيت هذه التجربة بعيني ؛ فالأم قلقة ، والأب متلهف ، والطفل يلهث للقدوم إلى الدنيا ! الجميع يتعجلون ! لكن لِمَ كل هذه العجلة ؟ أهي من أجل الدخول في المشاكل ؟! بمجرد أن يُسمع أول صوت لبكاء الطفل ، يضحك الجميع ، ويق[illegible] ويتبادلون التهاني ! أهذا كله بسبب إضافة شخص اخر إلى البشر المعذبين ؟! تقول أمي إن الخلق يأتون إلى الوجود كي يعذبوا ويواجهوا المشاكل . هذا هو قانون الحياة، وإن انعدم ذلك تصير الحياة هباءً لا معنى لها !

أحيانًا أتخيل أن أمي تتحدث إلى الباب وينصت إليها الجدار، ولكنني أتوجه إليها، وحينما أنظر إلى عينيها أشعر بالحزن من أجلها وبالشفقة من أجلي ، وبمجرد أن تراني تذرف عيناها الدمع، وتتصاعد منها آهة خافتة لاشعورية، وتهمس قائلة : أحمدك يا إلهي !

لا أريد أن أكون جحوداً ، ولكنني لا أستطيع أن أفهم لم تكرر هذه الجملة كلما رأتني ؟ هل أنا أسوأ حظًا منها ؟ أحيانًا أحدث نفسي ، هل هي أسوأ حظًا مني بما عانته في الدنيا ؟ تصيح أمي أحيانًا على هذا النحو: حرك لسانك يا ولدي ، ماذا حدث لك ؟ لعلك أصم أو أعمى؟ أم أصابك الفلج أو الخرس ؟

وكنت أضحك على أمي، وأقول لنفسي : ليت كل شيء كان سببه الصمم أو العمى ؟ ربما يجب على المرء أن يصاب بالفلج كي يصدق بأنه سيئ الحظ ، فأنا الآن أقضي أيامًا عديدة تكون فيها الأيام الصماء لدي أيام ملك.

الأم تعتقد أن أفظع ألم هو فقدان الصحة ، وأنا أقول لنفسي : ليتني كنت مصابًا بالفلج ولم أذهب إليها . ليتني كنت مصابًا بالعمى ولم أرها . ليتني كنت أبكم ولم أسمع شيئًا من حديثها ، ذلك الحديث الخادع الشبيه بترنم الأشجار الخضراء وقت الربيع .. آه ، أي عالم هذا الذي صنعته لنفسي ، أي أحلام تلك التي أجعلها تجول في رأسي ، وأي آمال أضعتها هباء ، لقد ضاع شبابي أدراج الرياح، وكذلك سعادتي ! والأهم من هذا كله فرصتي ! ضحيت بهذا كله بسبب غروري وأنانيتي ، والآن أتجرع الهزيمة والانكسار ، وأنا خالي الوفاض ، أرى النصر أمامي يضحك عليَّ !

كيف يصبح المرء هكذا مقصراً في فكره ؟ لم أصغ إلى حديث أي شخص ، ولم أطلب العون من أي شخص أثناء سلوكي هذا الطريق . كنت دومًا أمتطي جواد غروري المتمرد وأسير بلا هوادة ! وحينما أنظر إلى من هم في نفس سني أرى كل شخص وقد كون حياته ، وصار له عدة أطفال في مراحل العمر المختلفة ، ومعظمهم بدأ من الصفر خالي الوفاض ! ولكن بقلب يخفق في الصدر على ذكرى معشوقه .

تقول أمي : إن الحب يحقق الاستقرار للرجل حينما يعلم أن شخصاً ما لا يقر له قرار في المنزل من أجله ، وينتظر قدومه ، ويترقبه، ولكن ما من أحد في المنزل ينتظرني . ما من شخص يترقب في قلق عبر النافذة قدومي. حينما ينتصف الليل وألقي بالمفتاح في الباب وأدخل إلى الفناء أواجه مبني يغلب عليه الصمت والظلام ، ويبدو لي ببنائه القديم وتلك الأعمدة الأسمنتية بأنه وحش مرعب .

إنني أتأذى من الليل ، ولكنني مضطر للمكوث في المنزل حتى الغروب هرباً من كلام الناس ، وبعد أن يحل الظلام أخرج من المنزل . شيء مضحك أن أكون رجلاً وأحبس نفسي في حجرة صغيرة مثل النساء . ووالدي على الرغم من كونه في مرحلة الكهولة، إلا أنه يحتفظ بحميته القديمة ، فهو يتوكأ على عصاه في صلابة، ويقول في نبرة حادة: ولدي ، لتكن رجلاً ، ابتلع همك وحزنك وانتظر ما هو سيئ ؛ فمن العار علينا أن يلزم رجلاً الدار بسبب كثرة المشاكل .

يجب أن أعترف إذا ما عقدت مقارنة أن أبي أشد قوة مني ، فلو كان لديّ ما لديه من مشاكل لكنت قد أبليت في سبعة أكفان . إنني أجهل ما بداخله ، لكنني أعلم أنه تحمل عذابات العالم بأسره ، إلا أنه حتى الآن ومع تجاوزه السبعين من عمره ، لم ترتسم علامة تبرم على جبهته. في ذلك الوقت ، الذي أنظر فيه إلى نفسي في المرآة ، أندهش بشدة من اضمحلالي. وإذا ما رغبت في التفكير في سبب هذا الاضمحلال ، أضطر للعودة إلى السنوات الماضية ، إلى الثمانية والثلاثين عاماً والستة شهور الماضية ، حينما ولدت في أحد أركان هذا المنزل ؛ فقد كنت آخر الأبناء في الأسرة ، وقد حملت أمي فيّ دون أن تهتم بتحذير الطبيب بسبب مرضها بضغط الدم والسكر ، وكان والدي يرغب في إنجاب مولود ذكر؛ لأن الثلاثة أطفال الذين سبقوني كانوا

إناثًا ، وقد اشترت الأم هذا الخطر بروحها ، لكي تحقق لوالدى أمنيته ، لكن هذا الخطر أدى إلي موتها بعد ولادتي بساعة واحدة !

لا أدرى ، لعلني كنت قدم شؤم ، والدليل على ذلك أن أخواتي ترددن ذلك على مسامعي عندما يشعرن بالغصة لفقدهن الأم ، إنهن يعتقدن أن حالهن قد يكون أفضل لو كانت الأم على قيد الحياة ، ولكني أعتقد أنهن يبالغن في هذا ، ويغبطنني لمحبة أبي لي . ومن الإنصاف القول بأن والدى طوال هذه الأعوام لم يبد أى تقصير تجاهى ، ومن فرط ارتباطه وحبه للولد كان يحقق لي كل ما أبغيه .

بعد وفاة الأم عانينا كثيراً من الوحدة ، كانت اثنتان من أخواتي قد بلغتا سن الزواج ، بينما كانت الثالثة في الحادية عشرة من عمرها ، ولم يتعد عمرى بضعة شهور، وبعد مرور أربعين يومًا على وفاة أمي ، اجتمع كبار العائلة وتحدثوا مع والدى . كانوا يعتقدون في وجوب زواج أبي مرة أخرى لأنني كنت صغيراً جداً ، ولم يخضع أبى فى البداية لمطلبهم ، ولكنه وافق في النهاية تحت إلحاحهم ، وكان يتمتع بوضع مالي جيد ، لذلك كانت الكثيرات من النساء على استعداد للزواج منه ، لكن أبى كان يدقق في الاختيار حتى وجد زوجة في النهاية كانت على قدر كبير من الإيمان والعفاف تدعى زينت، وكانت قد طلقت من زوجها السابق بسبب عدم قدرتها على الإنجاب، وشملتنى بحبها وحنانها وربتني كإبن حقيقى لها ، لكن المشكلة الحقيقية هي أن أخواتي كن يكرهنها بشدة ، فلم يتمكنّ من قبول امرأة أجنبية كي تحل محل والدتهن ؛ لذا وضعن أساس العداوة بينهن وبينها ، أثناء ذلك كان والدى يميل إلى جانب زينت ، لكن تأييده لها لم يكن بشكل دائم ؛ فهو من ناحية يواجه امرأة لا ذنب لها ، ومن ناحية أخرى يواجه أطفاله ! وعلى الرغم من عدم توافق أخواتي مع زينت ، إلا أنها كانت تتسم بالجلد والصبر ، وكانت تتفهم أن تصرفهن

هذا أمر طبيعي، وكان يحدوها الأمل بأن سلوكهن معها في المستقبل سيصير إلى الأفضل . أما أنا فقد تقبلتها كأم لى ، وكبرت فى ظل رعايتها ومحبتها ، وكنت أنا الوحيد الذى يناديها بكلمة أمى ، وأقسم أننى حينما أناديها بهذه الكلمة حتى الآن تدمع عيناها ، إننى أتذكر محبتها لي جيداً ، فقد لازمتنى منذ مرحلة الطفولة ، وكانت تداعبنى بأعذب كلمات الأمومة ، وتقول لى : أنت أملى يا أرسلان !

وجدير بالذكر أن أخواتى كن يلومنني كثيراً ، ويطلبن منى أن أناديها باسمها، لكنني كنت قد اعتدت ، ومن ناحية أخرى ، كنت أحبها بالفعل حبًا شديداً . وبعد مضى خمسة أعوام على زواجها من أبى ، تزوجت أختاى ، وبقيت أنا فقط وأختى الثالثة التى كانت تريد استكمال دراستها ، ويجب أن أعترف أنها كانت أكثر الأخوات تعرضًا لزوجة أبينا بالأذى.

كانت لا تكترث بكلامها ، ودومًا تضع رأسها برأسها ، وقد بلغ بها الأمر أن تشوه صورة زينت لدى والدى ، ولكى تصل إلى هذا الهدف لم تتورع عن اختلاق الأكاذيب ، لكن زوجة أبى كانت دومًا تلزم الصمت، وحينما كان يرغب أبى فى معاقبة أختى بسبب ما تختلقه من أكاذيب، كانت هى التى تتصدى له . فى الحقيقة لقد كانت تتسم بالحب والحنان كالأم الحقيقية تماما ، وعلى الأقل كانت هكذا بالنسبة لى .

وقد امتزجت تربيتى بصبرها وجلدها وكبرياء أبى وعصبيته . ومن وجهة نظرى أنه مع ما لأبى من هذا الكبرياء، إلا أنه كان يحتضننى ويرعانى بالقدر الذى كان يثير حسد أخواتى .

ولا ريب أنه لم يقصر معهن، فقد قام بتجهيزهن على أكمل وجه، وسمح لكل منهن باستكمال دراستها بقدر المستطاع ، ومنحهن الحرية فى

اختيار أزواجهن ، بيد أنهن لم يوفقن في حياتهن ؛ فزوج إحداهن تركها بعد عشرة أعوام من الحياة التعيسة ، وزوج الأخرى كان يغير عمله كل عام ، ولا نعلم حتى الآن أى عمل يقوم به ، والأخت الثالثة تزوجت من أحد المهندسين ، وسافرت إلى الأهواز ، وقد قام أبى برعاية أختى المطلقة، وبعد فترة زوّجها من أحد التجار المرموقين.

أثناء ذلك كانت زينت بجوارهن في جميع مراحل حياتهن كأم حنون، سواء أثناء حملهن أو أثناء ما يعتريهن من مشاكل ، فكانت تتحمل جميع مشاق الأم الحنون ولا تزال حتى الآن ، ولكن على الرغم من ذلك لم يكن يتقبلنها كأم .

أحيانا يحترق قلبى من أجلها ، ولكننى أتذكر بعد ذلك أننى أسوأ حظًا منها.

فأنا أحتاج لشخص يحترق قلبه من أجلى . لقد سئمت من هذا الحديث المتكرر، سئمت من أن أسمع دومًا عبارات : انس كل شىء ، إنك لا تزال شابًا ، لا تزال الفرصة لديك !

إننى أرتاب في الجميع ، أعتقد أنهم جميعًا يقومون بخيانتى . لم أستطع أن أضع ثقتى فى شخص مرة أخرى . وعلى هذا النحو يتضح أن لى مشكلة مع نفسى ، أشعر وكأننى كائن بلا هدف ، وهذا ما يجعلني أشعر بالكهولة . لقد مررت بتجارب مريرة، ويفترض أن أكون قد صرت كالفولاذ المصقول ، ولكننى أريد أن أكون وحيداً . لا أرغب ثانية فى أن أفسح الطريق لشخص قط إلى قلبى . لقد دفنت قلبى فى هذه الأرض الغريبة. أتريدون الحقيقة ؟ إننى أحب أن يجاملنى الجميع ، ولكن ما الفائدة ؟ فقد مضت بى الأحداث، ولم يكن تذكرها يجلب لى سوى الغم والحزن .

الفصل الثانى

مرت السنون ، والتحقت بالمدرسة ، وسرعان ما أنهيت المرحلة الابتدائية ، والتحقت بالمدرسة الإعدادية ، وينبغى أن أوضح أننى كنت أعتقد أنه ما أن توفرت الإمكانيات المادية بشكل جيد ، فلا داعي للاهتمام بالدراسة ، ولولا توسلات الأم والخشية من أبى لما حصلت على الدبلوم ، فدومًا فى نهاية كل عام تكون شهادتى مملوءة بالملاحق التى يُعلم عليها بالقلم الأحمر ، وكان أبى يستدعى المدرسين الخصوصيين إلى المنزل ، لكي يحصل ابنه الوحيد على الدبلوم على الأقل ، وكان يقول لهم بنبرة قاطعة : لا نقاش فيما تطلبون من نقود ، أريد النجاح فقط فى شهريور .

تريدون الحق ؟ كنت أعتقد أنهم قد صبوا نشارة المبرد فى رأسى بدلاً من العقل ، وكنت أريد فقط أن أكون سعيداً ، ولا ريب أن العديد من الأصدقاء كانوا يلتفون حولي – لما لدى من نعم وجود – تمامًا مثلما يلتف الذباب حول الحلوى .

أتذكر أن أبى كان يلوح دومًا بعصاه فى الهواء، ويصيح قائلاً : "يابنى ، خليك راجل ، إمتى هتبقى راجل ؟ ! أنا لما كنت قدك كانوا بيدوَّروا لى على زوجة ! "

وكنت أقول له بأسلوب ساخر : كويس ، لو كنت مضايق دوَّر لى على زوجة . وعندئذ كان أبى يطاردنى ، وعلى الرغم من إدراكى أنه لن يستطيع اللحاق بى إلا أننى كنت ألوذ بالفرار ، ويجب أن أعترف بأننى كنت أخشاه .

أتذكر إحدى الليالى التى ذهب فيها والدى لزيارة أحد أصدقائه ، ولم يكن فى المنزل سوى زوجة أبى ، فأحضرت بعض أصدقائى إلى المنزل، وأعدت زينت العشاء لنا ، وبعد أن شبعنا انهمكنا فى اللهو والتهريج برعونة ودون مبالاة ، فقام سعيد – أحد زملائى فى الفصل – بالعزف ، وقام آخر بالغناء قائلاً :

"منقولش بعوضة ، متقولش بعوضة ، دى ليها ناب ٦٦٦، ليها من ثلاثة لستة" .

وبينما نحن منهمكون فى التهريج ، فتح الباب فجأة ، وظهرت قامة والدى الفارعة أمام عتبة الباب ، وتوقف ريق الأطفال فى حلوقهم .

وكان أبى قد أنهى زيارة صديقه وعاد إلى المنزل ، ولم أكن أتوقع أصلاً رؤيته ، وما أن اقترب مني حتى فضل الأطفال الفرار على البدا... وتركوني بلا إنصاف لعصا الوالد وحيداً . لم أتذكر كم ضربة مؤلمة أخذتها إلى أن جاءت زينت لحمايتي ، وكان والدى يكن لها احتراماً خاصاً ، وكانت لي فى ذلك الوقت – وكعادتها – درعاً يتلقى عني العقاب ، إنها لم تحاسبنى قط ، إلا أن تلميحاتها كانت حارقة كالطلقات النارية.

كان الأطفال دوما يسخرون بسبب رهبتي وخشيتي من مثل هذا الوالد ، ويقولون لي : يا عبيط ، لو ما خفتش منه مش هيحصل حاجة ، ده عجز ، لكن إنت كبرت !

لكنني كنت أكن له دوماً كل احترام ، ولم أستطع أن أنظر قط فى عينيه مباشرة ، حتى حينما كنت أستعض غضباً وأتكدر، كنت أعلم أن وراء تلك النظرة القاسية قلب رؤوف قلق على ، وكيف يمكنني الشعور بغير ذلك؟ لقد فعل من أجلي كل ما يمكن أن يقوم به أى أب لابنه ، وعليه لا أستطيع أن أكون جحوداً .

والكثير من أصدقائى كانوا يسعدون لإمكانياتى المادية ، فقد كانت المشكلة الأساسية لأكثرهم تتمثل فى ضيق ذات اليد . وعليه كانوا يقولون لى فى أسى كلما رأونى : نعم ! فلتضحك يا أرسلان ! لو كنا مكانك لتعالت ضحكاتنا . أتعلم ماذا يعنى وجود المال فى الجيب ؟ يعنى أنه كلما رغبت فى المال كان طوع يديك ! فقط نحن نتعجب لِمَ لا يغير والدك داركم هذه رغم امتلاكه لكنز قارون ؟

كنت أعتقد دومًا أنهم على حق ، فأبى لم يكن على استعداد كى يتخلى عن منزل آبائه وأجداده ، كان يقول : لقد ولد أبى وأنا وأنت فى هذه الدار، وفيها تزوجت من والدتك ، وكانت ثمة أشياء أخرى مهمة بالنسبة له ولا تزال ! وعلى كل حال ، وعلى الرغم من سوء الحظ الذى كان ، إلا أننى حصلت على الدبلوم ، وكان هذا من وجهة نظرى أننى أنجزت عملاً عظيماً، وكنت سعيداً لأننى استرحت من شر الدروس، وأستطيع الآن أن أقضى كل أوقاتى فى اللهو ، لكن هذه السعادة لم تدم طويلاً ؛ حيث إننى سئمت النوم والأكل والتجول فى الشوارع ، وكان جميع أصدقائى إما مشتركين فى مسابقات للالتحاق بالعمل أو يعملون بالفعل فى مهنة ما . وبناءً عليه فقد أصبحت وحيداً ، فلم أكن أحب الدراسة ، ولم يكن لى صبر على عمل . كنت أتجول فى الشوارع من الصباح حتى الغروب وأشاهد المحال . لا ريب أننى كنت قد سئمت البطالة ، ولكن ما من عمل قد استهوانى ، حتى عمل والدى ، فكان [illegible] أولاً أننى لن أتفق مع أبى ، ثانيًا لم تكن لى صلة قط مع جميع [illegible] الذين فى نفس عمرى ممن يعملون عند والدى ، وكانت النتيجة أننى رفضت اقتراح والدى ، وقلت فى ردى عليه : إننى أسعى للعمل فى مكان آخر .

لكن الواقع كان شيئًا آخر ، فكنت أسعى للحصول على عمل سهل ذى دخل وفير ، وهذا ما [illegible] يتيسر . وفى النهاية – وبعد مرور عام على

تخرجي – أخذ والدى يصيح فى إحدى ليالى الصيف : إلام يا ولد تريد أن تظل عاطلاً تأكل من جيبى ؟ يجب أن تفكر فى مستقبلك ، لقد بلغت العشرين من عمرك ! يجب أن تكون عصا شيخوختى . إلام أستطيع أن أضع الأموال في جيبك ؟ لعلك صغير! ألم تبلغ حتى الآن ؟ لقد قلت لى إنك لا ترغب ثانية فى استكمال دراستك ، وقلت : لا عيب فى ذلك ، لعلك تفكر فى العمل لتصبح رجلاً ! وكنت قد أسعدت قلبى لأن لى ولداً ، ولكن هيهات !

وكالعادة كانت زينت – التى كنت أحبها كأمى – تقوم بالدفاع عنى بصوت حنون قائلة : لا تتكدر يا أيوب أفندى ، فلتمنحه فرصة ! إنه لا يزال شاباً ! يريد أن يشق طريقه ، سوف يكبر ، ويصير رجلاً مهماً ، وسيكون عصا يدك ، وباعثًا لفخرك !

باعث للفخر ! أى لفظ مضحك هذا ؟ من أنا ؟ ما الذى أملكه أصلاً كى أفتخر به ؟ فربما يجب أن أفتخر بأننى أخطأت أكثر من أى شاب إيرانى؟! أفتخر بأننى تعديت حدود الإنسانية ، ولم أنظر حتى إلى نهايتى ! أريد أن أقتسم حمل أخطائى مع شخص ما ، أريد أن ألقى بنصفها على عاتق والدى ووالدتى .

على عاتق والدى ؛ لأنه كان يمنحنى المال دون حساب ، وعلى عاتق والدتى ؛ لأنها كانت تدافع دوماً عنى ، وكانت ترانى أعظم مما كنت. لقد كنت شاباً ، والدنيا كانت لدىّ مكاناً للهو ، وكانت الحياة فى عينى مزحة جميلة ، وكان والدى بثروته التى لا حصر لها وسيلة لتحقيق اللذة فى حياتى !

كانت أمى تعتقد أننى إذا ما تزوجت سوف ينصلح حالى ، وكان أبى معارضًا لها تمامًا ، وكان يقول : هذا الولد العاطل لا يستطيع أن يدبر نفقات نفسه ، فكيف يتسنى له إدارة أسرة ؟

أتريدون الحقيقة؟ إننى كنت مستاءً دومًا مما يفعله الأب ، ولكننى حينما أفكر الآن أرى أن الحق كان معه، ولكن الأمان من يد النساء !

وظلت زينت تردد هذا الحديث على مسامع أبى حتى وافق هو أيضًا ، وكانت مهمتى واضحة ، ففي الواقع كنت أميل بشدة إلى التنوع، وكنت أتخيل أنه سيصبح لى هدف محدد بعد الزواج . لا أعلم ، ربما كانت أمى تريد بهذه الطريقة أن تتخلص من شرى ، ومهما كان الأمر فلم يكن هذا هو الحل المناسب ، لأننى كنت قد أتممت مؤخراً الحادية والعشرين من عمرى ، وكنت لا أزال أتحسس خطاى ، ولم أكن على استعداد أن أشارك أحداً فى أحاسيسى ، ولكن على أية حال فقد لبست أمى عباءتها ، وظلت تبحث عن فتاة مناسبة ، كانت تسأل كل شخص ، وتوصى كل شخص ، حتى وجدت لى فى النهاية فتاة نجيبة من عائلة . وإنصافًا للحق كانت الفتاة جميلة أيضًا بالإضافة إلى خبرتها فى الفنون وإدارة المنزل ، كنت أعتقد أحيانًا أنها كانت تفوق ما كان فى خيالى . أول مرة نظرت إليها وقعت فى عشقها ، وسحرتنى لمعة عينيها ، وارتضيت اختيار أمى ، وكان جوابى على سؤالها : كيف الحال ؟ أتعجبك ؟ هو السكوت والابتسام . وسرعان ما تمت ترتيبات عقد القران والزواج . وأبى الذى كان يعلم وضع عملى ، وعد والد زوجتى أنه سيجعلنى أقيم معه ، وترك لى بالفعل الطابق الثانى فى المنزل ، وكان دومًا يشير علىّ بأن أذهب إليه وأعمل معه.

من ناحية أخرى سرعان ما أصبحت صاحب أسرة تتكون من شخصين ، إذن ينبغى أن أستعيد نفسى فى أقرب وقت ، وقضيت فترة فى إحدى ورش النجارة ، لكننى تركتها بعد ذلك . كنت أعتقد أن هذا العمل شاق للغاية بمقارنته إزاء ما أحصل عليه من راتب . لا ريب أن الخطأ لم يكن منى ؛ فطوال حياتى لم أتحمل أية معاناة ، وعليه كانت جميع الأعمال شاقة من وجهة نظرى .

وبعد ذلك قضيت فترة من البطالة حتى قابلت في أحد الأيام واحداً من أصدقاء المرحلة الإعدادية ، وقد دعانى لتناول الآيس كريم معه ، وحين سمع بأننى قد تزوجت تعجب بشدة ، وقال :

- أنت اتجوزت ؟ أنا لا أستطيع أن أصدق ما سمعته .

- أيوجد لدى عيب ؟

- طبعًا ، لو لم تتزوج أنت بهذه السرعة ، هل أتزوج أنا ؟! فأنت تملك المال ، تملك الدار والسيارة ، فماذا تريد بعد ذلك ؟

فابتسمت بسخرية وقلت : أي مال ؟ وأى سيارة ؟ أى دار ؟ الدار التي هى ملك لأبى ؟ السيارة أيضاً ملك له امنذ أن زوجونى لم يقدم لى ريالاً واحداً، فهو يعتقد أننى يجب أن أدير حياتى بنفسى ؛ فقال صديقى الذى يدعى سيروس : وماذا تفعل فى الوقت الراهن ؟

- لا شىء ، أتجول فى الشوارع .

- وما عملك إذن ؟

- إننى أبحث عن عمل .

- أى عمل تعرفه ؟

- لا شىء ، ولكن سرعان ما أتعلم .

- ألم تشتك زوجتك ؟

- إنها ما زالت صغيرة ، وفيما يبدو أنها قانعة .

- لكنها فى النهاية زوجتك ، شريكة حياتك ، يبدو أنك بفكرك هذا أصغر منها ! إن خطأك أنك تزوجت مبكراً ، وأنا فى حيرة ، كيف زوجوك من الأصل ؟ إنهم لا يزوجوننا لثرائنا أو لثراء آبائنا ! سأتوجه

إلى أصدقائنا القدامى لأبحث لك عن عمل ، وأمعنت النظر إليه وسألته : أى عمل ؟ فقال سيروس : فى الحقيقة فى أحد معارض الملابس الذى أعمل به بائعا للأحزمة ودبابيس أربطة العنق ، وعلى حد علمى أن البعض يحتاجون لمثل هذه الأشياء .

وقلت وأنا فى غاية السعادة لعثورى على مثل هذا العمل : أوافق. قال سيروس : يجب أن يوافقوا هم عليك ، ويجب عليك أن تبدى جدارة ، ومن الأفضل أن تعلم أن هذا العمل - على عكس ما يبدو- ليس عملاً سهلاً. قلت : اطمئن ، سيمكننى القيام به . قال سيروس : حسنًا جداً ، إذن فلتحتفظ برقم تليفوننا وعنواننا ، ودونت العنوان ورقم التليفون الخاص بالمعرض فى مفكرتى الصغيرة ، وتركت صديقى وأنا فى قمة السعادة .

الفصل الثالث

في صباح ذلك اليوم ارتديت أفضل الثياب وسلكت طريقي إلى المعرض ، وألحقني صاحب المعرض بالعمل بعد حوار دام قليلاً ، وعملت بائعًا في هذا المكان ، وكنت أشعر أن هذا العمل سيكون مناسبًا لميولي. كنت أجلس منذ الصباح وحتى الغروب خلف منضدة أتحاور مع المشترين، محاولاً إقناعهم بأن هذه البضائع من الأنواع الراقية ، وفي المقابل كنت أحصل على نسبة من كل قطعة أقوم ببيعها ، وكانت الأمور تسير على ما يرام حتى ذلك اليوم الذي رأيت فيه أحد أصدقائي القدامى كان قد جاء إلى المعرض لشراء "بنطلون" ، وسعد كل منا لرؤية الآخر ، وتحادثنا لفترة من الوقت ، وقال وهو يتخيل أن هذا المعرض خاص بي :

– يا للعجب ، إيه العظمة والأبهة دي كلها !

فقلت بابتسامة تملؤها الحسرة : هذا ليس ملكي ، إنني بائع هنا. وحتى أغير الموضوع ، سألته : ما هي طلباتك ؟ أتريد أن أحضر إليك بنطلونًا ؟! وقال لي طلبه ، وأحضرت له البنطلون الذي أعجبه واشتراه ودفع ثمنه ثم تركني ، ومر أسبوع على لقائنا ثم جاء مرة ثانية لزيارتي ، وهذه المرة لم تكن بنية الشراء ، فقد جاء مع اثنين من أصدقائه حتى نتحدث سويًا ، وقد ظلوا معي ما يقرب من الساعة أو الساعتين ، أثناء ذلك ، وبينما أنا منهمك في حديثي معهم ، كان صاحب المعرض يقوم بعملية البيع مع المشترين بدلاً مني . ووقت الغروب حينما رغبت في العودة إلى المنزل ، قال لي سيروس : انظر يا أرسلان ، إن صاحب المعرض مستاء من هؤلاء الصبية الذين التفوا حولك ، إنه يقول إنك كنت

مشغولاً بالحديث معهم طوال فترة الظهيرة ، ولم تهتم بعملك ، يجب أن تعلم أن مثل هذا الزحام بدون داعٍ يمنع الربح .

وقلت في تكبر : ماذا يعني هذا ؟ أيعني أن أقول لصديقي امض وأطرده ؟! أحدث هذا عدة مرات ؟! إلى أي حد يكون هذا الرجل ضيق الصدر ؟ إنني رجل ، لي كرامة ، لي صديق ، لي رفيق .

ووضع سيروس يده فوق كتفي ، وقال : انظر صديقي العزيز ، ليس لك معرفة بالعمل ، أما أنا فأعمل طوال عمري الذي عشته ، إن لم تعمل بشكل جيد سيطردونك ، لقد بحثت لك عن هذا العمل من باب الإحسان والخير وليس لكي يشتكي منك مدير المعرض بسبب وبدون سبب أمامي ، اجعل هناك حداً بينك وبين الرفقاء ، ولو جاءوا مرة أخرى اعتذر لهم ، إن لك زوجة وحياة ، وأنا لا أرتضي السوء لك !

ولم آخذ كلام سيروس مأخذ الجد ، وفي كل مرة يأتي فيها أصدقائي إليّ أستقبلهم بالترحاب ، وذات مرة تبدل حديثنا الهادئ إلى ضحكات صاخبة لفتت أنظار المشترين إلينا ، ولا أعلم كم مضى من الوقت ولم يوجه لي أحد كلمة ، ولكن في النهاية استاء صاحب المعرض ولامني.

لا أنسى ذلك اليوم قط ، فقد وضع بعض المال أمامي ، وقال باحترام : لم نعد بحاجة إلى بائع ؛ لأن ابن أختي سيأتي لمساعدتي. كنت أعلم أنني إذا ما لجأت إلى سيروس لن تتأتى أية فائدة ؛ لذا تركت المعرض وأنا مستاء .

لا أتذكر جيداً كم ألف مرة لعنت نفسي لأنني أقدمت على الزواج، زوجتي جيتي لم تبد شكواها قط من وضع عملي المخجل ، لكنها كانت تلومني بعينيها . لعلكم تتعجبون لأنني لا أزال أمتلك ضميراً ، ضميراً كان يلومني عشرين ساعة في الأربع والعشرين ساعة : لِمَ جعلت هذه

الفتاة المسكينة شريكة لسوء تصرفاتى ؟ شريكة لأيام الشدة التى قلما تتحملها فتاة ، حتى وإن كان هناك حب وعشق ، لكن جيتى كانت تتحمل ولم تُبد شكواها ، وهذا ما كان يعذبنى .

لقد كنت عاطلاً، وكان والدى غاضبًا دومًا بسببى ، ولم يعلم بموضوع طردى من العمل ولو لم تكن أمى لعانيت الجوع ، وكنت سعيداً لأن أمى كانت تحضر لى الفاكهة والحبوب واللحوم والطيور بدون علم والدى ، لكن جيتى لم تكن سعيدة بذلك الوضع . إنها كانت من أسرة أصيلة ومرفهة ، لم تكن تستطيع رؤية المساس بعزة نفسها، دومًا كانت تقول : لم نعيش على صدقة الأم ؟ لكننى لم أكن أميل لتصديق هذه الحقيقة . كنت أقنع نفسى بأنهما أبى وأمى ، وأنا ابنهما ؛ لذا فإن تقديم الشكر لهما لم يكن من الضرورى أو من الواجب .

ومضت فترة ، ورويداً رويداً بدأ صوت جيتى يعلو ، وبدأت فى نصحى ، ولكن قد غُصت أذناى بهذه النصائح ؛ لذا كنت أستمع لحديثها دومًا دون اهتمام . إنها كانت تتحدث عن اضطراب حياتنا ، وكانت ترفض أن يتكفل والدى بنفقاتنا ؛ لأننى أنا زوجها ، وينبغى أن أتحمل مسئولية حياتنا الزوجية ، ولهذا السبب كانت مستاءة ، لكنها كانت دومًا تحدث نفسها وتنصت إلى نفسها ، وكأنها لم توجه إلىّ هذا الحديث . لقد أحببتها ، لكننى كنت أشعر بأن لا طاقة لى على لومها هذا.

كنت أعلم جيداً أنها لم تتفوه بشىء قط لوالدتها عن وضع حياتنا، حتى إننى سمعت والدتها ذات يوم من نافذة حجرتى وهى تقول لها : إنتى خسيتى كده ليه ؟ وأجابت جيتى : لا يا أمى إنتى مش واخدة بالك كويس ، بالعكس أنا تخنت أوى ، جايز لون لبسى هو اللى خلاك تتخيلى كده .

لكن الحقيقة لم تكن كذلك . الحقيقة هى أن جيتى بدأت فعلاً فى الضعف والذبول ، هذا فى حين أنه لم يمض على زواجنا أكثر من عام ونصف . وعلى أية حال فعندما رأت أن الحديث معى بلا فائدة ، اختارت السكوت، ومنذ ذلك الحين اعترى حياتنا الفتور والصمت . لقد كنت أمكث فى المنزل من الصباح حتى الغروب ، ولم تكن أمى تضن علىّ بمساعدتها، سواء بالأموال أو باحتياجاتنا اليومية ، ولا ريب أنه بعد مضى فترة من الوقت انقطعت تلك المساعدات .

لن ينمحى هذا اليوم من ذاكرتى ، فقد تشاجر أبى مع والدتى شجاراً شديداً، وسمعت أمى وهى تقول : يعنى يا أيوب أفندى أقعد وأشوفهم بيموتوا من شدة الجوع ؟ هو أنت قلبك حجر؟ ده ابنك مش غريب !

وأجاب والدى فى عصبية : إلى جهنم إن مات من الجوع، فمن الأولى به إنه يدور على شغل علشان بطنه ، شوفى إزاى ميِّل حظ بنت الناس ؟! بيعمل إيه فى البيت من الصبح لحد المغرب ؟ حرام تكون الصبية دى زوجة لواحد عديم الحمية والكرامة !

لقد فار دمى ، ولكننى مكثت فى مكانى ولم أتحرك .

وعلى أية حال فمنذ ذلك الحين كان والدى يراقب أمى بشدة كى يمنعها عن مساعدتنا ، وعندما كنت أرى هذه الأوضاع كنت أختلق الأسباب عن عمد للشجار مع زوجتى ، وتسببت فى ذهابها إلى بيت والدها . كنت أشعر أننى ربما أتمكن من توفير الطعام لها ، ولكن لم يكن الحال كذلك ؛ فبعد رحيلها كنت أعتقد أن الأوضاع سوف تكون أفضل من ذى قبل ، ولكن للأسف لقد دمرت حياتى بيدى.

وزوجتى التى كانت قد تأذت بشدة بسببى ، تحدثت عن حقيقة حياتنا المريرة بعد إلحاح أسرتها . وذات ليلة من ليالى الخريف الباردة ،

حيث كنت مستغرقًا في أفكاري ، استرعاني صوت جرس باب المنزل، ففتحت الباب دون أن أستفسر عمن يوجد خلفه ، ونظرت بعد ذلك من شرفة النافذة، فكان والد جيتي .

كنت أتوقع أي شخص دونه ، ارتبكت بشّدة ، وأغلقت عيني، ووقفت أمام الباب منتظراً ، ولكنني انتظرت قليلاً إلا أنه لم يصعد ، ففتحت الباب وسمعت سلام أبي له ثم دخوله معه إلى المنزل مرحبًا به ، وجلست على حافة السلم ، وكنت أعبث بيدي في شعري ، وتملكني القلق ، ولم أكن أعلم ما الذي ينبغي أن أقوم به ، هل أنزل لأجلس مع والد زوجتي أو أظل مكاني في الطابق العلوي ؟! وكان صوت حديثهما يصل إليّ وأنا في طريقي إلى السلم ، لكنه لم يكن مفسراً بشكل واضح ، فهبطت عدة درجات من السلم كي أتمكن من سماع حديثهما بشكل أوضح ، وكان أبي يتحدث إليه بصوت هادئ قائلاً : سيد صداقت ، إنه لمن العجب أن تزورنا ؟

فأجاب والد جيتي بصوت حاد : العجب منا يا سي وفائي ؟! حقيقي يا أخي ورد على ابنك ! ده تصرف الأصحاب ؟! بنتي أنا ، بنتي اللي تشبه الوردة ، تخرج من البيت غضبانة ؟ تعرف بقت إزاي ؟ أيجوز هذا ! كل ما أشوفها ألوم نفسي وأقول أنا ليه سمعت كلامك ، وسلمت بنتي الغالية بأيدي لسوء الحظ والتعاسة لثقتي فيك ؟! وقلت لك يا حاج ابنك لسه طفل . قلت إن كانا طفلين فمن الأفضل أن يكونا بجوار بعضهما ، قلت لك يا حاج إن ابنك لا عمل له ولا رزق ، قلت لي اطمن هسكنه عندي ! وبعدين إيه اللي حصل؟! دلوقتي فات يجي سنتين من يوم ما أرسلان خد بنتنا لبيته ! مش مفروض نعرف نسيبنا بيشتغل إيه! قسمًا بالشيخ والرسول إن بنتي مش هتموت من الجوع في بيتي ؟! علشان خاطرك أنا جوزتها لابنك ، وقلت قسمًا بآل البيت إن الولد ده أكل طعامه من مائدة الحاج أيوب خان وفائي ! ودلوقتي سايب بنتي من

ست شهور ومشى وما تصلش بها ولو مرة واحدة بالتليفون . لو مش عايز بنتي يطلقها ، ولوعايزها يروح يدور على عمل ، ويتحمل مسئولية حياته، ما تزعلش الذنب ذنبك أنت يـ ـعاج ، إنت كنت بتديه الفلوس من أول يوم لجوازه وما سبتوش يسعى ، واهو اتعود على كده.

كان حديث والد زوجتي يدق على رأسي وكأنه مطرقة، ولم أكن قد رأيت حتى ذلك اليوم والدى يقف أمام أحد مثل هذا الموقف ، ولكنني لم أسمع جوابًا من أبى فى تلك الليلة ، وفى المقابل سمعت صوت أمى وكأنها تعتذر قائلة : يا سى صداقت ، اتفضل اشرب وما تزعأش كده ، دول لسه صغيرين ، لسه ما شقوش طريقهم ، لازم نديهم فرصة ، قسماً بالله أنا ـبيت أرسلان ، ده ولد طيب ، لكنه مشاكس ، شوية ، بالله عليك متتحمس ـس ، ـنهمسال ، ده حرام ! يجب علينا نرتب لهم حياتهم ، وجيتي زى بنتي وأنا بحبها، ويوماً أتحدث معها .

أثناء ذلك سمعت صوت أبى يتحدث فى عصبية قائلاً لها : روحى اندهي أرسلان خليه ييجى. قالت أمى : لكن ... وأعاد أبى عليها الحديث قائلاً : قلت لك خليه ينزل وإلا حضطر أروح له بنفسى ، الولد ده لازم يعرف إيه اللى عليه من أعباء في حياته ، وأنا لا أستطيع أن أتعهد له بذلك .

ولم تكن لقدمي القدرة على صعود السلم ، وكأنني قد تسمرت مكاني ، وصعدت أمي درجات السلم ، وحينما وصلت إليّ ورأتني ، نظرت إليّ نظرة يملؤها الحزن ، ثم قالت : سمعت أبوك قال إيه ؟ فنهضت من مكاني بسرعة ونزلت السلم .

أستطيع أن أقول بمنتهى الجرأة إننى لم أر شيئًا حولى سوى عينى أبى التى كانت تشبه كأس الدم ، بلعت ريقى بصعوبة ، فى حين أنني كنت أحاول أن أكون متماسكًا ، ووجهت حديثى إلى والد جيتى قائلاً : السلام عليكم !

ورد والد جيتي السلام عليّ وهو غاضب عابس الوجه ودون أن ينظر إليّ ، وقالت أمي بهدوء : اجلس ؛ فجلست وأنا أسعى أن أكون بعيداً عن أبي وبالقرب من الباب ، ونظرت إليه بطرف عيني فرأيته يرصد حركتي ، فمع أنه قد بلغ من السن أرذله إلا أنني لا أزال أخشاه، أخشى شواربه الكثيفة التي ترتسم إلى أعلى .

وعم الصمت الجميع ، لكنه انكسر بترحاب أمي بوالد جيتي ، ولم أكن أستطيع تخمين ما الذي سيقوله أبي ، لذا كنت قلقًا . وفي النهاية ، حينما عزم أبي على الحديث ، كان صوته يرتعد من حرقة الغضب قائلاً: كأنك لا تعلم أن زوجتك قد رحلت ! إنت ياولد ، إمتى هتبقى راجل ؟ وأصلاً إنت ناوي على إيه بالنسبة لمستقبلك ؟

والتزمت الصمت ، بينما كانت عيناي تزوغ على الورود التي تزدان بها السجادة .

– تصدق يا سيد صداقت إن عذابي من الثلاث بنات أقل بكثير من عذابي مع هذا الولد ، أنا هموت كمداً منه .

قال والد جيتي : أنا ماشي وعايز أعرف إيه اللي قررتوه للمستقبل؟

قال والدي : أي قرار يجب أن يكون ؟ هيجي ويبوس إيدك ويرجع مراته، وبعد كده هيدور على عمل كويس ومربح .

فقال والد جيتي : أنا مش هصدق الكلام ده طالما ما سمعتوش من لسان أرسلان نفسه ؛ فنظر أبي إليّ وقال في غضب : اتكلم !

وحاولت أن أتحدث ، ولكن لم أستطع ، ومرت لحظات من الصمت حتى نهض والد جيتي ، وقال : كويس أوي ، كده الأمور اتضحت .

وصاح أبي ثانية فيّ : اتكلم يا ولد !

ولم أستطع حتى أن أرفع رأسى ، ونظرت أمى إلىّ وقالت : السكوت علامة الرضا ! وحينئذ فلت عنان لسانى وقلت : أنا ... أنا مقدرش أتحمل مسئولية حياة .واندهش الجميع ، أبى وأمى ووالد زوجتى وهم ينظرون إلىّ .واستفدت من صمتهم ، ولأول مرة فى حياتى أعارض كلام أبى :

– لا، أنا مش هقدر، ربما بعد عدة أعوام ! فليس لدى من العمر سوى ثلاثة وعشرين عاماً ، يا سيد صداقت أنا مش هقدر أسعد بنتك ، يعنى أنا منفعش أكون زوجًا لها ، لازم الأول ألاقى نفسى ، وهى لسه شابة، ممكن تتجوز تانى ؛ فقالت أمى فى صوت يرتعد : أرسلان ...

وكان والدى مثل البنجر الأحمر يشتاط غضبًا ، والسيد صداقت ينظر إلىّ مندهشًا . وقد قلت هذه الجمل وأنا متماسك إلى حد ما ، ولا أزال حين أتذكرها الآن يقشعر بدنى ، وهجم السيد صداقت علىّ كالأسد المزمجر، وأمسك بياقة قميصى ، ولم أكن أنتظر منه وهو فى هذه السن أن يكون بمثل هذه القوة ، فقد سقط زرارين من قميصى على أثر شده للياقة ، وكنت أشعر جيداً بأنفاسه ، ثم قال غاضبًا : إنت .. إنت بتقول ده دلوقتى ! دلوقتى ؟ دلوقتى بتلعب بكرامة أسرتى ؟ وتقول فى منتهى الهدوء تتجوز بنتى تانى ؟ وتسيب فى جبينها وصمة عار الطلاق ؟

وتقدم أبى ناحية السيد صداقت ، ووضع يديه بلطف على ساعده فتركنى بمجرد رؤيته لوالدى ، ودفع يد أبى ، ومضى تجاه الباب ، وسار أبى وأمى وراءه ، وبقيت أنا فى مكانى ، وسمعته وهو يقول لوالدى : أنا اللى عملت كده بنفسى ، اللعنة علىّ ، ربنا ياخدنى .

الفصل الرابع

لا أزال أشعر حتى اليوم بآثار صفعة والدى ، فقد صفعنى بكل قوته ، وقد سبب صوتها العالى وقتئذ بإصابة أذنى بصفير مزعج .

وكنت أستحق أكثر من هذا بسبب كسر قلب فتاة عفيفة بريئة ، لقد كانت الحياة بالنسبة لى آنذاك كلعبة ، وكنت أرى أن الزوجة والزواج يعدان مانعًا لاستمتاعى بهذه اللعبة ، كنت أريد أن أتحرر من شر هذا القيد.

لم أعد إلى البيت لمدة أسبوعين بعد انفصالى عن جيتى ، كنت أعلم أن والدى سوف يطردنى ، فقمت بتأجير غرفة فى أحد الفنادق ، وكنت أحدث أمى عبر الهاتف ، وكانت هى أيضًا فى حال بكاء دومًا .

وكل صديق لجأت إليه لم يقدم لى يد العون . نفس الأصدقاء الذين كانوا يحومون حولى فى يوم من الأيام كالفراش جميعهم نبذونى.

وكانت الوحدة فرصة لى كى أفكر جيدًا ، ولكن دون جدوى ؛ لأننى كنت أهرب من التفكير ، وكان عيبى أننى كنت أفكر فقط فى المستقبل، غافلاً عن أن المستقبل الذى أمامى مستقبل مظلم مملوء بالأوهام !

لم أكن أعلم أن الغد والمستقبل الجميل يرتبطان بالأمس ، وعلى أية حال فقد قضيت فترة فى الوحدة ، حتى ذلك اليوم الذى ذهبت فيه لتقبيل يد أبى بناءً على إلحاح أمى . لقد كنت معتمداً على مساعدته ، وكان يقدم لى العون دومًا . و الآن مع ما يشعر به من الاستياء بسببى ، إلا أنه لم يضن بمساعدتى .

في البداية لم يصفح والدى عنى ، لكنه هدأ من غضبه تحت إلحاح أمي ورجائى المتتالى ، وحينئذ أمسك بساعدى وقام وقال لى بصوت رصين: خليك راجل وخد درس من كل مشكلة ، ارفع راسك ، متخليش إحساس الضعف يتغلب عليك ، إن دمى فى عروقك ، أنت وفائى ، وكل وفائى ما يخافش زيك أبداً ، خليك شهم ، وعوض ما فاتك ، أنا عايز خلف لىّ مش ابن أمه ! روح دلوقتى ، روح وفكر كويس ، ولما تفكر وتوصل لنتيجة تعالَ إلى المحل فوراً .

وبعد فترة ، وعندما كنت أتناول الطعام من يد أمي ، وكما قال والدى استغرقت في التفكير ، وقلت لنفسى : دلوقتى إنت عندك أربع وعشرين سنة ، أيها التعس ، إيه اللى فكرت فيه علشان المستقبل ؟ إلام تستمر فى هذا الجنان ؟ وبنت الناس اللى تعستها ، على الأقل متخليش نفسك أسوأ حظًا منها ، لعلك أصم أو أخرس ؟ لعلك أكتع أو أعرج؟ ! قسمًا بالله لو كان لى ولد زيك ، لكنت سيبته يموت من الجوع ، لكن أباك استضافك مرة أخرى ، وسامحك ، ومع ذلك لم ترحم شيبته ، وخليته يعادى أفضل أصدقائه ؟ ! لحد إمتى ؟! لحد إمتى هتفضل عالة؟ دائمًا يشرب ابن صانع الفخار من كاس مكسور ، إن والدك تاجر كبير للبسط ، فى حين إنك عمال تدور على عمل من باب لباب .

وظللت فترة أتحاور مع نفسى ، حتى اتخذت قرارى واتجهت إلى متجر أبى ، وسعد أبى لرؤيتى ، وفهمت ذلك من عينيه ، بيد أنه كان متمالكًا لمشاعره ، وقال فى حدة : أخيراً اتخذت قرارك ؟ يجب أن أقول إنك لم تؤذنى ، ولكن من اليوم لا يوجد فرق قط بينك وبين الصبى كريم .
يجب أن تتقدم إلى الأمام بسعيك وجدك ، وأنا هاساعدك ، لو عايز فلوس لازم تشتغل ، وتتعلم الحرفة بعقل ووعى ، ولو كان عندك أى مشكلة ، فلتسألنى أنا أو كريم ، وسوف يعلمك كريم كيفية معرفة أنواع البسط

لم أكن أتوقع على الإطلاق أن يحدثنى أبى بمثل هذا الحديث أمام صبيه ، فأنا ابنه ، ابنه الوحيد ، وأستأت قليلاً ، ولكننى قلت لنفسى : إنت جيت برجليك ، ودلوقتى عايز تمشى ؟!

ومنعنى كبريائى من الرحيل ، وانهمكت فى العمل عند والدى ، وكان كريم ولداً طيباً ، كان يراعى دوماً احترامى ، ودوماً ما كان يناديني باسم السيد وفائى الصغير ، وسرعان ما اندمجت فى عملى ، وطبقاً للمقولة الشهيرة "تعلمت الصنعة" ، وكان والدى سعيداً من تقدمى هذا ، لكنه لم يبد لى ذلك نظراً لجديته فى العمل ، ربما أنه لم يصدق ، فإن يصدر هذا الأمر منى كان فقط فى الخيال ، كم هو مضحك جداً، أن أعمل فى مهنة كنت أهرب منها من قبل .

وبعد مضى شهرين ، جاءت أمى إلى حجرتى ذات يوم ، وكنت أمدد على السرير ، وعيناى على سقف الحجرة ، وفى الواقع كنت أشعر بالكسل بعض الشىء .

وجلست أمى على حافة السرير ، وقالت لى بحنان : ولدى ، إنت راضى عن عملك ؟ ولما رأت سكوتى ، استمرت فى حديثها قائلة : الحاج راضى عنك جداً .

سألتها : قال لك بنفسه ؟ أجابتنى أمى : لا ! استنتجت ده من كلامه ؛ فقلت فى استياء : ده حتى ما شكرنيش على أى عمل عملته ، ولا حتى شجعنى ، وبيتعامل معايا زى ما بيتعامل مع الصبية فى متجره.

وسحبت أمى يدها على شعرى ، وقالت فى لطف : مفيش فى قلبه حاجة ناحيتك ، إنت ابنه الوحيد وهو عايز مصلحتك ، عايز تكون راجل بمعنى الكلمة ، اجلس فى أحد الأيام واسترجع ذكرياته علشان تشوف هو وصل لكده إزاى ، هو عايزك تعرف قيمة الفلوس ، ويجب عليك إنك تفتخر به .

قلت متبرمًا : إنت جيتي لتدافعي عن الحاج ؟ وابتسمت الأم ، وقالت : لا يابني ، أنا جيت علشان أكلمك في حاجة تانية ، إنت دلوقتي بتشتغل وبتكسب ومش من العدل إنك ترجع البيت ومتلاقيش اللي يستناك، وجيتي كانت بنت طيبة ، فلو عايز أروح وأتكلم ويًا أبوها ، صدقني يا بني إن مكانها في البيت ده خالي ، روح ، وهاتها، وارجع بها ، أنا عارفة إنك بتحبها، لكنك دلوقتي زعلان.

وفي الواقع لم أرغب في أن أفكر في جيتي ؛ فالتفكير فيها يصيبني بالاستياء ، وهذا دليل على أنني ما زلت أحتفظ بقدر من الضمير . فجلست على حافة السرير ، وصببت كوبًا من الماء لأشرب ، وكانت يداي ترتعدان ، وهذا ما كان يلفت نظر أمي جيدًا . واتجهت إلى النافذة كي أهرب من نظراتها ، فجاءت أمي بالقرب مني ، وقالت مبتسمة : بتخبي مشاعرك عني أنا كمان ؟! فوضعت كوب الماء على المائدة بعصبية ، وقلت: لم لا تتركيني لحالي ؟ ليه بتفهمي كلامي بصورة معكوسة ؟ أمي إنني لا أزال نصف رجل ، أنا مقدرش بالفعل أسعد أي واحدة ، أنا ماكنتش موافق على فكرة الزواج من الأول ، لكنكم ربطوني به ، وأنا ما قبلش الحياة دي لزوجتي ؛ فالحياة اللي تخلو من السفر لمدة شهر كل سنة ما تكونش حياة .

قالت الأم : إيه الكلام ده ؟ هو احنا ماعشناش ؟

قلت بعصبية أشد من ذي قبل : أنا مش عايز أكون زيك ، مش عايز أتعس تلتين عمري على أمل إني أستريح في أواخر العمر ، شوفي الحاج ، إيه اللي تعرفيه عن حياته ؟ ! دلوقتي لسه ماكملش الخامسة والستين ، وإيده بترتعش ! ولما تكون الحياة كارثة كده ، إزاي أخلي شخص تاني شريك ليّ فيها ؟! أمي أنا مش عايز مراتي تكون زي أمي أو زيك .أنا عايز لما أدخلها حياتي أوفر لها كل شيء ، مش الحسرة .

ولم أستطع الاستمرار فى الحديث ، فسألتنى أمى وهى حزينة : طب وجيتى؟ فقلت لها فى صوت حزين : هى مبقتش مراتى ، ربما تكون فى حال أفضل ، هى دلوقتى تقدر تعيش حياتها ، هى لسه شابة.

وأمى التى كانت تأمل بشدة فى عودتنا ، ظلت تنظر إلىّ لفترة وهى يائسة غير مصدقة ، ثم قالت بصوت غاضب : لو لم يكن لك قلب فلتعتزل فى كوخ ، امشى ورا قلبك يا بنى !

وبحديثها هذا أشعلت أمى النار فى روحى . لقد مضيت وراء قلبى، لكنه لم يكن معى، ولم أكن أنا كذلك معه ، وكان ذلك العهد الذى علمت فيه أننى من مريدى الحياة المرفهة ! لا أعلم أكان ذلك من أجل المال ؟ أم لأن سلسلة مشكلاتى مع المال قد بدأت ؟ ولا ريب أن هذا كله كان من وجهة نظرى ، وعلى أية حال كنت أعتقد أنه ينبغى علىّ أن أسعى فقط وأعمل ، وأجمع الأموال ، ولم يكن هذا بهدف السفر أو لشراء الملابس ، بل كان بهدف تحقيق أمنيتى فى يوم ما . كنت أرى سعادتى فى جمع ثروة طائلة ، ولكى أمنع عنى الوساوس ، لم أكن أحتفظ بالمال لدى ، بل طلبت من أبى أن يحفظه لى .

كنت أقبل أصعب الأعمال على أمل الحصول على مال أكثر ، ولم أكن أشتكى . ومن جهة أخرى كان وجودى بجوار أبى لمساعدته مما زاد من مكسبى ، وبعد مضى أربعة أعوام على عملى معه ، تمكنا من تصدير منتجاتنا إلى الدول الأخرى ، وكنت أنا مندوبًا للصادرات ، ومنذ ذلك الحين بدأت أسفارى إلى : لندن وروما وباريس وبرلين وميونخ وأثينا، وقد حالفنى التوفيق خلال هذه الأسفار ، وتمكنت من تقوية لغتى، ولم يمض زمان طويل حتى أجدت الإنجليزية والفرنسية - عجبًا على المال الساحر الخادع - فأنا الآن النموذج الأمثل للعائلة، وكنت الزهرة التى تعلو سلة الحديث ، وكنت أعلم أننى إذا ما تقدمت لخطبة أية فتاة

من عائلة لن يرد طلبى ، لكننى لم أكن أرغب فى ذلك رغم بلوغى الثامنة والعشرين . الجميع يقولون : إن المال لا يجلب السعادة ، ولا ريب أننى لم أكن أشعر بالسعادة، لكن الآخرين كانوا يعتقدون أننى سعيد ، لكننى فهمت على الأقل أن المال يؤدى إلى احترام الآخرين لك أكثر ، وينظرون إليك بشكل آخر ويقولون إنك رجل مقتدر ذو هيبة ويهتمون بالحديث معك.

وهذا ما كان يوضح إلى أى حد يعبد البشر حولى الماديات والمال، وهؤلاء الذين كانوا على استعداد لتزويج بناتهم لأى شخص سواى، الآن يتهامسون برغبتهم فى مصاهرتى ، ومع أننى كنت أتعامل معهم باحترام ، لكننى كنت أهزأ منهم جميعًا فى داخلى . كنت أشعر أنهم يطمعون فى ثروتى أكثر من رغبتهم فىّ ، لقد صرت فى الحقيقة مثل الإنسان الآلى ؛ حيث أقضى النهار كله فى العمل ثم أذهب إلى الفراش ليلاً متعبًا مجهداً ، ولم أكن أعلم كيف أستغرق فى النوم ، كنت أتخيل بعض الأشياء حتى تصل بى التنهيدة إلى خط النهاية .

الفصل الخامس

أبى الذى استقر على ملامحه غبار الكهولة ، ولم يتبق ثانية من رمق فى بدنه، عهد إلىّ بإدارة كافة أعماله ، وأحيانًا ما كان يأتى إلى المتجر إلا - كما يقال - لكى يعدِّل علينا ، وعلى الرغم من أنه كان مطمئنًا من أننى أجتهد فى العمل ، لكنه كان دومًا يطالب كريم بمساعدتى ، وانقضى عامان على هذا النحو ، وتبدلت برجل بلغ الثلاثين من عمره . كنت أعلم أننى مستقر من الناحية المادية ، لكننى كنت كالطائر المنكس الرأس، كطائر يتأذى فى القفص من ضيقه وصغره .

أتذكر أننى قلت فى خريف نفس العام لأبى : أريد أن أسافر ، ولا أستطيع أن أصف إلى أى مدى تأثر من سماعه مثل هذا القرار ، وجعل ينظر إلىّ فترة فى اندهاش ، ثم قال : اتجننت يا ولد ؟ ولاّ اتخبط فى نفوخك ؟

ربما كان الحق مع أبى ، وكنت أنا مجنونًا ؛ فالمجنون فقط هو الذى لا يعرف ماذا يريد من حياته ، وكان يبدو أن حتى مرور الزمان لم يحنكنى ، والآن أنا ماهر فى عملى ، وكان أبى يعلم هذا جيداً ، لكننى كنت مستاءً ، كان يبدو أن الحياة بالنسبة لى كحصار يزداد ضيقه بمرور الوقت، كان قلبى يهفو إلى التحليق والسياحة فى العالم ، كنت أريد أن أعرف ما يدور بين الناس فى أنحاء الدنيا ، أو كما يقال أى لون لسماء تلك البقاع.

وعلى أية حال بعدما وجدنى أبى مصراً على رأيىّ ، جلس للنقاش معى لأننى بعدما عزمت على هذا الرأى ، لم أذهب ثانية إلى المتجر .

وفى تلك الليلة التى دخل علىّ فيها حجرتى ، كنت مستلقيًا على المقعد الهزاز الخاص بى فى التراس ، وكان لا يزال بالنسبة لى مظهراً للقوة، وفى جو نصف مظلم ، وعلى الرغم من شيخوخته وعجزه ، إلا أنه كان أمامى عريض المنكبين فارع الطول، رغم أن مرور الزمان قد بدل شعره الشبيه بالليل إلى قطعة من القطن. ونهضت من مكانى وألقيت عليه السلام، ورد علىّ السلام فى هدوء ، ووقف بالقرب منى ، وأردت أن أضغط على مفتاح الكهرباء، لكنه منعنى ، وقال : كده كويس ، وكان ضوء القمر يضىء حجرتى ،لكننا لم نتمكن من رؤية بعضنا البعض فى وضوح. لعل والدى كان يرغب بالفعل فى أن تكون الإضاءة خافتة فى الحجرة، ودعوته للجلوس، فجلس على حافة السرير، وكانت رياح الخريف الباردة تداعب شعر كل منا، ولكن كان يبدو أن أيا منا لم يلتفت إلى برودتها .

يجب أن أعترف بأننى لم أر والدي على هذا النحو فى أى وقت قط، وكنت أشعر للمرة الأولى أننا نجلس معًا مثل صديقين أو رفيقين .

وكان أبى ينظر حوله بدقة ، وكأنه يرى حجرتى لأول مرة ، وكان ينظر إلى الأشياء فى الظلام ، ومضت فترة بيننا فى صمت ، حتى انكسر هذا الصمت بحديث أبى : كم يوم ماجتش فيها المحل ؟

فقلت فى هدوء وحذر : أنا مش هاجي المحل تانى.

وكنت أتوقع أنه سيسحقنى بصوت صياحه ، لكن على عكس ما توقعت ، قال فى هدوء : ليه ؟ حصلت حاجة ضايقتك ؟ أو جايز مش راضى عن أجرك؟

وطأطأت برأسى ، ثم قلت : لا يا أبى ، ولا حاجة، أنا ... أنا ما بفكرش أستمر فى الشغل ده.

قال والدى : إزاى ؟ إزاى تاخد القرار ده ؟ أنا سيبتك كام يوم مع نفسك وقلت جايز ترجع ، لكن...

فقلت في تأن وإصرار: أنا خدت قرارى ، ده مش قرار أنا خدته في لحظة ، أنا بفكر فيه من فترة .

فقال والدى بشىء من العتاب : أرسلان ، إنت تعرف إنى فقدت كل ما كان لى من قوة ، وأكون سعيداً لوبقيت عصا شيخوختى ، إنت دلوقتى أحسن ، وعارف الأمور أكثر منى ... فى الحقيقة إن العجلة بتدور فى المحل ده بفضلك إنت .

قلت : آسف يا أبى ، أنا هاخد التأشيرة وهسيب إيران ؛ فسألنى: هتروح فين ؟ فنظرت إلى القمر، وقلت : إلى إنجلترا .

– هتعمل إيه ؟

– مش عارف يا أبى ، مقررتش لحد دلوقتى ، جايز أخلينى هناك على طول وجايز أرجع ، كل اللى أعرفه إنى لازم أرحل .

–إنت ما تعرفش أمك بكت أد إيه الأيام دى ؟ إنت عارف إن زينت تعبت كتير علشانك زى أى أم حقيقية .

– أيوة عارف ، لكنى مقدرش أصرف نظر عن قرارى ، وقدماى ليست لديها القدرة على البقاء .

وشعرت أن صوت أبى كان يرتعد ويغلب عليه بَغض الغضب : يا ولدى ليه عايز تسافر ؟ إنت دلوقتى تاجر ، وثرى ، إيه اللى تعبك ؟ عايز تتجوز ولاّ بتاخد فلوس شوية ؟

فأجبت : لا يا أبى ، مفيش حاجة من دى ، ليه بتعاملنى زى الأطفال ؟ أوعدك إنى هاجى أشوفكم ، وأرجو إنكم تفتكرونى بالخير.

ونهض أبي من مكانه يائساً ، ومضى تجاه الباب ، وكانت هذه هي أول مرة لم تتم فيها بيننا مشادة كلامية ، وناديت عليه وهو أمام الباب، وحينما عاد إليّ ، قلت له : أنا سعيد جداً يا أبي إننا اتكلمنا مرة واحدة مع بعض زى أى اتنين أصحاب .

ونظر إليّ أبي دون أن يتفوه بكلمة ، ولم أتمكن في الظلام من أن أرى ما يبدو على وجهه ، فلم أكن في مثل موقفه كي أعلم أى حال يكون عليها الأب الذى يفقد ابنه الوحيد ! إنني لم أكن في موقف أى شخص قط سوى نفسي وما لديها من آمال كبيرة .

ووقت الرحيل قال أبي : أنا مقدرش أمنعك ، إنت دلوقتي عندك ثلاثين سنة، وتعرف الفرق بين الصح والغلط ، علشان كده إنت مش محتاج نصيحة . وزى ما أنت طلبت أنا شيلتلك فلوسك ، وهي مبلغ كبير. علاوة على كده أنا بهديك مبلغ على سبيل الشكر ،إنت أربحت تجارتي والمبلغ ده من حقك ، وعليك فقط إنك تخلي بالك إن الفلوس اللي كسبتها بهذه المشقة ما تفقدهاش بسهولة . الغربة لا تفي لشخص ، خليك حارس على نفسك !

وشعرت بالدموع في عينيه ، لكنه كان رجلاً بالقدر الذى لم يسمح لدموعه أن تفضحه ، ولم أكن أنا نفسي في حال أفضل منه ، فمهما كان هما أسرتي ، وكانت زينت تذرف الدموع ، وتنظر إليّ في توسل ، إنها لا تزال تعتقد أنها قصرت في حقي ، ولكن أياً ما كان الحال فقد انتهى كل شيء، فأنا مسافر الآن، وكنت أتحدث بصدق عن تركي للوطن بحقيبة مملوءة بالأموال التي هي من نتاج كدي .

وعندما حلقت الطائرة لم أتمكن ثانية من السيطرة على انهمار دموعي ، كنت أشعر بأنني ألوم نفسي ، كنت أتحاور معها حتى أتمكن بهذه الصورة من أن أخفف من حمل أخطائي .

لا أعلم ، لعلني كنت أريد أن أرحل بين أناس مختلفين ، لا أعرفهم ولا يعرفونني ، ففي تلك الحالة لا يكون هناك شخص يعلم ما لدى من ماض ، وهذا ما أرضى غرورى . كنت أشعر هناك بأننى إنسان ، وقلما ما كان يعتريني أى إحساس بعدم الرضا .

من وجهة نظرى أن مشكلتي هي ما لدىّ من ضمير، فلم أكن إنسانًا بلا ضمير ، لكنني كنت جبانًا ، جبنٌ جعلنى أفكر فى القيام بأى عمل كى أهرب به من نفسى .

وبعد مرور ثلاثة أيام ، هبطت طائرتنا فى مطار لندن ، وكان الجو فى لندن ملبداً بالغيوم ، وكان الناس يسيرون وكأن كلاً منهم لا يرى الآخر. كنت مندهشاً من عادات وتقاليد هذه الدولة الأجنبية . كنت أخطو خطواتي وأنا أعتقد أن لندن ستكون موضع إعجابى ، ومشيت حتى استقليت التاكسى ، وبقدر ما كنت أعلم من اللغة ، أعطيت السائق عنوان الفندق الذى كنت قد حجزت فيه من قبل ، وفتح لى السائق الباب بأدب جم، وعلمت أن الفندق يقع فى أرقى المناطق بلندن ، وحينما وصلت إلى الفندق دفعت أجرة السائق والبقشيش ، ونزلت من التاكسى، وتقدم خادمان يتسمان بقوة البنية لحمل حقائبى .

والفندق الذى نزلت فيه كان فاخراً جميلاً ، وتقدم مدير الفندق لتحيتى ، وتحدث معى قليلاً بوجهه البسام ، ثم جاء معى ليرشدنى، فى حين كان الخادمان يتقدمانى إلى الحجرة يحملان حقائبى وأمتعتى .

كنت أشعر أننى جئت إلى مدينة أحلامى ؛ لذا كنت فى قمة السعادة ، وحينما سألنى مدير الفندق : إلام تطول إقامتى ؟ قلت : ليس معلومًا ، فليس لدى برنامج محدد ، تخيلت أننى سأفكر فى ذلك بعد تناولى قسطًا من الراحة . ولا شك أن هذا لا يمثل لهم شيئًا ، فكانوا يرونى فى أبهى صورة ، وكان جيبى مملوءاً بالمال ، إذن فلن تفرق معهم مدة إقامتى، وكلما كانت أطول كلما كان أفضل .

كنت متعبا للغاية لدرجة أنني استغرقت في النوم على الكنبة فور خروجي من الحمام وأنا أرتدي المنشفة . لا أعلم جيداً كم من الوقت استغرقت في النوم حتى فتحت عيني على أثر صوت دقات خفيفة ، وتذكرت وقتها أين أكون .

ومضيت نحو الباب وفتحته ، ورأيت العاملة أمام الباب ، وقالت لي مبتسمة إنها جاءت لتغيير الملاءات ، ونظرت حينها على ساعتي فوجدت أنني نمت ما يقرب من إحدى عشرة ساعة ، فارتديت ملابسي بسرعة ثم دعوتها لدخول الحجرة ، وأثناء تصفيف شعري سألتها : من الأفضل أن أذهب إلى أي سينما لشغل الوقت ؟ فأجابتني بوجه بشوش : أستطيع أن أستفسر لك تليفونياً عن برامج السينما؛ فقلت : في حالة ما أحببت هل أستطيع الذهاب إلى الأوبرا ؟ فقالت : سوف تقام الليلة واحدة من أجمل عروض الأوبرا.

وبناءً على نصيحتها ذهبت إلى الأوبرا ، لكنني أعترف أنني لم أفهم شيئًا منها سوى أصوات الآلات الموسيقية التي كانت تختلط مع بعضها وكأنها تقلب القاعة على رأس المشاهدين . لعلني كنت أشعر بهذا لعدم وجود معرفة لي بمثل هذه البرامج ، ولما رأيت كل من حولي مستغرقين في مشاهدة العرض ، قلت لنفسي : إذا أردت أن تعيش بين هؤلاء فيجب أن تعتاد على كل شيء ، حتى على هذه الأصوات المزعجة! وعلمت بعد ذلك أن هذا العرض قد حصل على عشرات الجوائز ، لا أعلم كيف يمنحون الميداليات لمثل هذه الأصوات ؟!

على أية حال لقد حضرت البرنامج كله ، وحينما خرجت من القاعة كنت أعلم ما يجب أن أفعله ، فقبل كل شيء فكرت في أن أوفر سيارة ، وأن أبقى في الفندق حتى أعثر على منزل مناسب ، وأن أضع ما يتبقى لي من أموال في البنك ، وأحصل على فائدتها كل شهر، وهكذا أكون مطمئنًا على المال من جانب ، ومن جانب آخر سيكون لي دخل ثابت ، وفي هذه الليلة تناولت عشائي بنهم ، ومضيت للنوم على أمل غد أفضل.

الفصل السادس

حينما اشتريت السيارة صار التنقل أسهل ، وكما عزمت من قبل ، وضعت ما تبقى لدىّ من مال فى البنك ، وحينما تخلصت من شر المال، ارتاح بالى ، ولم يمض طويل زمان حتى تعرفت على البيئة من حولى، واكتشفت أماكن اللهو. وعلى أية حال كان يجب علىّ أن أملأ أوقاتى بشىء ما ، ولم يكن هناك من وجهة نظرى ما أهو أمتع من اللهو.

كنت أقضى أوقاتى من الصباح وحتى منتصف الليل فى الملاهى وصالات الرقص والكافيتريات ، ونسيت تمامًا أننى إيرانى ويجب علىّ أن أكون ملتزمًا فى تصرفاتى ، وسرعان ما تعرفت على بعض الأصدقاء، واندمجت معهم، وكنا لا نفكر فى شىء فى هذه الحياة ، ولم يكن لنا من عمل سوى لعب القمار . كانوا يقولون إننى محظوظ ، ولا أعلم أكان الدخل الذى أحصل عليه نتاج هذا العمل من حسن حظى فعلاً أم لا؟ لقد كنت أتناول طعامى من مائدة أبى ، ذلك الرجل الذى لم يضع حجراً على حجرٍ آخر طوال حياته ، وكان دومًا يجلس على المائدة وهو على وضوئه، الرجل الذى كنت أستيقظ دومًا على صوته وقت السحر وهو يؤدى الصلاة ، وكم من الليالى كنت أستغرق فى النوم على همس مناجاته . على أية حال فإن ما كان يثير انفعالى فى تلك الفترة ، هو ازدياد ثروتى ، فبعد مرور عام تمكنت من مضاعفة مدخراتى ، وأعترف أننى كنت أفخر بنفسى بسبب ذلك، فقد ذاعت شهرتى بين لاعبى القمار، ولم يتجرأ أحدهم مهما بلغت براعته على اللعب معى ، وكنت فارسًا أمتطى حصان الغرور ، أطلب من ينافسنى دون أن أفكر فى عواقب الأمور . ولا شك أن معظم المتنافسين كانوا مستائين

لهزيمتهم أمامي ؛ لأنني لم أكن في نظرهم سوى شخص أجنبي ، ولذلك السبب كان معظمهم يقومون بتهديدي ، ولا ريب أن أذني قد اعتادت على هذه التهديدات ، ولكنني كنت أتعالى إزاء هذا وفقًا لاصطلاح (ليس بيدي).

وجدير بالذكر أن جميع هذه التهديدات لم تكن هراء ، فأتذكر جيداً ذات ليلة ، وبعد أن هزمت أحد المتنافسين أنه هددني بلهجته الإنجليزية الحادة ، فأطلقت ضحكة وأنامنهمك في جمع الغنائم كالعادة ، وقلت بلغته : على الرحب والسعة ، أنا منتظرك ! لا تعطلني ! فترك الملهى وهو غاضب، وتركت الملهى أنا كذلك بعده بساعتين برفقة أصدقائي ، وكان الليل قد انتصف، ولم يكن طائر يخفق بجناحيه في الشارع ، وكان صخب الثمالى هو الذي يكسر صمت الليل. وسرت فترة مع أصدقائي ، ثم ودعتهم وسلكت طريقي إلى الفندق، ولم أمض أكثر من عدة أمتار حتى توقفت سيارة أمامي، ثم نزل منها بعض الرجال المفتولي العضلات، وما أن تقدمت لأستفسر عن الأمر ، حتى انهالوا عليّ ضرباً بكل قوتهم، ثم سلبوني أموالي وفروا هاربين ، ولم أتمكن من معرفتهم ، لأن وجوههم كانت مخفية ، لكنني خمنت تقريبًا من قبل أى شخص كُلف الضاربون بضربي .

على أية حال ذهبت إلى الفندق وأنا جريح وفي حالة من الدهشة ، وسقطت على الأرض أمام باب الفندق ، في حين كانت أرديتي ممزقة وكانت الدماء تتقاطر من رأسي ووجهي . ولا أزال حين أتذكر تلك الليلة يقف الشعر على جسدي ، وتتملكني الحيرة ، وأتساءل كيف تمكنت بعد تلك الليلة من الاستمرار في هذا الأمر ثانية ؟!

فهؤلاء الذين لايعرفون الله ، ضربوني بهدف موتي ، ثم فروا هاربين دون مروءة ، ينبغي القول بأنهم كانوا أسوأ من اللصوص فاقدي الشعور .

وعلى أية حال ، حينما فتحت عيني ، رأيت نفسي في حجرتي ، ووجوهاً مبهمة فوق رأسي ، وهذا لأن عينيي قد تورمتا ، وكانتا تؤلماني بشدة من أثر الضرب المتتالي ، كما كان جسدي كله يؤلمني ، لدرجة أنه كان من الصعب عليّ تحريك رأسي في أي اتجاه. أثناء ذلك سمعت صوت مدير الفندق المتملق وهو يسأل الطبيب دون توقف : دكتور ، هومش هيشوف بسبب الصدمة دي ؟ وسمعت صوت الطبيب أيضاً يقول له: لا ياسيدي ، عليه فقط أن يستريح ، وحينئذ أدركت أنني سأبقى على قيد الحياة .

وبعد مرور عشرة أيام تمكنت من الوقوف على قدمي ، ورأيت نفسي في المرآة ، كنت قد أصبت في خمس مناطق : ساق القدم ورسغ اليد والرأس والكتف ، فضلاً عما اعترى وجهي من الورم والزرقة ، ولم أتمكن من التفرقة بين جلدي وبين ما عليه من ضمادات ، خاصة وأنني كنت قد نحفت بسبب كثرة النزيف وقلة الغذاء ، وكنت أشعر وكأنني أرى بالفعل عظام وجنتي ، ولم أكن حتى ذلك اليوم قد رأيت نفسي في هذه الحالة السيئة ، كانت هيأتي غير مرتبة ، وشعري مشعثًا ، والجروح تملأ رأسي ووجهي ، وما جال في خيالي في الوهلة الأولى لم يكن التراجع ، بل كان الانتقام، وكنت أشعر بأنني لا أكره أي شخص مثلما أكره هذا الرجل الإنجليزي ، ولم يكن يريحني شيء في أسوأ حالات غضبي سوى التفكير في الانتقام منه وطرحه أرضاً .

قررت أن أسعى لإتمام ذلك الأمر ، ولكن ما من معين ، وكل ما فكرت فيه هو أن أستأجر بعض الأشخاص مثله ليقوموا بحراستي ، وليقدموا لي العون وقت اللزوم ، وعلى الرغم من أن هذا القرار يبدو نوعاً من المغامرة الحمقاء أو العمل الطفولي ، لكنني كنت مصراً على إنجازه، وكنت أنتظر فقط دون صبر أن أتحرر من شر الأربطة والشاش، ولا ريب أن هذا الانتظار قد انتهى أيضاً

لم يكتمل الشفاء تمامًا لجروحى ، لكننى نهضت من فراشي ومضيت إلى أصدقائى الذين كنت أجهل أخبارهم منذ فترة ، وقدمدوا يد العون لى حينما علموا بالموضوع ، حتى إن أحدهم – وكان أكثرهم ميلاً للشر – قال : ياصاحبى فى الغربة لازم نساند ولاد بلدنا ، ولو ما عملناش كده دلوقتى ، إمتى هنعمله ؟ ! كفاية بس إنه يشاور واحنا نساعده .

وكنت قد فكرت من قبل فى كل شىء ، فقلت : لا يا صاحبى !! مفيش شك إني عايز أنتقم منه ، لكن أنا عندى خطة أحقق بها هدفى ، أنا مش عايز أخلق مشاكل بدون تفكير وأنا فى بلد غريب . أنا عايز أخطو خطواتى بحساب . أنا عايز أجلس أمامه تانى ، وأنفض جيوبه بطريقتى . أنتم عارفين إنى بألعب البوكر كويس ، وساعتها هقدر آخد منه خسارة الفترة دى ، بس هوَّ يوريني وشه .

وقال أحدهم ، وكانوا ينادونه بسياوش : لغاية دلوقتى مفيش خبر عنه ، لكنه من يومين جه الملهى مرتين ، وسمعته بيقول لصاحبه الإنجليزى وهو بيضحك : أهو أُطرِد من المكان ، لكن أنا ما كنتش أعرف إن قصدهم عليك ، لإنى ما كنتش أعرف اللى حصلك، لكن دى مش النهاية، ممكن ييجى واحد وينهزم وبعدين ييجى واحد تانى ويخسر، ورغم كده ما تفرحش إنك بتكسب الآخرين دايماً بالحيلة ، جايز ييجى يوم ... وقاطعت حديث سياوش لأننى لم أرغب سماع حديثه المحبط : دلوقتى لسه اليوم ده ما جاش ، واجب عليكم النهاردة تكونوا حولى .

والآن حيث أفكر بصورة أفضل ، أدرك أننى حتى وإن كنت راغبًا فى ذلك ، إلا أننى لم أكن أستطيع أن أتخلى عن هذا الأمر لأنه قد آلمنى بشدة .

لقد كنت مغرمًا بجمع المال دون مشقة أو عناء ، وعلى أية حال وعدني أصدقائي بحمايتي ومد يد العون لي ، وتم الاتفاق على إنه منذ ذلك الحين وصاعداً يتولى اثنان منهم حراستي في قاعة القمار، وفي المقابل أدفع لهم نسبة مما أكسبه .

وكانت الأمور تمضي على ما يرام وكنت راضيًا سعيداً ؛ لأنني تمكنت من هذا الطريق وبعد مرور عام آخر من بناء منزل كبير خاص بي في أحد المناطق الراقية بلندن ، وأصبح من السخرية أن ألعب الآن في الملاهي العادية على عدة آلاف من الجنيهات ، وتدريجيًا فكرت في الذهاب إلى ملاهٍ أخرى أرفع من حيث المستوى لألعب مع أناسٍ أكثر ثراء .

ولهذا الهدف كنت أحجز لقضاء ليال متميزة، وذهبت في الليلة الأولى وأنا في أبهى زينة ، ودخلت القاعة يصاحبني حارسان أحدهما عن يميني والآخر عن يساري .

لا أنسى تلك الليلة ، فقد راهنت على عدة ملايين من الجنيهات هي كل ما أمتلكه ، ثم جلست أمام منافسي . أعترف أنني كنت في غاية الاضطراب لكنني لم أظهر ذلك، كنت أحاول أن تبدو تصرفاتي طبيعية هادئة.

ومن العجيب أنني تمكنت من هزيمة منافسي الإنجليزي ، وكانت هذه هي الحقيقة بالرغم من أنني لم أكن أصدق هذا حتى بعد انتهاء اللعب. ولو كان ساسان وخشايار حاضرين لعبي لما صاحا من السعادة. كنت أظن أنني أحلم، ففي ليلة واحدة أصبحت مليونيراً ، ولهذا لم يسعني جلدي .

لا أعلم لم كنت بدون إرادة إلى هذا الحد ؟! كنت أقول لنفسى فى كل مرة أبدأ فيها اللعب إن هذه المرة ستكون آخر مرة ألعب فيها ، ولكننى كنت أغير كلامى بعد فوزى على منافسى .

وفى تلك الليلة لم أذق طعم النوم من فرط السعادة والفرحة ، فقد أصابنى الأرق طوال الليل ، وكنت أفكر فى الأموال ، وأرسم خططاً ذهبية ، دون أن أعلم أنها ستكون على الورق!

الفصل السابع

لا ريب أن الأحداث كانت تعود بى إلى الماضى ، وأغتم من أجل أسرتى ، لكن قدمىّ لم تكن لها القدرة على العودة ، وكنت أكتفى فقط ببعض المكالمات التليفونية القصيرة .

وذات ليلة وأنا أسير بسيارتى الفارهة أمام أحد الملاهى رفيعة المستوى، حدث موقف جديد فى حياتى، موقف غير مجرى حياتى تماماً. حقًا لقد حدث لى حادث مهم فى وقت لم تكن الحياة فى نظرى سوى لهو ومزاح ؛ فقد مر بى العشق كنسيم مدلل ، وأصبحت عاشقًا من نظرة ، وشعرت بأننى قد وجدت محبوبتى ، والإنسانة التى استطاعت أن تلين قلبى الشبيه بالحجر ، كانت إنجليزية ذات شعر أصفر وعيون خضراء برقة الربيع! حينما جلست أمامى اضطرب قلبى وبدأت يداى ترتعشان ، وسلمت أمرى ، وخسرت لأول مرة فى حياتى خلال تلك المدة أمام امرأة، كان شيئًا مضحكًا ، أن أخسر أمام امرأة وأنا الذى كنت أفوز على أشد المنافسين لى.

وأخذ رفاقى فى لومى ، ولكننى كنت أفكر فى شىء آخر ، كنت مضطربًا ، ولكن ليس لهزيمتى ، بل بسبب اكتشافى لأحاسيس جديدة بداخلى ، وهناك وجدت الفرصة سانحة لأفكر فى نفسى، فى أننى أحتاج إلى شريك ، ولم أكن أفكر قط فى تلك المسألة بشكل جدى .

فى تلك الليلة وحتى الصباح كانت صورة هذه المرأة تتجسد أمام عينى ، وأستطيع أن أقول بمنتهى الشجاعة إن الحديث مع هذه المرأة كان أحد الأمانى الكبيرة لى .

وأنا لا أعلم إن كانت ترتبط بشخص آخر أم لا ! على الرغم من أننى لم أر شخصاً بصحبتها فى تلك الليلة ولا فى الليالى التالية عليها.

كنت أذهب منذ ذلك الحين إلى ذلك الملهى على أمل أن أقابلها مرة أخرى ، وكنت أجلس فى كل مرة لفترة على مسافة منها لمشاهدتها دون أن أجد الجرأة فى نفسى للحديث معها ، وقضيت أياماً عديدة أفكر فى كيفية الحصول على طريقة لفتح باب التعارف مع تلك السيدة الإنجليزية، حتى حصلت على فرصة ذهبية لم أتوقعها من قبل ، فقد أعد أحد أصدقائى الإنجليز حفلة كبيرة بمناسبة عيد زواجه الثامن ، ودعانى للحضور ، وقبلت دعوته لأننى كنت قد قضيت فترة فى عزلة ووحدة ، وذهبت للحفل ، ولم تمض ساعة على دخولى حتى دخلت تلك المرأة الإنجليزية ، ومن فرط تعجبى فقدت القدرة على الحديث ، وحتى حين تعرفت عليها بواسطة المضيف ، لم أتمكن من الحديث . كان يبدو لى أنها لم تتعرف علىّ ؛ لأنها لم تبد أى حركة تدل على معرفتها بى عند رؤيتى ، أو على الأقل مثلما فعلت أنا!

وجلست فى هدوء فى أحد الأماكن بالقاعة، لكنها لم تكن بعيدة عن عينى ، وكانت توسوس لى رغبة ملحة فى أن أهيئ المجال للحديث معها بطريقة ما ، وفى النهاية ، ومن منطلق أن الإنسان العاشق يفقد القدرة على المقاومة إزاء رغباته ، اقتربت منها أثناء تناول العشاء ، وكانت تتناول الجيلى ، فقلت وأنا خلفها بابتسامة رقيقة : آنسة... فالتفتت إلىّ، وقالت وهى تنظر لى بعينيها ذات اللون الأخضر :

–أنا أرملة يا أستاذ، إن كنت تقصدنى!

فقلت وأنا فى حالة من الحيرة والخجل: آه .. حقيقى أنا آسف، كنت أتخيل أنك آنسة !

وبابتسامة عذبة ويداها تمتد بجوارى ، قالت: أنا كيت كلى ، السيدة كلى ، فقلت وأنا أسلم عليها : أهلا بك ، أنا أرسلان وفائى ، ينادينى أصدقائى بأرسلان ، إحنا اتعرفنا على بعض قبل كده ، مش كده؟

قالت كيت وهى تفكر : مش فاكرة !

قلت : فى الملهى ! لقد هزمتنى .

فقالت مبتسمة : أنا هزمت ناس كتير .

فقلت لها : ربما أنا فاكرك كويس ؛ لأنى أول مرة أخسر فيها أمام امرأة .

وضحكنا ولا أعلم لم فكرت فى أن هذا الضحك سيكون بداية التفاهم بيننا ، وعلمت أثناء الحديث أنها من أصدقاء زوجة المضيف القدامى ، ولها سابق معرفة قديمة بتلك الأسرة ، وبالرغم من أننى كنت فى حيرة من كونها أرملة ، لكننى لم أتضايق ، فكونها أرملة أو آنسة لا يفرق معى فى شىء . كنت أحبها ، وكان هذا من وجهة نظرى يكفى للعشق النموذجى ، ولكن المشكلة هنا هى أننى لم أكن أعرف أى إحساس لديها تجاهى .

وبعد مضى ساعة أخرى سمحت لنفسى أن أسألها عن حياتها الشخصية ، وبعد قليل علمت أن زوجها فقد حياته على أثر حادث فى سباق للسيارات ، وعلمت كذلك أنها إحدى الأرامل الإنجليزيات ذات الثراء الواسع، وكانت تذهب أحيانًا إلى الملهى لشغل وقت الفراغ فقط ، وكان حديثها وسلوكها موضع إعجابى ، ولا أعلم كيف صرت أكثر ولهًا بها من ذى قبل ، وفى نهاية الليل حينما كان كل زوج يرقص مع زوجته، طلبت منى أن أرقص معها ، ومنحتنى مجالاً أكبر للتعرف عليها ، ووقت الرحيل وافقت على طلبى بلقاءات أخرى .

ومرة أخرى لم يسعنى جلدى من شدة الفرح ، واعتقدت أننى بينما كنت أحلق فى السماء للعثور على قرينتى ، تمكنت من العثور عليها على الأرض.

إننى أفصح عن مشاعرى وأحاسيسى للبعض كى يفهموننى ، للبعض ممن يعشق قلبهم. إنهم يفهمون جيداً ما هو هدفى حينما أتحدث عن خفقات قلبى السريعة . أهذا من عالم آخر أم من الخوف ؟ الخوف من أن أفتح عينى وأرى أن كل شيء وكأنه حلم أو رؤيا .

إننى أتحدث من خلال إحساس معروف ! إحساس يجعلك تشعر بالقرب منها رغم أنك غريب ! إحساس وكأنه يكمل نصف وجودك . يشبه العثور على مفقودك الذى قضيت سنوات فى البحث عنه ! إحساس يشبه السحاب فى سرعته ! إحساس مثل ترجيح الظلام على الضياء .

حقًا ما قالوه: "إن العاشق أعمى" ، فإن لم يكن أعمى فإنه يغلق عينيه عن عمد ؛ لأن الضوء يؤذى العيون الحساسة.

كانت تتملكنى حالة غريبة بجوارها ، فلو قدر أن أحيا فى صحراء ينعدم فيها الماء والطعام وأراها بجوارى فلا أخشى شيئًا .

مع أننى كنت أقابلها كل يوم تقريبا لكننى كنت غير راض. كنت قلقًا ، أخشى – لا قدر الله – أن أفقدها ، على الرغم من أنها اعترفت بحبها بعد مضى فترة من الزمن ، وحررتنى من قيد الشك والتردد .

وبعد أن أحسست بالطمأنينة من إحساسها بى ،ألبستها على الفور خاتمًا ، وطلبت منها أن تمنحنى الفرصة حتى أهيئ أسباب زواجنا ، وقبلت، وقضينا معًا أجمل أيام حياتنا ، ولم يساورنى الشك للحظة فى أننا سنكون سعداء ونحن معا .

الآن وأنا أفكر في الماضي ، وأسأل نفسي : كيف لم أفكر للحظة في هذا الموضوع، في أن أتزوج من امرأة أوروبية متحررة بلا قيود؟ امرأة تختلف معي في ظروف حياتها منذ الطفولة وحتى الكهولة كاختلاف السماء والأرض؟

وشعرت برغبة شديدة في وجود والديَّ بجانبي لإتمام مراسم الزواج فاتصلت بإيران ، وما أن سمعت زوجة أبي صوتي حتى انخرطت في البكاء ، ولم أتمكن من السيطرة على نفسي حينما سمعت صوت بكائها، انفجرت في البكاء وانهمرت دموعي لفترة وتذكرت من جديد: كان قلبي غافلاً عن أنني إيراني ، شرقي ، بنفس الانتماء والمشاعر والأحاسيس ، وقالت زينت : ولدي الحبيب ، مش من الواجب عليك الاتصال بنا لتسأل عن أحوالنا ؟ إنت ما تعرفش إزاى عدت علينا الأيام والليالي دى ! إنت الابن الوحيد لهذه الأسرة ، ونحن والداك . ألم يكن معنا الحق في إننا نعرف إنت بتعمل إيه ؟ إزاى بتقضي حياتك ؟ كيف حالك ؟ مش محتاج حاجة ؟ كويس ؟ اتكلم يا بني ! إنت بخلان عليَّ بصوتك ؟

لم أكن أرغب في أن تعلم زوجة أبي ببكائي ، فانتظرت برهة حتى أتمالك نفسي ، ثم قلت بصوت خافت : أماه ، على رسلك عليَّ ، إنت بكيت لدرجة أثارت أعصابي . قالت زينت في توسل : ارجع ، علشان تكون بجوار أمك ! ليه صوتك متغير ؟ إنت خدت برد ؟ هو الجو برد عندك؟ قلت ضاحكاً : الجو هنا في الغالب ممطر ، لكن ما تقلقيش أنا ما خدتش برد ، والدى عامل إيه ؟

قالت زينت :ده عجِّز وبقى كثير الشكوى ! أنا مش عارفة ، جايز حصل كده بسببك ! قلت ضاحكاً : هذا الذى لا تجرى مياهه ومياهي في مجرى واحد !! فقالت زينت في لوم : إنت بتقول إيه ؟ هو ما تعبش

علشـانك ؟ ما تتكلمش وحش عنه ! بيقـولوا إن أكل خـبـز الغـربـة يولد الكراهية ! ما فيهوش بركة ! ودلوقتى عدمت الدم وبتتكلم كده عن أبوك!! إنت ما تعرفش هو زعلان علشانك أد إيه !

قلت : وأنا كمان ، زعلان علشانكم !

– إمتى هتيجى علشان أشوفك ؟

– مقدرش ! أنا مشغول !

– ليه ؟ إنت بتشتغل إيه ؟

– كل حاجة وولاحاجة .

– يعنى إيـه ؟ على رأى أيوب أفندى ، هـو هنـا مش زى هنـاك ، والعمل اللى تقدر تعمله تشتغل فيه ؟

– ما تلومينيش تانى يا أمى ! أنا اتعودت على هنا.

– مبسوط فى حياتك ؟

– أيوة !

– الحمد لله ، لكن إيه اللى أثر فيك وخلاك تفتكرنا ؟

– أنا فاكركم دايماً فى كل زمان وفى كل مكان .

– يحرق أبوك ! رجعت تتكلم بالطريقة دى تانى؟ أنا أعرفك كويس، قل الحق !

كانت زينت تقول الحق . إنها تعرفنى أكثر مما تعرف الأم الحقيقية ابنها ؛ لذا قلت بصوت صادق دون رياء : أنا عايز أتجوز، واتصلت بيكم علشان أدعوكم لحضور مراسم الزواج .

قالت زينت بصوت مفعم بالسعادة : حقيقى اللى سمعته ؟ بتتكلم جد؟ ألف حمد وشكر لله ! لإنه استجاب لدعائى .

وسعدت لسعادتها وقلت لها : إنتِ دايمًا فاكرانى ؟ أنا هابعت مصاريف سفركم مع الدعوة ، روحوا السفارة وخدوا التأشيرة . أنا هتجوز فى الخامس والعشرين من نفس الشهر .

سألت زينت : مين عروستك ؟

قلت : مش إيرانية ومش ها تفهم معنى كلامك .

فقالت فى تعجب : وه ! وإيه اللى شوفته من اللى بيتكلموا لغتك وخلاك رحت تاخد واحدة بتتكلم لغة غير مفهومة ؟ فضحكت وقلت : كفاية يا أمى ! إيه الكلام ده ؟ هى إنسانة ، وأنا بافهم لغتها .

فقالت فى قلق : وإزاى إحنا هنفهمها ؟

قلت ضاحكًا : أنا هتكلم معاها وأترجم لكم ، إنتِ ما تعرفيش ياأمى إيه شكل العروسة دى ، لها عينين زى الربيع الأخضر وشعر ذهبى .

قالت زينت وهى سعيدة : أنا فداها ، فكل اللى تحبه نحبه إحنا كمان ، أتحبها كثيرًا ؟ قلت : أنا على استعداد أن أضحى بروحى فداء لها. إنت ما تعرفيش يا أمى أد إيه هى حنونة ! لو شوفتيها مرة واحدة هتحبيها!

وزينت التى كانت امرأة بسيطة حنونة ، قاطعتنى قائلة : مبروك عليك ! ولكن إنت ما فكرتش إن زواجك من امرأة ليست من نفس دينك يعتبر معصية ؟! فقلت فى استياء : إيه الكلام ده يا أمى ؟! لم أتوقع منك هذا ، ده كلام زمان ، والزمن بيتغير ، إنتِ ما سمعتيش إنهم بيقولوا إن

الناس سواسية ؟ ومع ذلك فأنا فكرت في الموضوع ده ، وكيت قالت لي إنها هتسلم علشاني ، هتكون زينا بالضبط ، وهي تعرف إني إيراني.

سألت زينت في دهشة : ماذا قلت ؟ كيف ؟

قلت مبتسماً : لا يا حبيبتي ، كيت ، اسمها كيت .

قالت زينت : ولكن يا بني ، مش هنسبب لك حرج ؟

قلت : أنتما تاج على رأسي . إيه الكلام ده ؟ هي هتسعد لرؤيتكما . اتكلمي مع والدي واقنعيه . وأنا في انتظاركما .

حينما وضعت السماعة فوق التليفون ارتسمت ابتسامة على شفتاي حين تذكرت بعض ما دار خلال المكالمة ، وعندئذ شعرت أنني مشتاق من أعماق قلبي للوطن .

الفصل الثامن

على الرغم من عدم وجود ضرورة لهذا الأمر، إلا أننى أفصحت إلى كيت عن حقيقة حياتى السابقة وزواجى غير الموفق بجيتى ، فلم أرغب أن يبقى شىء غامض فى حياتنا التى نبدأها بأمانة .

إننى كنت أعبدها ، وكأننى أحد عباد الشمس . قلت عابد الشمس ! نعم ، لقد أعادت إلى حياتى وقلبى الضياء والرونق الذى مات، وكانت سببًا لإقناعى بأن وجود العشق فى الحياة من الضروريات . كانت أنغام صوتها دافئة صافية ، وكانت تصرفاتها مخلصة حنونة !

كانت تقول – لأننى كنت أغار فى عشقى لها – إن زواجها السابق لم يكن قائمًا على أية عاطفة ، وإنها أجبرت على هذا الزواج تحت ظروف ما ، كما قالت كذلك إنها تعلم الآن معنى الحب والعشق المنزه ، ولن يستطيع أى شىء قط أن يبعدنا عن بعضنا سوى الموت ، وقلت لها إنها لم تعد بعد ذلك السيدة كلى ، بل ستكون السيدة وفائى ! وعلى الرغم من أن لقب عائلتها مك اينتاش ، لكننى كنت مصراً على أن أخلصها من كل الآثار السابقة التى تذكّرها بارتباطها بأى شخص آخر. وفى الحقيقة لم أرغب فى أن أفكر فى أنها أرملة مسكينة بسبب موت زوجها ، بل أحببت أن أتصورها آنسة ، أبدأ معها أول وآخر تجربة فى الحياة المشتركة . قلت لها اعتمدى علىّ ، ووعدتها بأننى سوف أمحو من ذهنها أى ماضٍ مقلق ، وأننى سأسعدها إلى حد يجعل النساء الأخريات يمتن من فرط الحسد ، ويأملن فى أن يكنّ محلها ولو ليوم واحد . قلت لها إنها لن تذوق طعم الحزن ثانية على أى شىء ، وأن تعهد إلىّ بكل شىء .

وبالرغم من أن كلاً منا قد تزوج مرة من قبل ، إلا أننى أقمت حفل زواج كبير ، ودعوت جميع الأصدقاء والمعارف للمشاركة فيه . ووصل أبى وزوجته فى اللحظات الأخيرة ، وسعدت كثيراً لرؤيتهما ، حتى إننى لم أتمكن من السيطرة على انهمار دموع اشتياقى لهما ، وحينما قدمتهما إلى كيت ، أبدت هى الأخرى سعادتها لرؤيتهما ، وسلمت عليهما بحرارة ، كما أننى كنت أتصور أن زينت قد سعدت بها للغاية ، هذا فى حين أن أبى كان متردداً بعض الشىء ، وكان واضحاً أنه جاء بعد إلحاح شديد من قبل زينت ، وهذا ما فهمته بعد ذلك .

حينما جلست فى السيارة بجوار كيت ، كنت لا أزال غير مصدق أننى قد تزوجتها ، وحينما صرحت لها بهذا الشعور ، ضحكت علىّ بصوت مرتفع ، وأكدت لى أن كل ما يحدث هو عين الحقيقة . وبعد الانتهاء من مراسم الزواج صممت على أخذ أبى وزوجته إلى منزلى ؛ لأن أبى كان مصراً على الإسراع بالعودة ، ولكن فضوله جعله يمكث قليلاً ليرى حياتى ، فهو لم يكن يعلم من أى طريق تمكنت من تشييد هذا القصر ، فعند رؤيته لمنزلى قال فى حيرة : أنا مش مصدق إن المنزل ده نتيجة كدك ! قوللى علشان أعرف إنت بتشتغل هنا إيه ؟ فقلت مبتسماً : أنا تاجر يا أبى ، ماتطلبش منى إنى أبوح لك عن أسرار تجارتى ، أنا آسف !

فسألنى ثانية : إنت بتشتغل فى تجارة حلال ؟

قلت : إنت بتشك فى كده يا والدى ؟

وقال وهو يتفحص جميع محتويات المنزل بينما يجلس فوق الكرسى الهزاز بجوار المدفأة : أنا مش مصدق لغاية دلوقتى إنك غنى كده وأنا ما عرفش ، واضح إنك ما قضتش الفترة دى بدون عمل ! فقلت بكبرياء:

على أية حال فأنا كنت ابن الحاج أيوب خان تاجر الفرش ، وكان العيب الوحيد في هذا العمل هو إنك لم ولن تتعامل معي فيه بشكل جدي .

قال الأب : سبب ذلك هو أنت نفسك ، فلم تبد قط قدرتك على العمل، وأنا سعيد لإنك إتجوزت ، ربما يكون وجود زوجتك دافعًا لك علشان ما تضيعش نتيجة كدك هباء.

وقلت بينما أضع يدي على كتف كيت : ريّح بالك فكيت نفسها تاجرة وتعرف قيمة الفلوس.

قال الأب : أتمنى إن حالك ينصلح مع هذه المرأة الأجنبية ، قصدت إنه بسبب هذه المرأة الأجنبية التي اخترتها زوجة لك لم أكن أصفح عنك قط ، ولكن بعد اللي شوفته من غناك وقدرتك على العمل ، فقد تغير رأييّ الآن . ورغم إني جيت حفل جوازك تحت إلحاح زينت ، لكني سعيد دلوقتي لمكوثي هنا كام يوم حسب رغبتك . أتمنى إنك تأخذ إيدي أنا وأمك، تلف بينا في البلد علشان ما نشعرش بالحسرة ، وتسعد قلبنا لإننا شوفنا أوربا وإحنا في أواخر عمرنا .

وكنت سعيداً من أعماق قلبي ؛ لأنني نلت التشجيع المباشر من والدي لمرة واحدة في عمري ، وكذلك لأنه لم يفهم قط من أي طريق جمعت ثروتي ، وهذا ما كان يعطيني المجال كي أشعر بإنسانيتي ، فعلى الرغم من أن أسلوب جمعي للمال مجاز وقانوني من وجهة النظر القانونية لهذه الدولة ، لكنني كنت أشعر بالعذاب من أعماق قلبي ، ودومًا كنت أهرب من تأنيب الضمير.

إن السعادة ليست شيئًا ملموسًا ولا قابلة للرؤية ، ولا ريب أن هذه المسألة مرتبطة بالأسئلة التالية : في أي شيء يمكن أن تبحث عن السعادة ! في الزوجة ؟ في المال والثروة ؟ في الشباب ؟ في الصحة ؟

فى الرونق والشهرة ؟ أم فى تحقيق الآمال الكبيرة ؟ وإن تكن فى أى منها، فقد ملكتها جميعًا ؛ فلدىّ زوجة أحبها بعدد نجوم السماء ! والمال والثروة يزدادان معى يومًا بعد يوم ! والشهرة نلتها بسبب مهارتى فى لعب القمار ، فقد اشتهرت بأننى اللاعب الذى لا يقبل الهزيمة ، وكان الكثيرون يطلبون منى الحضور أثناء لعبهم للمشاهدة فقط . إنه لشىء مضحك ، لكن البعض كان يعتقد أن حضورى سبب فوزهم أثناء اللعب ، وقد تكررت هذه المسألة لدرجة جعلتنى أصدق بأننى فعلاً الحصان الرابح ، وكان أول إجراء شهم اتخذته بجرأة بعد زواجى هو منع كيت من التردد على الملاهى ؛ فأنا رجل إيرانى متعصب ، وعليه لم أستطع أن أتقبل جلوس زوجتى أمام رجل أجنبى على مائدة القمار . وعلى الرغم من أننى قد تسببت فى بعض الضيق لكيت بهذا الإجراء ، لكننى كنت أعتقد أننى سوف أستطيع أن أخرجه من قلبها ؛ فالموضوع هو أنها كانت تضحك على بعض معتقداتى لدرجة أنها كانت فى بعض الأحيان تجعلنى أشك فى منطقية تلك المعتقدات ، كان هذا يؤدى إلى أن أفكر فى أننى إنسان متعصب وقاسى المسلك .

ورويداً رويداً ، وبعد مرور عدة أشهر على حياتنا الزوجية تمكن الخوف من قلبى . الخوف ليس فقط من أننى لا أستطيع أن أقلل من المسافة بيننا ، ولكن لأن هذه المسافة كانت تزداد بمرور الوقت ، وقد أوجدت بينى وبين كيت حبيبتى فجوة صغيرة ، ولا ريب أن كلاً منا كانت تتغلب عليه مشاعر العزة ، فلا يريد أى منا أن يتغاضى عن مطالبه إرضاءً للآخر ، على الرغم من أننى أتذكر أننى كنت أتغاضى دومًا عن كثير من الأمور، فلم أكن أستطيع أن أرى حزنها ، ولم أكن أتحمل العيش بدون حبها .

أحيانًا كانت تبدو بريئة ، حتى إننى أقول بجرأة إن أى شخص لم يكن يستطيع أن يرى نظرتها البريئة ويصر على تنفيذ مطالبه .

لا أعلم ، لعلها كانت تعرف جيداً نقاط الضعف لدى الرجال الشرقيين . وأيًا ما كان ، إنني لم أستطع تحمل نظرة عيونها الخضراء، ولو أصف ضعفي فإنني أعترف أنني كنت ضعيفًا أمامها ، خاصة وأنني لم أكن التجربة الأولى لزواجها ، بالإضافة إلى أن كلامها مصدق عني في بلدها ، وهذا ما كان يجعلني أهرب دومًا من النقاش معها ، وغالبًا ما كنت أغير دفة الحديث بأى صورة ، وكان هذا مثالاً لعاشق لا حيلة له ! ووفقًا لقول والدى "كل من يأكل الحنظل يجلس مرتعش الأقدام". وإذا ما رغبت في زوجة أجنبية ، فلابد وأن أخضع لقوانينها، وطبقًا لأحكام هذه الدولة لم يكن في استطاعتي أن أمنع زوجتي من العمل ، كذلك لو أن أى شخص يرغب في أن يعيش بمفرده لا يحق للآخر أن يمنعه .

وأخيرًا انتبهت إلى كنه القضية ؛ فكنت أرى بعيني نساءً ورجالاً في نفس الوقت الذى يكونون مرتبطين بالزواج فيه يعدون آخرين بالزواج، وبعد ذلك ينفصلون عن أزواجهم ، وبينما كنت أضحك على هذه العادات والتعاملات كنت أشاهد في الأسبوع التالي نفس المرأة أو الرجل مع شريك حياته الجديد منهمكين بالحديث مع أزواجهم السابقين بشكل عادى .

وقلت لنفسي : ما هؤلاء الناس ؟ يعشقون بجنون ، وينفصلون عن بعضهم في هدوء ، ويذهبون بعد أسبوع لرؤية أزواجهم السابقين وفي أيديهم باقة من الزهور ؟!

كان هذا من وجهة نظرى نوعًا من الإهانة إلى الإنسان والإنسانية، فمن وجهة نظرى أن الحيوانات فقط هى التي تستطيع أن تكون كل لحظة مع شخص آخر .

وتدريجياً كانت فلسفة الزواج هنا موضع استفساري، وفي نفس الوقت كنت مطمئناً تماماً على أنني قادر على أن أغير كيت ، وانقضت فترة طويلة حتى تمكنت من إفهامها بأن الرجل أو المرأة في تقاليدنا ليسا زياً أو طعاماً حتى يتم تغييرهما ، وتحدثت معها عن مكانة المرأة وشأنها ، وكذلك عن مدى الحس المرهف لدى الشرقيين ، وخاصة لدى أهل إيران ، تجاه المرأة والأبناء . ولا ريب أنها كانت تنصت إلى حديثي، لكنها كانت تنظر إليّ غير مصدقة ، لأن إذن الزوج لم يكن له من معنى من وجهة نظرها ومن وجهة نظر مجتمعها ، فمن وجهة نظرها أنها إنسان حر ، بالغ ، وحتى في حالة ما إذا كانت آنسة، فهي ليست في حاجة إلى إذن الأم أو الأب .

لا أعلم كيف تمكنت من الزواج بكيت بالرغم من وجود هذه السمات الأخلاقية ؟ لقد كانت حقيقة مرة وكنت أحاول تقبلها بصعوبة : فنحن شخصان مختلفان تماماً ، إذا ما اجتمعنا يؤذي كل منا الآخر . ولا شك أن كيت كانت تمتلك الشجاعة أكثر مني لأنها سرعان ما تحدثت عن هذا الأمر. لقد كان صعباً عليها جداً حين منعتها من السباحة على الملأ العام ، فقد كان يجن جنوني حين كنت أراها تشتاق للعوم . كيف كنت أستطيع تقبل فكرة أن تقوم زوجتي ، شريكة حياتي ، حبيبتي ، بالعوم في البحر بذلك الجسد الممشوق ، وتلتفت إليها عشرات العيون؟!

ومن سوء الحظ أن الجميع هناك كانوا يضحكون على مشاعري ومعتقداتي ، حتى إنني أتذكر أن أحد أصدقائي قال لي : حينما تعيش في هذه الدولة ، وتزوجت من أجنبية ، يجب أن تحترم عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم !! وإلا سيشار إليك بالبنان ، وسوف تلحق المرارة بحياتك . لم لا تستفيد أنت الآخر من هذه الحرية؟ فلتدع كيت لحالها ، أنت زوجها مش سجانها ! أنا عايز أقول لك إن لكل امرأة طاقة ، ما تخليهاش توصل لمرحلة تندم فيها على كل اللي عملته !

لعلكم لا تصدقون ! لكننى كثيراً ما حاولت أن أنظر إلى هذا الموضوع بعيونهم ، ولكننى لم أستطع. وحينما كنت أصغى إلى كيت كانت تقول لى إننى أراك تغير بشدة ، كانت تقول إنها لا تستطيع أن تعيش مع رجل يشك فى السماء والأرض، هذا فى حين أننى لم أكن أرغب فى أن أكون باعثًا لعذابها ؛ لأننى كنت أهيم بها عشقًا ، لكنها لم تكن تفهم معني هذا العشق الطاهر ، وكانت تظن أننى مريض ، وهذا الظن كان كافيًا لزيادة الفجوة بيننا ؛ فأنا الذى تزوجت كيت أملاً فى حياة سعيدة ، كنت أشعر بوضوح بالفتور الذى كان بيننا .

كنت أعلم أن الأوضاع سوف تزداد سوءًا بمرور الوقت ، وكان هناك حل واحد لتحسين هذه الأوضاع وهو تقبل تقاليدهم ، وكانت كيت تريد ذلك أيضًا .

الفصل التاسع

لم يمض طويل زمان حتى علمت أنني لا أستطيع أن أسيطر على كيت ، لذا تركتها لحالها. وفي الحقيقة أنني كنت قد سئمت من الشجار والجدال ، وكنت أريد أن أعيش حياة هادئة بلا مشاكل . كنت أريد أن تكون زوجتي في انتظاري حين أعود إلى المنزل ، وأن تأتي لاستقبالي من منطلق العشق والحب ، ومعها باقة من الزهور . لم أرغب ثانية في أن أظل لساعات بعد عودتي إلى المنزل مترقبًا الباب في انتظارها . كنت أرغب في منحها الحرية لأحظى بالحب . لم أكن أرغب في أن أكون سببًا لعذابها . كنت أرغب أن تنظر إليّ ثانية مثلما كانت تنظر إليّ في الأيام الأولى لتعارفنا ، وأن تهمس في أذني بهمسات العشق . فأنا رجل، رجل شرقي المشاعر ، بعيد الآن عن أهله وأسرته ووطنه ، وحب امرأة هو فقط الذي كان يستطيع أن يملأ فراغه .

وعلى أية حال ، كانت تبدي سعادتها من هذه الخطوة التي خطوتها في سبيل إيجاد التفاهم بيننا ، لكنها كانت بعيدة عني ، وكانت تعتزلني كما كان في السابق ، وما كان يبعث الوحشة والقلق بداخلي هو معتقداتها ، المعتقدات التي كانت تتحدث عنها ببرود جم كانت تجعل الشعر يقف على جسدي . لا تُنسى من ذاكرتي قط تلك الليلة حينما عدت إلى المنزل ومعي باقة من الزهور ، ومكثت في انتظارها . وانقضى الليل حتى نصفه وبعدها عادت إلى المنزل ، وحاولت أن أتمالك نفسي وألا أهيئ المجال للشجار كالليالي السابقة ؛ لذا رددت عليها تحية المساء بلطف ، وساعدتها في خلع البالطو ، وطلبت منها أن تجلس ، لكنها – وقبل أن أبدأ في الحديث – حثتني على الصمت بحديثها عن الحفل :

– أوه يا عزيزى ، بجد كانت حفلة مفيش زيها. جاكلين بالغت أوى فيها، وحش أوى إنك ما تجيش معايا الحفلات دى وتشغل نفسك فى الوحدة، تعرف ؟! الدور علىّ بعدها ! مفروض إنى أدعوهم كلهم لحفلة، هتكون حفلة كبيرة، وإنت كمان ممكن تدعو أصحابك، لكن على شرط ما تكونش زعلان ، لازم تكون سعيداً ، إحنا عندنا عدد كبير من الأصدقاء يخلينا نقدر نعمل حفلة أو نحضر حفلة فى كل يوم من أيام السنة، إنت عارف إن أنا بأعشق الحفلات، الحفلات الكبيرة ، والرقص ، والأوركسترا ، والموسيقى، يا إلهى، الإنسان اللى بيحس بكده هيكون شباب دايمًا . وأنا دايمًا أفكر، إزاى تقدر تعيش بدون رقص أو موسيقى؟ ألم يصبك الرتم الواحد والهدوء ده بالعذاب ؟

وجلست بهدوء ، وظللت مصغيًا لها حتى ذهبت إلى الحمام ثم استعدت للنوم ، فطرقت باب الحجرة ودخلت ، وكانت مشغولة بتجفيف شعرها . وقالت عند رؤيتى : أنا متشكرة علشان الورد ، إنت لطيف معايا .

قلت بهدوء وبلا مقدمات : أنا عايز أتكلم معاكى .

فكفت عن تجفيف شعرها ، وجلست على حافة السرير ، وجلست أنا أيضًا على الكرسى المقابل لها ، وقلت : كيت أنا فاهم أد إيه إنت بتحبى الحفلات ، لكن يا عزيزتى فات دلوقتى على جوازنا تسعة شهور ورغم كده ماأكلناش مع بعض تسع مرات .

قالت كيت فى استياء : إنت تقدر تيجى معايا الحفلات.

قلت وأنا أحاول التحكم فى نفسى حتى لا يتملكنى الغضب : أنا مقدرش آجى معاكى الحفلات دى ، وألقت كيت بالمنشفة فى عصبية على حافة السرير ، وقالت : إنت مضايق من أصحابى ؟ فقلت على الفور :

إنت غلطانة ، أنا مستاء جداً . ونهضت كيت من مكانها.ووقفت أمام المرآة وتوجهت إليها ، وقلت لها بينما أنظر إليها فى المرآة: كيت ، أنا مش معارض مرواحك ومجيك ، أنا عايزك بس تفكرى فىّ وفى حياتنا ، ده مطلب صعب ؟

وعادت كيت ناحيتى وقالت : أنا بافكر فيك ، ولو كان العكس ما كنتش إتجوزتك ، وإنت، كل ما تشوفنى مع أصحابى تتصرف تصرفات مش كويسة.

وسحبت يدى بين شعرى ، وقلت بابتسامة غاضبة : يا إلهى ، إيه اللى إحنا بنقوله ده ؟ إحنا بنتعارك مع بعض زى الأطفال ، إحنا زوج وزوجة مش كده يا كيت ؟ لكننا حتى بنّام فى حجرتين منفصلتين ، كل واحد بياكل لوحده ، وبنعيش حياتنا منفصلين تماماً عن بعض ، أنا أفهم إن الوضع ده يستمر طالما أنا على خلاف معاكى ، أما إنك تكونى كده دايماً فدى حماقة ، إنت زوجتى ، لكنك بتفضلى لغاية نص الليل برّه البيت ! فى عاداتنا لازم الست تطيع جوزها ، ومسئوليتها هى رعاية جوزها وولادها ، لما يرجع جوزها للبيت لازم تكون فيه ، حتى ولو كانت بتشتغل برّه البيت.

فقالت كيت فى عصبية : عاداتنا ! عاداتنا ! أنت دلوقتى فى دولة تبعد عن وطنك مئات الفراسخ ، أنا مقدرش أشتغل فى البيت من الصبح لغاية الليل زى الخدامة اللى ملهاش أجر ، وفى الآخر أسمع كلامك اللى ملهوش معنى ، فى دولتنا للمرأة حق وأجر .

فقلت مبتسماً : اتكلمت عن حقك وأجرك . مش لازم تكررى الكلام ده تانى ، أنا ماكنتش عارف إن الستات هنا بياخدوا أجر على أعمالهن المنزلية ، ما أكثر الخدم فى البيت ده ، لو حصل وأعدتى فيه كل اللى

هتعمليه إنك تراقبيهم بس، المرأة عندنا ليها مكانة مقدسة وليها شخصيتها المستقلة، مش ممكن نوفيها حقها فيما تتحمله من تعب . إيه اللي إنتِ تعرفيه عن الجواز ؟ الجواز قانون ، وكل اللي تقدري تعمليه إنك تلتزمي في إطاره ، وواضح إنك حتى مش قادرة تتعهدي بالتزامك، النهاردة إنتِ في مكان وبكرة في مكان تاني .

وبدا أن كيت لم تستوعب شيئاً من حديثي ، لذلك رفعت كتفها، وقالت : مفيش حاجة من كلامك دخلت دماغي ، لكن لازم تعرف إن إحنا زوج وزوجة ! بنعيش مع بعض ! لكن مش لازم يتدخل أي واحد فينا في شئون التاني ، أنا مش فاهمة حاجة من اللي كلمتني فيها ، أنا مش عارفة ليه الست لازم تعيش أسيرة الراجل ؟ أنا مش موافقة على أن تكون المرأة في قيد الرجل ، تنفذ احتياجاته فقط . أعتقد أن الجواز في عرفكم هو الاستسلام لحماقات الرجال بس ، وإنجاب طفل كل سنة ، واندهشت من أسلوبها في التفكير ! ولكي أتأكد من هذه المسألة سألتها: يعني هذا أنك بتنكري أن الزوج وزوجته شركاء في السراء والضراء ؟!

وضحكت كيت وقالت : يا إلهي ، لا ، إنت عارف إني كاثوليكية متعصبة ، إنت حطيت إيدك على نقطة ضعفي، الجواز يعني المشاركة ، لكن المشاركة في كل شيء ، ما تشكش في إيماني بالمسألة دي ، وإحنا في الواقع مش شركاء ، فعلى الأقل أنا مبدخلش في شئونك زي إنت ما بتتدخل في شئوني ، فمثلا أنا ماحبش أبداً إن يكون جوزي لاعب قمار رغم كده أنا ما شتكتش من الموضوع ده ، صدقني صعب عليّ جداً إني أرد على أصحابي عند سؤالهم عن طبيعة شغلك .

ولأول مرة تلألأت بارقة أمل في عيني ، وسعدت لأنها تشكو من شيء يتنافى والأخلاق ، وكانت هذه نقطة إيجابية اكتشفتها في سمات كيت ، فمسكت بكتفها ، وسألتها: حقيقي اللي قولتيه ده ؟

قالت كيت وهى مندهشة : أيوة ، أيوة اللى قلته حقيقى . أنا دايماً بنظر للموضوع ده على إنه شيء ترفيهى ، مش على إنه عمل دائم!

وقبلت جبهتها ، وقلت : أنا كمان كنت بفكر فى كده ، ولكن طالما إنى عرفت وجهة نظرك فأنا هسيبه فوراً .

قالت كيت: فى الحقيقة المسألة متفرقش معايا، أنا قلت رأيىّ فقط ؛ فقلت فى لطف : لكن الموضوع مهمه بالنسبة لى . رغباتك ومقترحاتك مهمة بالنسبة لى ، دلوقتى تقدرى تساعدينى فى الحصول على شغل مناسب ؟ وفكرت كيت قليلاً ثم قالت : كويس ، إنت عندك رأس مال ، وأنا ما عرفش إنت تملك أد إيه ، لكن فيه صديق لىّ يقدر يساعدك ، هو عنده شركة وعايز مدير ذا كفاءة لعقد الاتفاقيات ، لو عايز ...

فقلت على الفور وأنا أتذكر أصدقاء كيت : لا ، شكراً ، أنا هفكر فى الموضوع ده ، وفهمت أنها استاءت منى ، ولكننى فى الواقع لم أكن أستطيع أن أدخل فى عمل مع شخص تحدثنى هى عنه .

حقيقة أن اقتراح كيت كان باعثاً مفاجئاً لى للتخلى عن لعب القمار ، بالضبط وكأننى كنت منتظراً الفرصة ؛ لأننى لم تعد لدىّ الرغبة ثانية لهذا الأمر ، كنت أشعر بإحساس الضياع وعدم الاستقرار ، كنت أقضى أوقاتى منذ الصباح وحتى المساء وسط الدخان والثمالى والمتشردين والمفلسين ، ودوماً ما كنت أنفر من نفسى بسبب استمرارى فى هذا الأمر. وعندما انصرفت عن هذا الأمر شعرت وكأننى قد حررت روحى من أسرها. لا ريب أننى التزمت بما عاهدت نفسى به ، ولم أجلس ثانية على مائدة القمار، وكانت هذه أول وآخر تجربة سيئة مررت بها فى الغربة. وجدير بالذكر أنه بعد التخلى عن عادتى صرت وحيداً

أكثر من ذى قبل ، لأننى قلما كنت أقابل أحداً من أصدقائى ، كما كانت كيت أيضًا مشغولة بعملها ، ولم تكن تمنحنى الفرصة قط لكى أتبادل معها أطراف الحديث ، وإذا ما جلسنا سوياً للحوار لم نكن نفهم حديث بعضنا البعض ، وتكون النتيجة هي الإحساس بالأسى.

أعترف أن تلك الأيام ، أيامٌ كنت أشتاق فيها للتواجد بجوار شخص من نفس لغتى ، كى يجلس أمامى ويفهم رباعية من الشعر الإيرانى العذب ، كي أتذكر أشعار حافظ بصوت والدى الخافت المؤثر . لقد كنت كسولاً دومًا في قراءة الشعر ، وكنت أفضل فقط الاستماع خلسة إلى ما يتردد على لسان والدى منها ، والآن لا أفهم لم تحرك أشعار حافظ حزنى الداخلى إلى حد يحثنى على البكاء الشديد ؟

- حجاب وجه الروح يصبح غبار جسدى ،
- ما أسعد تلك اللحظة التى أرفع فيها الحجاب عن ذلك الوجه.
- إن مثل هذا القفص لا يناسب من هو مثلى عذب الألحان،
- وأمضى إلى روضة الرضوان ، فأنا طائر تلك الروضة.
- ولم يتضح لِمَ جئت وأين مضيت؟
- وا أسفاه لأننى غافل عن نفسى (١) .

وقدمت ما لديّ من مال إلى أحد أصدقائى الذين يعملون هناك فى تجارة الخشب . وبعد وقت قصير صرت شريكـًا له فى رأس المال ، وذلك من الأرباح التى حصلت عليها ، وكان يحدونى الأمل فى المستقبل

(١) من أشعار لسان الغيب لحافظ الشيرازى .

وكنت سعيداً حقًا لأنني انهمكت في العمل ، وكان لتجارة الخشب سوق رائجة هناك نظراً لأن إنجلترا تشتهر من بين دول أوربا بإنتاجها له، كما كان صديقي يبدى رضاه الشديد عن عملي ، وكنت أعلم أنني لو أصبر قليلاً سوف أصل إلى النتيجة المرجوة ، كما كان صديقي أيضا تحدوه آمال كثيرة وعلى ما يبدو أنني أصبت الهدف حقــاً .

الفصل العاشر

وفى فترة قصيرة - كانت من وجهة نظرى طويلة جداً - تمكنت من الوصول إلى هدفى القديم بالعمل والسعى ، جعلت من نفسى تاجراً موفقًا من خلال التجارة التى توارثتها عن أبى . تاجرٌ إذا ذهب لعقد اتفاقيات الخشب لم يعد خالى الوفاض ، وبعد فترة - وبشكل سرى تمامًا - حصلت على عرض مغر للعمل فى إحدى شركات الخشب ، لا شك أننى كنت أكثر راحة ؛ لأننى أعمل مع صديق لى ، لكن عرض هذا التاجر الإنجليزى كان يشغل بالى ، وكنت أحصل فى الشركة مع صديقى على الثلث من الفائدة ، فى حين كان عرض ذلك التاجر الإنجليزى شيئًا آخر، فكانت الفائدة تزيد عن النصف تقريباً، بالإضافة إلى النسبة المئوية التى أحصل عليها عن كل عملية . وحينما عرضت موضوع فض الشركة على صديقى الذى كان يتولى منصب مدير الشركة، نظر إلىّ ثم قال : أرسلان ، أنا مش هاكدب عليك ، وجودك فى الشركة حقق لها مكاسب كتيرة ، وأنا فاهم كويس إنك تاجر محنك ، وكل مكان ليك فيه شغل ، وعارف كمان إنه تم تقديم عرض جيد ليك ، وعلشان كده عايز تسيبنى ، لكن إنت ما تعرفش إن اتنين من نفس اللغة يفهموا بعض كويس ؟

فسألته : إنت عرفت منين إن مقدم العرض أجنبى؟

فضحك وقال : لأنى ياصاحبى أعرف أسماء جميع التجار والشركات المنافسة ، وأعرف كمان إن مفيش إيرانى بيشتغل فى المجال ده غيرى .

فقلت له معتذراً : إنت تعرف إني إتجوزت ، ولازم أفكر في رفع مستوايا ، أنا مقدرش أفضل كده مكتفي بوضعي الحالي .

فقال صديقي : معك حق ، لكن زي ما بنقول الطاحونة في دورها ! منين جالك إنه هيلتزم بتعهداته إليك ؟ إنت بالنسبة له أجنبي ، وأنا ما شوفيتش ناس أبداً زي الأوربيين بيعبدوا جنسهم، أنا إتعاملت معاهم، لو حبوا يسلخوا جلدك ، وربنا بس اللي يرحمك ، ولو خدت القرار ده، أتمنى لك التوفيق، وأنصحك بأن تحافظ على طاقتك ، أنا مقدرش أديك أكثر من اللي بتاخده ، لكن خلي بالك ، سلام الثعلب لا يخلو من الطمع ، فإن أكلنا أنا وإنت لحم بعضنا هنحافظ على العظام ، لكن الأجنبي مش كده مع الغريب عنه !

وفكرت لفترة في حديث صديقي ، لكنني لم أستطع التخلي عن العرض الجديد، و لا أعلم لماذا لم أستطع أن أصرف نظري عن عرض ذلك التاجر الإنجليزي مع إيماني الراسخ بأن حديث صديقي منطقي وخال من الرياء؟ حسنًا ، فهم يقولون إنها الأموال ، والمال له فوائد عديدة، فهو وسواس بلا ضمير، وأحيانًا ينحدر بك من القمة إلى أسفل . والبعض أيضًا يقول إن المال يدنس اليد ، ولكن هم أنفسهم يقومون بعمل أي شيء من أجل المال . ولنتغاضى عن ذلك ، فقد كان هذا العرض موضع اهتمامي ، لأن كيت أحسنت معاملتها معي بمجرد سماعه ، وهكذا ظلت عدة أيام كما كنت أريد ، وبالإضافة إلى ذلك كانت تهمس في أذني دومًا بأن هذه الفرصة لن تتأتى لنا ثانية . وفي النهاية ، ولأنني كنت أفكر في استقرار أسرتي ورضا زوجتي ، قبلت العرض .

والآن انطوت فترة الابتعاد والتكدر ، وكنا أنا وكيت زوجين متحابين، يعيشان معًا بصورة جيدة رغم نقاط الضعف الملموسة في علاقتنا . الآن نحن مثل كل الأزواج والزوجات ، نسافر سويًا ونحضر

الحفلات سوياً ، كنا نجلس معًا مثل الكثيرين للحوار، ويبدى كل منا تعاطفه تجاه الآخر ، لكنى كنت أفكر حتى ونحن فى أسعد أوقاتنا فى مسألة ما، وهى كيف تغيرت كيت على هذا النحو دفعة واحدة ودون مقدمات ؟! ولا ريب أن ما كان يهمنى أكثر من تغييرها فى تلك الفترة هو تغيير أسلوبها. وكان تغييرها سببًا فى أن أغير أنا أيضًا بعض انطباعاتى فيما يتعلق بشخصيتها.وفى النهاية ، وحتى أهدأ من فكرى، قلت لنفسى : إن هذه سمات بارزة فى النساء، حينًا يكنّ كالطوفان الجامح المدمر ، وحينًا آخر يكنّ مثل بركة هادئة ساكنة ، ويكفى فقط ألا تكترث بهن وأن تمتدح دومًا قدراتهن .

وكنت أزهو بنفسى لأننى فى الغالب قد تمكنت من إدراك نقاط الضعف لدى كيت ، وانقضت فترة تمكنت بعدها أن أصير رجلاً خبيراً ذا مكانة ، وأصبحت الآن أحد الدعائم الأساسية فى الشركة ، بالإضافة إلى أننى كنت شريكًا فى الربح والخسارة ، وكنت أيضًا الباعث الأول لإرباح الشركة ، وبناء عليه فأنا محق لو أقول إننى كنت الدعامة الأساسية للشركة ، وبالتالى تحسن وضعى المالى عن ذى قبل ، وكان هذا أمراً مرضيًا إذا ما قارنته بمصدر دخلى السابق من الملهى . وعلى أية حال، كانت صداقتى لبعض الرفقاء الإنجليز ذات تأثير كبير ، وتدريجيا نسيت التعصب السابق بعد مشاركتى لحفلات البعض منهم . وفى المقابل كنت أرد حفلات أصدقائى بإعداد حفلات فخمة، وهذا ما أدى إلى اقتراب كيت منى أكثر، وكنا نقضى معظم الليالى حتى الفجر إما فى الحفلات أو فى استقبال الضيوف فى منزلنا .

وفى الحقيقة، لو لم يكن المنزل أمام عينى بعد كل حفلة بمثل هذه الصورة الفوضوية غير المنظمة ، لما كنت قد صدقت أن هذا الوضع هو

عين الحقيقة . ويومًا بعد انتهاء كل حفل كان ضميرى الوسنان يوخزنى، ويؤنبنى على موت أصالتى ، وفى مثل هذه الأثناء كنت أحاول الهروب من نفسى ، مما كنت فيه ، ومما أكون ، كنت أقول لنفسى دومًا: لعله غدًا ، لعلنى أفكر فى ذلك غدًا . ولكن الغد كالأمس ، والأمس ككل يوم . كنت أسير حتى أغرق فى دوامة الإفرنج المليئة بالأمواج دون أن أطلب مساعدة المنقذ .

وتوسعت فى العمل لدرجة اضطررت معها للسفر الى أقصى بقاع الدنيا لعقد الصفقات ، وسافرت إلى اليونان ، وفرنسا ، وإيطاليا ، وأمريكا ، والسويد ، والنرويج ، واليابان والعديد من الدول الأخرى . وبالرغم مما كان يعود علىّ من أموال طائلة مقابل هذه الأسفار ، إلا أننى كنت غير راض عن السفر ، لكن شريكى الإنجليزى كان يرى أننى الوحيد الذى يستطيع القيام بهذه الأعمال، وكان دومًا يضرب على أوتار مشاعرى العاشقة للمال بتقديم عروض أفضل من ذى قبل . حقيقة ما يقولونه كلما ازددت ثراءً كلما ازدادت رغبتك فى المال .

ورغم قدرتى على تدبير نفقات سفر أسرتى فى كل مرة ، لكن كيت لم تكن ترغب فى مصاحبتى خلال هذه الأسفار، وكانت حجتها عدم تحمل الوحدة. كانت تقول: إننى أشعر بالوحدة حينما تكون مشغولاً فى عملك فى هذه الدول الأجنبية . وما كان يحدث هو أننى كنت أسافر وحدى وأعود محملاً بالهدايا التى تزيد فى كل مرة عن المرة السابقة عليها .

وكان لزامًا علىّ السفر إلى إيران لإبرام إحدى الاتفاقيات الخاصة بالخشب ، وكنت سعيداً ومضطرباً فى آن واحد ؛ لأننى لم أكن أستطيع أن أعلم ماذا سيحدث بعد هذه المدة الطويلة وأنا بعيد عن الوطن، فإذا

ما سافرت سأرى أسرتي وأهلي ، ولكن من ناحية أخرى لم أكن أستطيع أن أغادرها بمثل هذه السرعة لأن إيران هي وطني الأم ، وعجزت عن إيجاد حل حتى ساعدتني كيت في اتخاذ قراري ، وكنا في تلك الليلة نتناول وجبة العشاء ، فسألتني : إيه الموضوع يا حبيبي؟

قلت : مفيش حاجة مهمة ؛ فسألتني : مش مهم لدرجة إنك متقولهوليش؟ فرجعت للخلف ، وقلت : في الحقيقة عرض عليّ السفر إلى إيران لعقد اتفاقية لاستيراد الخشب منها .

فقالت كيت بنظرة يملؤها الدهشة : المفروض إنك تكون سعيد ! لكن إيه اللي مخليك حزين ومهموم ؟!

قلت : أنامش حزين ، أنا بس متردد ، في الحقيقة أنا عارف إني مش ممكن أقدر أتغلب على مشاعري ، تعرفي كام سنة بعدت فيها عن وطني؟ وبعد كل الفترة دي مقدرش أستنى أكثر من عدة أيام . من المؤكد أن أسرتي مش هتعذرني . قالت كيت: كويس ، إستنى فترة أطول .

قلت : مقدرش ، لازم أوصل الاتفاقية للشركة .

قالت كيت : اتكلم مع شريكك، ولو قبل سلم الاتفاقية للمندوب اللي هتاخدوا معاك وخليك إنت في إيران كام يوم .

– فكرت قليلاً ثم قلت : من غيرك ؟

– انتظرت كيت قليلاً ثم قالت : أنا ما شوفتش إيران لغاية دلوقتي...

– فقاطعت حديثها وقلت : دي فرصة كويسة ، أنا هوريهالك ، وشعب إيران عشري ومضياف، اطمني مش هيكون سئ بالنسبة لك ، وكمان والدي ووالدتي هيسعدوا كتير لما يشوفوكي .

وقـرأت التـردد فـى نظرتـهـا ، ونظرت إلىّ بنظرة أحـسـسـت من خلالها أنها رأت فى عينى الشوق والحنين ؛ لأنها قالت : يعنى عايز تقول آجى معاك ؟ فمسكت يديها وابتسمت .

وحينما تأكدت من موافقتها ، أعددت الترتيبات اللازمة لسفرنا إلى إيران ، وقبل أن يتم ذلك اتصلت بإيران تليفونياً وأخبرتهم عن قدومنا ، وفهمت من صوت أمى أنها سعدت للغاية ، فقد سألتنى بعد أن انهمرت فى البكاء المتواصل عن صدق ما أقول ، وبعد ما اطمأنت سألت عن موعد وصولنا .

كانت مشاعرى كلها فى شوق لحضن أبى وأمى الدافئ ، فى شوق لهذا الجو ، لتلك الأرض ، لهؤلاء الناس ، لذلك المنزل .

وبعدما جلسنا فى الطائرة ، قالت كيت : أحب أوى أشوف البيت اللى كبرت فيه ، هو شكله إيه ؟

قلت مبتسماً وأنا أتذكر المنزل : بيت قديم ، بجدران أسمنتية وشبابيك ، وكبير جداً .

سألت كيت : أكبر من بيتنا ؟

قلت : أيوة ، أكبر ، هيعجبك .

وضغطت على نفسى ، وحتى لا يفتضح أمرى أغمضت عينى وتظاهرت برغبتى فى النوم .

وفى النهاية وصلنا إلى إيران بعد اثنين وعشرين ساعة ، وحينما هبطنا من الطائرة كان الجو ممطراً ، وبلغت مشامى رائحة طيبة بسبب امتزاج ماء المطر بالتراب ، رائحة كنت أنا الوحيد الذى أستطيع إدراك

كنهها . و قالت كيت : ليل طهران جميل. وقلت لها : إنت شوفتى فيها حاجة؟!

ونظرت إلى الساعة ، وكانت الثالثة بعد منتصف الليل ، ولم أستطع الانتظار ، وكانت أسرتى قد جاءت لاستقبالى ، وجاء جميع أفراد الأسرة لاستقبالى ، كل من أعرفهم .

الفصل الحادى عشر

كان أبى مرتديًا طاقيته ذات الحافة وأمى بجواره تنهمر دموعها ، وخلفهما أختاى مع زوجيهما ، تمسكان فى أيديهما أطفالهما ، وعمى بشاربه الكبير يتوكأ على عصاه ، وعمتى آهو بعينيها الضيقتين ، وكانت تحاول بصعوبة الرؤية بهما علىّ من أمامها ، كل هؤلاء كانوا قد جاءوا لاستقبالى ، وهذا ما لم أكن أتصوره . وقدمتهم إلى كيت وقلت : كيت ، أهلاً بك فى بلدنا ، الجميع فى انتظارنا ، أراهن إن معظمهم جه علشان يشوفك ؛ فسألت كيت فى حيرة وتعجب : كلهم ، علشان ...

وضحكت بصوت عال ، وقلت : إحنا لنا عادات وتقاليد فى آداب الاستقبال والتوديع وحاجات تانية كتير هتفهميها بسرعة .

فقالت فى حيرة : كل دول كفاية لإتمام مراسم عقد جواز ؛ فقلت فى كبرياء : إنت شوفتى حاجة ؟ إحنا أسرة كبيرة .

واكتفت بقولها " يا إلهى " وسارت معى ، وقدمت أختى الثانية باقة من الزهور إلى كيت ، ورحبت بها بالفارسية ، وقبلتها بهدوء ، كما قبلنى أبى وأمى ، ثم ضمت أمى كيت إليها بحرارة ، وتخيلت أن كيت سوف تستاء ، لكن على عكس ما توقعت ، ابتسمت لأمى وشكرتها على الرغم من أن أمى لم تفهم كلمة من حديثها .

وكانت عمتى آهو تمضى إلى الأمام وإلى الخلف كى تتمكن من رؤية كيت بصورة أفضل ، وفى النهاية قالت : يا حاجة دى عينيها زى القطة . واعترضتها أمى على الفور قائلة لها : مرات ابنى جميلة زى القمر ، متقوليش قدامها الكلام ده لحسن تزعل .

فقلت وأنا أضحك : هى ما بتفهمش لغتنا، سيبى عمتى يا أمى.
قالت الأم : يا بنى ، دى بقت واحدة منا ، ويجب احترامها.

ووجهت حديثى إلى عمي : عمى الحبيب ، أنا مش موافق أصلاً إنك تيجى هنا فى الوقت ده من الليل .

ووضع عمي يده على كتفى ، وقال : إيه الكلام ده يا بنى ! اللى جه علشان يستقبل مراتك عدد قليل ، لسه فيه كتير منتظرين فى البيت ، أنا ما سمعتش كلام عمتك ، وقلت لازم آجى علشان أشوف مرات ابن أخى.

فحركت رأسى وقلت : ماكنش فيه لزوم للمة دى كلها ، لكن على كل حال إنتم تعبتم ، وأنا ممنون لكم بالنيابة عن كيت ، هى متقدرش تتكلم بالفارسى .

وكان يبدو أن كيت مرتبكة بسبب نظرات أسرتى ، فقلت للآخرين مبتسماً : علشان خاطر ربنا ما تبصوش على المسكينة دى بالشكل ده .

قالت أختى : ما شاء الله دى جميلة أوى يا خويا .

قلت : آه لو كانت بتفهم ، إنتِ أخت زوج مهذارة ، وغالبًا ما هتكونى سبب بلائها .

فقالت أختى فى استياء : نعم ... إيه الكلام ده ياخويا ؟ إحنا كلنا بنحبها ، هو إحنا عندنا كام أخ ؟! لكن مفيش حد فينا فى جمالها . وضحك الجميع من حديث أختى ، كما ابتسمت كيت كذلك دون أن تفهم شيئًا، فهمست فى أذنها : إنتِ سعيدة ؟ فأجابت : مش قدك ! فسألت الأم : هى بتقول إيه يا حبيبى ؟ هى عايزة حاجة ؟

قلت :لا يا أمى ، بتقول إن أسرتك حسنة المعشر .

فقبّلت أمى يديها مرتين وحمدت الله .

إنه لشيء صعب ألا يفهم الآخرون حديثك ، وأنا كنت عليمًا بهذه المشكلة .

وعلى طول الطريق كنت أراقب بعيني بلهف شديد المناظر والشوارع والأماكن ، فهذه هي الأرض التي ولدت فيها. لم تتغير المدينة بشكل تام ، وحتى في الليل كانت تبدو أيضًا جميلة . أثناء ذلك كنت أتحدث أحيانًا مع كيت حتى وصلنا إلى المنزل ، وكانت زوجة عمي تنتظرنا بطبق فيه بعض الفحم والبخور ، وما أن نزلنا من السيارة حتى اقتربت منا، وقالت:

- يارب ، ابعد عنهم عين الحسود والبخيل .

وكانت رائحة البخور من الأشياء التي افتقدتها لفترة طويلة، وطلبت من كيت أن تخفض رأسها حتى يلفوا به حول رأسها ، ونفذت ما طلبت وهي مندهشة . وجاء بعد ذلك دور الذبيحة ، فقد تعب أبي ، واشترى خروفًا حتى يذبحه تحت أقدامنا، وبمجرد رؤية كيت طريقة ذبح الحيوان حتى ارتمت في حضني وأخفت رأسها في صدري ، فضحكت، وقلت: إيه وجه اعتراضك ؟ إنتِ ما شوفتيش عمرك حيوان بيدبح ؟

ولكن لا مجال للعجب ، فهي ليست مسلمة ، فوضحت لها أن كل شخص غال يذبحون له هذه الذبيحة إذا ما عاد إلى داره بعد غياب طويل ، فقالت وهي مستاءة من عاداتنا : ليه قتلتم الحيوان الأخرس ده ؟

قلت : لما تاكلي لحمه هتقولي نفس الكلام ؟ كمان إنتِ فكرتي إزاي بيعيش البشر في الدنيا دي؟ الله - سبحانه وتعالى - خلق الحيوانات لتأمين احتياجات الإنسان من اللحم والملابس ، العمل ده من وجهة نظرك عمل وحشي لأنه تم أمام عينيك ؟ أنتِ بتتصرفي زي ما يكون ما روحتيش مرة واحدة في عمرك للصيد، أنا مش عارف ليه دايما عايزة

تخلى عاداتنا موضع سؤال؟ أنا أراهن بأنك هتغيرى وجهة نظرك دى مع تناول أول قطعة من الكباب .

مسكين والدى ! لقد كان يظن أنه بهذا العمل يعرب عن محبته إلى العروس الأجنبية ، فى حين أن الله وحده يعلم كم من الوقت مضى وكيت تتحدث عن تصرفنا هذا على أنه عمل وحشى . أتذكر أنه فى إحدى المرات التى انتقدت فيها عاداتنا ، قلت لها : يا هانم خلى بالك إن إحنا بنقطع رؤوس الحيوانات ، مش بنصنع قنابل ذرية ونقتل فى الناس ، وأظن إن اللى بتعملوه أكثر وحشية من اللى بيعملوه الإيرانيون المؤمنون بعاداتهم وتقاليدهم .

فردت فى عصبية : ليه سبت وطنك وجيت بينا احنا القتلة؟ هم مارحبوش بك فى وطنك ؟

ولم أجد رداً مناسباً، لذا التزمت الصمت ، ونظرت إلى أمى- التى كانت ترد علىّ بنظرتها المشتاقة – وإلى أبى الذى لاحظ أننى أريد شيئًا – وإلى أصدقائى ومعارفى ...

أتريدون الصدق؟ إننى كنت أعلم جيداً أن مكانى بينهم، بين أشخاص لم يروا قط طوال عمرهم مائدة القمار ، أناس لا يعلمون سوى مكان إقامتهم وبيتهم ! لا ريب أنهم كانوا يبحثون عن السعادة فى نفس المكان ، عن سعادتهم وأحلامهم الصغيرة !

وجعلت أمى حجرتى تحت تصرفنا ، وقالت : مادخلتش فيها حد خالص ، كنت عارفة إنك هتيجى فى يوم من الأيام.

قلت : أمى ، أنا مش هستنى هنا غير كام يوم ، ربما شهر أو أقل. أنا جيت لعقد صفقة ، وقلت فى نفسى أطب عليكم فجأة ، فنظرت أمى بحنان إلى كيت ، وقالت : خسارة إن إحنا ما بنفهمش كلامها .

قلت : هى كمان مش فاهمة كلامنا ، ربما يكون ده أفضل ، ولو كان العكس لسألتك عن كل حاجة.

قالت الأم : إيه الكلام ده يا حبيبى ؟ هى دلوقتى صاحبة البيت زيك تماماً .

فقبلت جبينها ، وقلت : والله يا أمى لو كانت تعرف أد إيه إنت حنونة لفضلت هنا للأبد ، فى بلاد الإفرنج ماتت المشاعر والأحاسيس ، أما الشرقيون فما زالت لديهم رائحة أزهار الإنسانية .

وسألت الأم فى رجاء : هتقضل هنا ؟ لو هتخليك هنا أقول لوالدك يشترى بيت ليك .

فقلت فى ابتسامة : لا يا أمى ، أنا مسافر ، كمان أنا مش مفلس ، أنا لو عايز أعود أقدر أشترى منزلين أو ثلاثة .

وكانت كيت تنظر مندهشة إلى منزلنا الذى كان بناءً عتيقًا ، وكنت قد أعددت نفسى للرد على أى نوع من أسئلتها الهجومية ، على الرغم من أن هذا السلوك لم يكن فيه أى تعقل . وفى الليلة الأولى من إقامتنا ذهبنا إلى الفراش ولم نتحدث عن أى شىء ، وفهمت بوضوح أننى لن أقضى هنا أيامًا جميلة ؛ لأن كيت كانت مرتبطة بأهلها ، ولم أكن أستطيع أن أفرض عليها مبادئ أهلى وعقائدهم .

وفى الصباح قمت من النوم مبكراً دون أن أفهم السبب ، وكانت كيت كعادتها قد ألقت بغطائها عنها ، فغطيت وجهها ، وخرجت من الحجرة بهدوء ، ونزلت السلم . كان الجو يغلب عليه الضباب ، وكنت أسمع جيداً همسات والدى فى مناجاته ، وعلى الفور جلست على حافة الدرجة الأولى من السلم المواجه لباب الطابق الأول ، وأصغيت : إلهى ، يا إلهى ، اجعلنا من عبادك الصالحين ، ولا تجعلنا نخطو خطوة خلاف

ما تريد ، لا تتركنا لحالنا ، ولتجعل أبناءنا من عبادك المخلصين ، وألبسهم لباس العافية والصحة ، وأهديهم إلى الطريق الصواب .

وكتمت الحزن بداخلي ، وأردت اللحظة أن أضع رأسي فوق ركبتي أبي ، وأن أبكي بحرقة ، وأحل عقدة قلبي ، وفكرت في نفسي : ماذا فعلت من أجل أمي وأبي ؟ كيف كنت ابنًا لهما ؟ وهل في الأصل كنت أو أكون إنسانًا ذا فائدة ؟ من أنا ؟!

ونهضت من مكاني ، وتوجهت إلى الفناء ؛ حيث كان بعض الشيوخ يتجاذبون أطراف الحديث ، ولم تكن لي طاقة لسماع حديثهم ، فخرجت من المنزل ، وسلكت طريقي بلا هدف .

ولم تتغير ضاحيتنا قط ، وكالعادة كان محل الخباز يعمل منذ ساعات الفجر ، وألقيت التحية على أحد جيراننا القدامى أثناء عبوري بجانبه ، لكنه اكتفى بالرد الفاتر، وفيما يبدو أنه لم يتعرف عليّ ، فنظرت إليه ، وابتسمت ابتسامة مرة . إذن فقد تم نسياني من قبل الكثيرين ؛ فما كنت أتوقعه من أن الجميع يتذكرني كان كثيراً ، فأي شيء كنت من قبل حتى يُشعر بعدم وجودي ؟

وبعدت عن محلتي ، وظهرت الشمس من خلف الجبال الشرقية ، لقد طال الوقت الذي لم أر فيه شروق الشمس . أي إحساس جميل هذا! إنه إحساس الضياء .

أي إحساس جميل هذا أن تكون في منزلك ، تتناول وجبة الإفطار وفيها الخبز الجاف والقشدة ولبن الماعز ؟!

ونظرت إلى ساعتي ، ومع إدراكي للوقت أسرعت في خطواتي ، وحينما وصلت إلى المنزل ، وقبل أن أضع يدي على الجرس ، فتح الباب، وكانت أمي بعينيها القلقتين ، فألقيت السلام، وأغلقت الباب خلفي .

– كنت فين يا حبيبى ؟ كنت قلقانة عليك .

فـقلت فى لطف : هو مش مـسـمـوح لى أتمشى فى المكان اللى اتولدت فيه ؟

فقالت الأم : لا ، ولكن واضح إن زوجتك كانت زعلانة ، واللى فهمته من كلامها هو اسمك بس .

ونظرت إلى أعلى ، ورأيت كيت خلف النافـذة بشـعـرها الأشـعث وكانت لا تزال فى رداء النوم ، فاستأذنت أمى وصعدت بسرعة . وحينما دخلت الحجرة ، أسدلت الستـار ، وقلت : إنت مش عارفة بتعملى إيه ؟ إنتِ عـايزة تحرجى والدى؟ وقـفتى ورا الشباك بقميص النوم وشـعرك مكشوف كده؟

– إنت رحت فين ؟

– رحت أتمشى .

– لما قمت ماكنتش موجود.

– مقدرتش أنام أكتر من كده .

– إنت ليه نزِّلت الستارة دلوقتى ؟ أنا عايزة أشوف الشمس.

– بالتأكيد إنتِ بتهذرى ؟

– جايز إنت اللى بتهذر ، أو جايز ده أول يوم تشوفنى فيه بقميص النوم.

ومررت يدى بين شعرى ، وأجلستها برفق فوق السرير، وحاولت إقناعها بهدوء : بصى يا كيت ، هنا بلد شرقى ، مختلف تماماً عن بلدك! وأهل البلد دى عندهم أفكار سيئة عن النساء اللائى بلا قيد أو غطاء

للرأس، لازم تحاولى طول إقامتنا فى البلد دى إنك تحترمى عقائدهم وأفكارهم .

وكانت تنظر إلىّ فى دهشة ، لذا تابعت حديثى بصورة أبسط من ذى قبل ، قائلاً : كيت ، الناس بيعتبروا أسرتى من الأسر المتدينة ، ومفيش مخلوق غير محرم لغاية دلوقتى شاف شعرة واحدة من شعر أمى أو أخواتى . إنتِ فاهمة الصلاة والصوم والدعاء والمسجد ؟

إلهى ، لقد استاءت كيت ، وبدأت فى البكاء ، فجلست بجوارها، وقلت لها فى لين : كيت ، مش مفروض تبكى ، لحسن أمى تفتكر إننا بنتخانق . إنت مش طفلة ، وأنا ما طلبتش منك حاجة كبيرة ، أنا عايز بس فى الفترة اللى إحنا فيها هنا تهتمى أكثر مما مضى بملابسك .

قالت كيت وهى تبكى : لكن أمك ما نتقدتنيش لما شافتنى ؛ فسألتها فى حيرة واضطراب : إنت... أنتِ نزلتِ باللبس ده ؟ وسألتها ثانية وأنا متردد : والدى شافك هو كمان ؟

وأجابت كيت فى برود : أيوة، أعتقد كده .

- إلهى ، إنتِ مجنونة ، وهتجننينى فى الآخر .

ومن فرط خجلى لم تكن لى القدرة على مواجهة أبى ، ويبدو أن كيت فهمت ذلك أيضاً ؛ لأنها جلست أمامى لدقائق ساكنة ، تحاول أن تفهم الموضوع ، وكانت تنظر إلىّ بطرف عينها ، وظللنا صامتين حتى سمعنا طرق باب الحجرة يكسر الصمت بيننا ، وكانت أمى :

- يابنى ، الفطار جاهز ، أبوك راح يجيب العيش الناشف.

ونظرت أمى إلى كيت بقلق ، ثم تركتنا ، وكنت أفهم تماماً سبب قلقها ، فقلقها كان بسبب ملابس كيت ومظهرها .

وقلت بهدوء : كيت ، ممكن من فضلك تغيرى لبسك ؟

وانشغلت كيت فى تغيير ملابسها ، واستفدت من الصمت الذى كان بيننا، وقلت لها : أقدر من فضلك أفتح شنطتك ، وأتمنى إنى أساعدك خلال الفترة دى فى اختيار ملابسك ، وكانت نظرة كيت جافة مستاءة .

الفصل الثانى عشر

استبعدت بعض الملابس الخاصة بكيت تمامًا ، وأنذرتها بعدم استخدامها خلال فترة إقامتنا ، والبعض الآخر وضحت لها كيفية استخدامه.

كنت أشعر للمرة الأولى أنه يجب أن تكون لى الكلمة الأولى والأخيرة فى حياتنا ، وكنت أعلم أن كيت سوف تتخيل أننى أتعامل معها كأسير فى القيد ، ولكن الشىء الوحيد والمهم الذى كنت أفكر فيه هو إرضاء أسرتى وحفظ ماء وجه أبى . لم أكن أريد خلال فترة إقامتى أن أكون سببًا فى استيائهم ، لذلك كنت مستعداً لقبول عواقب هذا الأمر من قبل زوجتى .

وعلى أية حال ، رغم أن علاقتنا لم تكن دافئة أو حميمة ، لكنها كانت تمر بشكل جيد أمام أسرتى مع ما كان يتوفر من كرم الضيافة ، وبعد مرور أسبوع واحد بدأ همسها لى بالعودة بسبب ما كنت أقوم به من تحديد لتصرفاتها .

ومع هذا كان الأهل والمعارف يقومون بدعوتنا إلى منازلهم على سبيل الفضول واحترامهم لأبى ، وكانت الولائم تعد لنا كل يوم احتفاء بنا ، ولكن فيما يبدو أنها لم تغير ما كان فى نفسية كيت ، وظلت على إصرارها فى أن نعود إلى إنجلترا . إنها كانت تعشق الابتذال أكثر من الحرية ، وهذا ما ثبت لى خلال الفترة التى قضيناها فى إيران .

واستمر الجدال بيننا حتى ذلك اليوم الذى عاد فيه ابن عمى المتفرنج إلى الوطن بعد غياب لعدة أعوام ، وكان منذ طفولته يعشق

أوربا، وفى النهاية سافر إليها على نفقة والده ، ومن حسن طالعنا أنه عاد إلى إيران بعد عدة أيام من إقامتنا . كان يجيد اللغة الإنجليزية ، كما كان يفهم حديث كيت بسهولة ، وحضوره كان مصدر قلق بالنسبة لى ، وكذلك مصدر سعادة.

كان القلق بسبب أنه على الرغم من أن الدم الإيرانى يجرى فى عروقه ، إلا أنه كان ينحو منحى الغربيين ، فكان بلا ضابط . أما سعادتى فكانت لأننى أخيراً وجدت شخصًا من عائلتى كان يحوم حول كيت كالفراشة ويحظى باهتمامها .

وأعتقد بلا شك أن كيت كانت سعيدة من وجود ابن عمى ، حيث كانت تنظر إلى كل تصرفاته وأفعاله بعين التأييد ، وكان فى حديثه مثلها تمامًا ، ولك أن تتخيل كيفية سلوكهما مع بعضهما البعض ؛ فكانت علاقتهما منفتحة وبعيدة عن الحياء إلى حد ما ، لدرجة جعلت أبى يلفت نظرى إلى بعض الأشياء . والواقع أننى كنت ملامًا أيضًا ، لأننى لم أقف أمام كيت منذ اليوم الأول ، وكان كل ما يهمنى فقط أنها شغلت بشىء جعلها تكف بعض الشىء عن المطالبة بالعودة إلى بلدها .

ولا يغيب عن ذاكرتى أول يوم للتعارف بينهما ، فقد ضغط ابن عمى سينا بشدة على يد كيت ، وامتدح جمالها ، ولم يكن لشخص حولهما القدرة على فهم ما يقولانه . وكانت كيت تقول لى أيضًا إنها لا تصدق أن لى ابن عم مثل سينا مع ما لديها من معرفة بى . كانت تقضى معظم أوقاتها مع من يعرف لغتها ، فكانت تتنزه مع سينا ، حتى إنها كانت تتجاذب أطراف الحديث والمزاح معه بين الناس ، كان هذا يتم رغم أننى قد شرحت لها من قبل بعض ما يتعلق بعاداتنا بالتفصيل .

حتى والد سينا - أى عمى - كان قلقًا أيضًا بسبب هذا الموضوع ؛ لأنه قد طلب من سينا العودة إلى إيران كى يخطب له فتاة طيبة نجيبة ، ولهذا لم تكن هذه الأوضاع وفق مراده ، وكان من قبيل الحماقة أن أتحدث مع سينا ؛ لأننى كنت مشتاقًا أكثر منه لزوجتى. إنها لم تكن تتمكن قط من قبول هذه الحقيقة المرة ، وهى وجوب التصرف وفقًا لسنها ، فكانت تتصرف دومًا كالبنات اللائى ليس لديهن تجارب ، ومع رؤية أول رجل يحوم حولها كانت تتسرع فى التعامل معه . وأحيانًا كنت أشتاط غضبًا من تصرفاتها وأفعالها ، وكنت أتمنى لو أستطيع أن أخنقها بيدى . والآن أصبحت أحاديث الأسرة العلنية همسات وكنت أتجاهلها ، لكننى كنت أغلى من الداخل ؛ فكانت نظرات الآخرين ثقيلة وكأنهم كانوا يتهمون بها حميتى. ومن ناحية أخرى لما كانت كيت وكذلك سينا كلاهما من الأسرة ، لم يكن يسمح شخص لنفسه أن يتدخل أو يتحدث فى هذا الأمر ، ولم يكن بوسعى أنا الآخر أن أعود بهذه السرعة، لارتباطى بعقد الصفقة بعد أسبوع.

وذات ليلة كنا نتناول قسطًا من الراحة فى منزل والدى ، جاء سينا، وقابلته بفتور أكثر من أى وقت آخر ، لكنه لم يهتم بسلوكى وأخذ يبحث عن كيت ، فغلى الدم فى جسدى ، وسألته : إنت بتدور على مراتى؟ إزاى تسمح لنفسك بكده ؟!

وابتسم سينا ، وقال : استنى يا أرسلان ، إنت متقدرش تدعى إنك بعد ما قضيت الفترة دى كلها فى أوربا، وبعد جوازك من أجنبية ، لسه جواك نفس العصبية وعدم المنطقية السابقة ؛ فقلت فى عصبية : إنت اللى غير منطقى لإنك نسيت نفسك ، يعنى إنت فى درجة من الغباء خليتك مش قادر تفهم إن شرفى هو شرفك !! أنا فى داهية ، فعلى الأقل فكر فى كرامة والدك .

وضربني سينا ضربة خفيفة على كتفى وكأنه ينظر إلى حركاتي بنظرة سخرية ، وقال : أنا وعدت كيت إنى أوديها الوادى ؛ فقلت : أنا أقدر أعمل الموضوع ده فلا داعى للتعب ، وبينما نحن منهمكان فى شجارنا ، نزلت كيت وهى مستعدة . لعلنى آخر من يعلم بالموضوع !! وما أن رأت كيت سينا حتى قالت فى سرور ودون أن تهتم بوجودى : أنا سعيدة إنك جيت ، أنا جاهزة .

فقلت فى غضب : على فين ؟ مش هتخرجى لأى مكان فى الساعة المتأخرة دى من الليل بدون إذنى .

وخرج أبى وأمى على أثر صوتنا ، وقالت كيت : أنا مش سجينتك، ومضت ناحية سينا ، ولكن قبل أن تمر من أمامى ، مسكت بيدها ، فسحبتها ، فاشطت غضبًا ، وصفعتها صفعة قوية على خدها، ثم تشابكت مع سينا ، وهنا تقدمت أمى مهرولة حتى تأخذ كيت فى حضنها، لكن كيت دفعتها بعصبية وصعدت .

ومع تدخل أبى انفصلنا أنا وسينا ، لكن أوضاع كل منا كانت تدعو للأسف ، فالأردية ممزقة ، والجروح على وجهينا وجسدينا ، وشعرنا مشعث ، وكانت هذه المسألة مفيدة إلى حد ما ، فعلى الأقل لم أر سينا ثانية حتى وقت رحيلنا . وعلى الرغم من أن كيت لم تخاطبنى لمدة يومين ، وكانت تسىء معاملتى ، إلا أنها اضطرتنى للذهاب إليها ، وطلب الصفح منها بسبب ضربى لها .

وبعد أيام ، مضيت لعقد الصفقة ، ومع أنه كان من المقرر أن أسلم الصفقة إلى مندوب الشركة ، إلا أننى عقدت العزم على المبادرة بالعودة إلى إنجلترا ، وكانت هذه رغبة كيت أكثر من كونها رغبتى ، وحينما أعلنت عن عزمى هذا ، توجهت لحجز تذاكر السفر دون الاكتراث ببكاء أمى وتوسلاتها أو بإصرار والدى على مد فترة إقامتى ، وكنت أعلم

جيداً أن الجميع يفهمون سبب عودتى السريعة. وجاء يوم الرحيل ، وقبلت أبى وأمى ، ولا أعلم لمَ فكرت فى أن هذا اللقاء سيكون الأخير ؟ فكنت أشعر فى نظرتيهما بالشفقة من أجلى ، وهذا ما كنت أنفر منه دوماً .

وحينما ركبنا الطائرة اضطرب قلبى ثانية ، ولكن كان ثمة شيء آخر في وجه كيت ، وكأنها قد تحررت من قفص ضيق مظلم ، وأشحت بوجهى بعيداً عنها ، لأننى كنت أشعر أننى ضقت ذرعًا من شدة الغضب. لا أعلم لمَ كنت أفكر فى أن جميع التصرفات التى بدرت من قبلها كانت عن عمد ؟ وهكذا كان السكوت بيننا مراً ، وبدأت هى الحديث وللمرة الأولى لتكسر هذا الصمت : أنا فاهمة إحساسك ، وحركت رأسى ببرود وظللت صامتًا .

– أرسلان ، أحب إنك تصدقنى ، أنا ما ليش ذنب فى الأحداث اللى حصلت.

– وحينما لم تسمع جوابًا ، استمرت فى تهدئتى :

– إنت في الحقيقة راجل سعيد الحظ ، أنا سعيدة لأن ليك أب وأم بكل الحنان ده .

– وكانوا حنينين معاكى إنتِ كمان .

– فطأطأت برأسها ، وقالت بهدوء وهى تلعب بأظافرها : لكن مش أدك ؛ فقلت فى سخرية : اللى بتقوليه مش مضبوط .

– لكن إنت عارف إنى باقول الحق ، فالأب طول الفترة دى ما خدنيش فى حضنه مرة واحدة ، ودايماً لما كان بيسمعنى يخلى راسه تحت ، وإنت عارف كويس إنى كنت بينهم غريبة.

– مسكين يا أبى ! مع كل ما لديك من حب وكرم ضيافة ، كان جزاؤك من كيت اللوم ليس إلا .

وقلت فى برود : إيه اللى خلاكى تعرفى إنك محقة فى كل اللى بتقوليه ؟ إنتِ تعرفى إيه عن محبة القلب ؟ خلال الفترة دى كلها كنت بتبعدى نفسكِ عنهم ، وكأنك جنس أسمى ، وكانت حجتك هى عدمَ معرفتك باللغة . وهماً كمان ما كانوش فاهمين لغتك ، لكنهما سعيا خلال هذه المدة ليجعلاك فى أسعد حال . ليتك تكونى منصفة ولو بقدر قليل . دلوقتى إحنا هنعود لبلدك ، للمكان اللى بتفتقدى فيه ذرة من هذا الحب الطاهر الخالص حتى فى أجمل مكان فيه ، للمكان اللى بتلجأى فيه لإقامة الاحتفالات لتسكين القلب الكسير وشغل وقت فراغك .

واستاءت كيت جداً ، وحين رأيتها تنهض من مكانها وتذهب إلى مؤخرة الطائرة ، كنت أعلم أن وصول الترياق بعد موت سهراب لا طائل منه .

فكرت فى أن الجدال لا فائدة منه الآن ، وها قد أصبحنا أنا وهى بمفردنا ثانية ، وثمة حقيقة ، وهى أننا نحتاج إلى بعضنا البعض ، واحتياجى لها أكثر ، فكرت فى أنها زوجتى وشريكة حياتى ولا داعى لأن أعمل على تغييرها دفعة واحدة ، فكلانا يحتاج لفرصة أكبر لتحقيق حياة هادئة بلا مشاكل .

وقد تحقق لى الهدوء النسبى عندما فكرت فى هذه الآمال وتلك الأحاسيس الجريحة .

ولكن بدلاً من الاختناق كمداً كان من الأفضل أن أصير أكثر هدوءاً حتى أتمكن من السيطرة على نفسى .

الفصل الثالث عشر

مرة ثانية ، عمل ، عمل ، وعمل فقط ، تماماً مثل الإنسان الآلى ، تماماً وكبرنامج قد حدد من قبل ، مثل شريط قد ضبط اللحن فيه على نمط ونسق معين ، ثم يبدأ فى عرض ما بداخله مع ضغط الزر .

كان كل منا مشغولا فيما يخصه ، ولا شك أن كلا منا كان يرغب فى ألا يزعجه الآخر . ومضت فترة وتمكنت من شراء عدد آخر من أسهم الشركة ، وبناء عليه صرت أكثر قرباً من مديرى الإنجليزى . وذات ليلة دعانى أنا وكيت إلى منزله ، وفى ليلة أخرى دعوته إلى منزلنا. وعلى هذا النحو ازدادت أواصر الصداقة بيننا ، إلى حد أن كلا منا كان ينادى الآخر باسم مختصر ، وكنا نذهب سوياً للتزحلق على الجليد، كما كنا نسافر معًا ، وكانت كيت تصاحبنا فى كل هذه الأحوال، وحينما اقتربت منه بعض الشيء أثار عدم زواجه فضولى، وكنت أعلم من قبل أنه انفصل عن زوجته بسبب عدم توافق الطباع بينهما، وحينما سألته لِمَ لم يتزوج ثانية ؟ أجابنى بأنه يفضل حياة العزوبية عن الزواج .

حقيقة كنت سعيداً بحاله فى تلك الفترة، ورأيت أنه سعيد الحظ وأنا سئ الحظ، أنا الذى يجب علىّ أن أتحمل كيت يومًا، وأنتظر الغد فى يأس . أحيانًا كنت أسأل نفسى عن سبب إهمال كيتَ لى ؟ لم يضيع الرجل العاقل الوقت الذى يكون فيه خالى البال ؟ ما العشق ؟ لقد أصبح كالرياح الخفيفة على الوجه، تنمحى بإشارة إصبع ! هل أسعدت قلبك حين أصبحت عاشقًا وتزوجت ؟ لك من العمر واحد وثلاثون عامًا، ونسيت ميلادك ، والآن ليس لديك طفل حتى يناديك بكلمة بابا !! وفى النهاية لمن تريد كل هذه الأموال ؟ كيت تعتقد أن الطفل سوف يقيدها،

ومعنى هذا أنه يجب عليَّ أن أتخلى عن هذه الفكرة، ولم أكن أستطيع أن أجبرها على قبول رغبتي؛ لأنها كانت ترى أنه حينما تكون أمًا لطفلي سأعهد إليها وحدها بتربيته .

وفي تلك الفترة ، لجأت إلى احتساء الخمر من فرط ما كنت أشعر به من العزلة والوحدة ، وتسبب ذلك في أن أفقد وعي لعدة ساعات . لاأتذكر بالضبط ما الذي جعلني ألجأ إلى ذلك في أول مرة ، ولكنني أعلم جيداً أنني كنت مع فرانك ، شريكي !

ذهبنا سوياً إلى الملهي وكنت حزيناً معموماً ، وكان نصف متنبه ، ومد لي كأس الخمر فنظرت إليه غير مصدق ، وحركت رأسي للرد عليه بالنفي ، ثم رددت يده ، لكنه مد يده إليّ ثانية ، وقال :

– اشرب يابني دى هتريحك !

– شكراً فرانك ، لكنى مش قلقان للحد اللى يخلينى فى حاجة للشرب .

– خد ، اشرب ، أنا مش فاهم أبداً ليه إنت خايف للدرجة دى من الشرب ؟ ما تخفش ، مش ها يحصل حاجة ، لو ما كنتش شوفت كيت لتخيلت إنك بتخاف منها .

– الموضوع مش موضوع خوف أو أى حاجة تانية ، الموضوع خاص بيِّ ، أنا ما حطهاش على شفايفي أبداً .

– كفاية ، يعني من وقت مجيك هنا لغاية دلوقتي ما شربتش خمر .

– لا !

– إلهى ، إنت ميكائيل الملاك ! إنت عايزنى أصدق كلامك ؟ طب خد شفطة واحدة وبعدها هتحس بتأثيرها .

وأخذت كأس الخمر وأنا متردد كالمذنب وقت ارتكابة الذنب ، واحتسيت جرعة قليلة كما قال لي ، وكان فرانك يتحدث وكنت أصغى إليه ، ولكن بعد مضى نصف الساعة لم أكن أفهم شيئًا من حديثة ، كنت أراه فقط بشكل مشوش وهو يتحرك بهدوء ويتحدث إلي ، كنت أرغب فى النوم إلى الأبد . وعلى الدوام كان فرانك يملأ كأسًا أخرى ويضعها بين أصابعى ، وكانت رأسى تدور ، وكذلك كل شىء ، كنت أرى صورة أبى وكذلك أمي وهى تجلس على السجاد مختفيه فى عباءة الصلاة المزركشة، وجيتى بعينيها الباكيتين ، وكيت وهى سعيدة مسرورة.

وملأت بنفسي الكأس الثالث ، كنت أشعر بأن جسدى كله مخدر انعدم الإحساس فيه ، كنت أريد حجر أمى ، تمنيت وجود أمى كى أضع رأسى على حجرها ، وأخلد للنوم الهادئ وثقلت أهدابى ، بعد ذلك لم أتذكر شيئًا آخر .

وحينما فتحت عيني ، كان الضوء يؤذيها ، وكانت رأسى كالريشة الخفيفة التى لا ثقل لها ، وشعر رأسى كله يؤلمنى ، رغبت في النوم ثانية، لكننى ما إن رأيت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة صباحًا حتى نهضت بسرعة ، وخرجت من الحجرة وضحكت كيت عندما شاهدتنى ، وألقت على تحية الصباح ؛ فسألتها :

- ليه ما ندهتيش على ؟

- أنا ناديت عليك كتير ، لكنك كنت فاقداً للوعى ، قولى عملت فى نفسك إيه إمبارح ؟

ومع تذكرى لليلة أمس عجزت رأسى عن التفكير ، ماذا كنت أفعل ؟ ماذا حدث لى ؟ وحاولت أن أضغط على نفسي حتى أتذكر ما تم : أنا كنت مع فرانك .

وقالت كيت في سخرية : أيوة ، عارفة إنك كنت مع فرانك ، لإنه وصلك البيت وإنت سكران وفاقد الوعى ، كنت في حالة مقدرتش فيها تخلع حذاءك ، وكنت مندهشة لإنك قلت لى إنك ما بتشربش الخمر أبداً ، فتصور الوقت اللى أشوفك فيه وإنت شارب حتى الثمالة ، أى حال أكون أنا فيها . لازم تشرب بقدر بسيط .

من العار أن تعلمنى امرأة أوربية الأدب والرسوم ، امرأة تشرب على الأقل كأسين أو ثلاثة في كل مجلس ، واستأت من نفسى ، وكنت كالجبان الذى يخفى نفسه وراء زجاجة الشراب ، وخرجت من المنزل دون أن أقول كلمة ، ومضيت إلى الشركة .

وابتسم فرانك حين رآنى ، وقال :

– واضح من عينيك إنك كنت نايم لحد ساعة واحدة .

وقلت غاضباً دون مقدمات : إية اللى قصدته لما رجعتنى البيت وأنا فى الحالة دى ؟

فقال فرانك بنظرة سخرية و فى استهزاء : أتمنى إن ما يكونش قصدك أنك كنت عايز تنام الليل فى المحل !

ثم قال بشكل جدى : إنت شربت برغبتك ، وكترت منه ، مفيش شك إن الزيادة عن الحد مش مطلوبة ، لإنك هتتعود عليه بعد كام مرة .

لمِ لمت فرانك بدلاً من لوم نفسى ؟ لعلنى أردت أن أجعلة شريكًا لى فى ذنبى ، لاشك أننى لم أكن أستطيع أن أدعى أننى شاب مغمض العينين والأذنين قد غرر بى ؛ فقد كنت رجلاً بالغا أعلم جيداً حقيقة كل شىء .

ولاشك أن هذه المرة لم تكن الأخيرة التي قمت فيها باحتساء الخمر، بل كانت بداية الخطأ الكبير وعدم السعادة . كنت أرغب في أن أعترف بخطأي إلى أي شخص ، مثل أمي ، التي يثقل عليها حمل هذا العذاب ؛ لأنها واحدة من أكثر الناس تدينًا علي وجه الأرض ، لقد كانت طاهرة إلى حد أنني كنت أفكر دومًا فيها إذا ما وصف المسيحيون السيدة مريم؛ فكانت تتأذى دومًا من مثل هذه الأعمال القذرة ، وكانت دومًا تشكر الله حينما تسمع حكايات الآخرين ، وتقول : حمدًا لله أنني لست مكانهم .

والآن ينزلق ابنها بمحض إرادته في هذا المنزلق . ومع دخولي في دنياهم تغيرت أخلاقي ، ولم أشتد مع كيت ثانية مثلما كان يحدث في الماضي ، ولم أنتقد عادتها وتقاليدها . لا أعلم ، ربما تكن مجالستي لفرانك بلا تأثير ، كنت أذهب معه إلى أماكن لم يكن لي طوال حياتي علم حتى بأسمائها ، كما أنني قللت من فترات تواجدي مع كيت .

وبعد انقضاء فترة على تعارفي بفرانك ، أكثر من زيارته إلى أسرتنا إلى أنني أصبحت لا أنظر إليه على أنه صديق ، بل كنت أنظر إليه على أنه فرد من الأفراد الأسرة .

لقد كان حقًا صديقًا وفيًا ملازمًا لنا في السراء والضراء على حد سواء ، كما أنني كنت أعتدت على تواجده ، قد اعتدت على حضوره فجأة ومضية دون علم ، وكانت كيت أيضًا تكنّ له كل احترام ، وكانت هذه هي المراة الأولى التي نتفق فيها على شخص واحد ليكون صديقًا لنا .

كان فرانك معنا في أبسط مشاكلنا وأكبرها ، ونحن كذلك كنا نقدم له العون وقت الأزمات .

أتذكر جيداً الفترة التى أسأت الظن فيها بصداقته وإخلاصة لى ، بالضبط يوم عيد ميلاد كيت ، فقد أعددت حفلاً كبيراً بمناسبة عيد ميلادها الرابع والعشرين ، ودعوت جميع الأصدقاء والمعارف للمشاركة، وكانت الحفلة جميلة لحد نالت فيه رضاء كيت ، وكنت منتظراً فرانك ، واعتبرت أنه قد تأخر لأنه أقرب صديق لأسرتنا . وفى النهاية وصل وهو يحمل باقة من الزهور فى يده ، فاقتربت منه وقلت له أثناء ترحيبى به :

– اتأخرت يافرانك ، افتكرت إنك مش جاى .

– إنت عارف إني ما بنساش أصدقائى المقربين ، والحقيقة إنى انشغلت بمشكلة خاصة .

– أقدر أساعدك ؟

– لا ، ما فتكرش على أيه حال أنا ممنون للطفك ، حقيقى ، فين كيت ؟ أنا عايز أهنيها !

ومضينا سوياً ناحية كيت ، وسعدت كيت لرؤيته كثيراً ، ويبدو لى أنها لم تكن بمثل هذه السعادة لو كانت قد رأتنى بعد غياب دام عدة أعوام . لا ريب أنى لم أكن أغير ، ولكننى كنت أفكر دوماً حتى فى حالتى المختلفة أن كيت تستطيع أن تكون أكثر لطفاً معى .

وبعد تناول العشاء ، رقص كل زوج مع زوجته ، وكنت أنا وكيت منهمكين في الحديث ، فاقترب فرانك منا ، وقال :

– أرسلان ، أتمنى إنك ما تعترضش لو دعيت كيت للرقص .

فنظرت إلى كيت ، وكانت تنظر إلي فرانك بكل ما لديها من مشاعر، فارتسمت الضحكة على شفتي ، ومد فرانك يده إلى كيت ، فقبلت .

حقيقة لم أكن مستاء فى البداية ، لأننى لم أكن أرغب فى إفساد ليلة عيد ميلادها ، واتجهت إلى الخلف ، وأشعلت سيجارة ، ولكننى لم أكن أستطيع أن أحيد عنهما بعينى ، وكان فرانك يضم كيت إلى أحضانه أكثر من اللازم ، ولا أعلم عن أى شيء كان يحدث كيت ويحثها على الضحك . وحاولت أن أصرف فكرى عنهما بمحادثة من يجاورنى ، لكننى لم أستطع ، فذهبت إلى التراس غير أنى شعرت بالبرد لأننى كنت أغرق فى عرقى ، فعدت ثانية إلى الصالون ، إلا أن غضبى كان يزداد برؤية هذا المنظر ، فكانت كيت تضع رأسها على صدر فرانك . لا ريب أن علاقة كيت وفرانك كانت حميمة مثلما كانت بينى وبين فرانك ، ولكن ما بدر منهما أمامى شيء آخر .

لا أعلم لم كنت أفكر فى أن علاقتيهما كانت شيئًا أكثر من صداقة أسرية ؟ ولا ريب أننى فى كل مرة كنت ألوم نفسى بسبب هذا التفكير ، وانشغلت فى النظر إليهما حتى جاءنى صوت من خلفى يقول :

– السيد وفائى !

وكانت إحدى صديقات كيت .

– السيدة شارولت ، الجو ده مش مناسب ليكى .

– إنت لطيف دايمًا مع السيدات .

ونظرت إلى اتجاه نظراتى ، ثم قالت وهى تلف الشال حولها : كيت مبسوطة أوى !

– أيوه هو كده .

– لكن اتخيل إنك مش مبسوط زيها .

– إيه اللى خلاكى تفكرى كده ؟

وجودك في التراس .

– سبب وجودى هو الزحام ، والهروب من الدوشة شوية .

وأدى صوتها العالى وهى تضحك إلى أن أتعجب وأنظر إليها في حيرة .

– سيد وفائى ، أنت متقدرش تكذب لإن عينيك بتفضحك ، أعتقد إن كيت هى سبب قلقك !

وكان غضبى بسبب إصرارها على معرفة سبب همى ، وقلت : كل ده من تفكيرك ؟

– لكن الحقيقة مش كده !

فالتزمنت الصمت ، وأشعلت سيجارة أخرى ، وأخرجت هى الأخرى سيجارة ، ووضعتها بين شفتيها ، فأشعلت الولاعة ، وتقدمت بها ناحية وجهها ، ونظرت إلى لحظة على ضوء الولاعة ، ثم أشعلت سيجارتها ، وبعد أن أخذت نفساً عميقاً ، قالت :

إذا سألتنى أقول لك إن المشكلة فيك إنت .

– وأنا ما سألتكيش .

– لازم تسألنى ياسيد وفائى ، أنا بتربطنى بكيت صداقة قديمة ، علشان كده باعتبر نفسى مش غريبة .

وقلت وأنا أنظر إلى كيت من خلف النافذة : ولكن من الواضح إنى غريب بالنسبة لك ، والأعجب من ده كله إن الجميع هنا غرباء عن بعضهم ، ففى الوقت اللى تفتكرى فيه إنك تعرفى شخصاً ما جيداً تكتشفى إنك مخطئة .

- مش لازم تتعب فكرك علشان تعرف الآخرين .

- لكنها زوجتى .

- زوجة فقط .

- أنت عايزة تقولى إيه ؟

- عايزة أقول إنك حر زيها ، ليه ما يتبصش كويس على اللى حواليك.

- هلاقى إيه ؟

- ناس بتحبك ! وإنت مش شايف معظمهم .

ونظرت إلىّ بنظرات كانت الرغبة والشوق تموج فيها ، وكانت عينها تغمزان وتعبران عن رغبتها الشيطانية ، فحولت نظرى عنها واتجهت للعودة إلى الصالون ، لكنها أمسكت كم ردائى بنعومة ، فبعدت يدها عن كمى ، وقلت :

- أنا مخلص لمراتى .

ثم دخلت إلى الصالون ، ولم أنظر خلفى لأرى رد فعلها ، فى حين كان كل كيانى يرتعد من الحيرة ، الحيرة من الأشخاص الذين تبتعد كيت عنى لتختلط معهم وتعاشرهم .

الفصل الرابع عشر

في تلك الليلة ، وبعد انصراف الضيوف ، وقعت أشد مشاجرة بيني وبين كيت ، وكان كل جسدي مفعمًا بالغضب والنفور ، وكنت أتمنى أن أتمكن من السيطرة على نفسي .

لا ريب أن فرانك لم يكن في وضع يجعلني أدينه ، ومن وجهة نظري فإن الحديث أصلاً معه لا جدوى منه ؛ لأنه طبقًا لقول أمي : إن الحجر الثقيل لا يتحرك في أي وقت قط من مكانه ؛ فلو لم ترغب كيت لما حدث ما حدث .

وتحول حديثنا إلى جدال كالعادة، وأهانتني كيت، وللرد عليها قمت على الفور بضربها على وجهها بصفعة قوية ، وكيت التي لم تكن تنتظر مني مثل هذا التصرف ، ظلت تنظر إليّ فترة وهي لا تصدق ، ثم تركتني على الفور .

لم أكن أرغب أن أتعامل معها على هذا النحو ليلة عيد ميلادها ، لكنها كانت السبب ، وظلت بعد ذلك لمدة ساعتين في حجرتها ، وأنا أيضًا كنت أجلس فوق الكرسي الهزاز ، وأفكر حتى خرجت في النهاية من حجرتها وهي تحمل في يدها حقيبة كبيرة إلى حد ما ، فنظرت إلى ساعتي ورأيت أنه لم يبق على الصباح إلا قليل ، ومضت دون أن تكترث بي ناحية الباب ، وانشغلت في ارتداء البالطو ، ومنعني كبريائي من الحركة ، كنت أتخيل أنني لو قمت بمنعها أكون قد سلمت إليها الورقة الرابحة . من ناحية أخرى فإنني لم أكن أستطيع أن أتركها بمفردها في

ذلك الوقت من الليل ، فهى زوجتى ، فنهضت من مكانى بفتور ، وتوجهت إليها، وقلت لها فى لهجة باردة إلى حد ما :

– شايف إنك ناوية الخروج ، أقدر أسألك رايحة فين ؟

– وأجابت هى كذلك بنفس البرود :

– هروح لخالتى .

فقلت متعجبًا : خالتك ؟ إنت ما قولتليش أبدًا إن ليكى خالة فى إنجلترا .

– لأنها مش فى إنجلترا ، هى عايشة فى فرنسا ، وأنا حجزت تذكرة لهناك بالتليفون ، وهاسافر فى السابعة صباحًا .

فأخذت الحقيبة من يدها ، وقلت : إنتِ مش هتروحى أى مكان .

فقالت كيت فى سخرية : إنت مش هتقدر تحبسنى لغاية آخر لحظة فى عمرى ، أنا هامشى فى جميع الأحوال ، ولما تاخد قرارك إبقى قولى، ده رقم التليفون هناك ، واسم خالتى بولين .

– قرار فى أى شىء ؟!

فقالت فى هدوء : فى حياتنا ! أرسلان ، أنا مقدرش أعيش معاك.

وحاولت أن أتحدث بهدوء ، لذلك سألتها :

– إنتِ زعلانة علشان ضربى لك ؟

– لا ، المشكلة اللى بينى وبينك أكبر وأكثر ألمًا من كده ! لازم تصلح من نفسك .

– أنا ، لازم أنا أصلح من نفسى ؟ ده شىء مضحك .

– إنت أحرجتنى إمبارح أمام أصدقائى !

– إيه اللى تقصديه من إحراجك ؟

وصـمـتت ، وأدركت أنه لا جـدوى من حـديثنا ، وعـزمت هى على الرحيل.

وقلت لها : هاوصلك للمطار .

ثم حملتُ حقيبتها ، وخرجتُ أمامها من المنزل . كنا فى الطريق أثناء شروق الشمس ، ولم يتفوه أحدنا مع الآخر بكلمة حتى بلغنا المطار، وحينما وصلنا إلى هناك، لم يبق وقت على التحليق ، وألقت علىّ تحية الوادع ببرود ، ونظرت إليها وهى ترحل .

لا أعلم كم مكثتُ في المطار ، ولكننى على أية حال غادرته ، وعدت إلى المنزل ، ولم يكن لدىّ القدرة على تحمل أى شىء ؛ فقد كنت متأثراً لأن كيت اختارت آخر الحلول لمواجهتى ، وأخذت أبحث عن السبب فى خيالى ، ولكن كلما كنت أفكر أكثر قلما وصلت إلى نتيجة .

لم أتوجه إلى العمل لمدة ثلاثة أيام ، وفى نهاية اليوم الثالث جاء فرانك لزيارتى ، واستاءت من رؤيته ، ولم أتمكن من السيطرة على نفسى، فبمجرد رؤيته صحت قائلاً : إنت جيت تشوف كيت ؟ إنها رحلت، رحلت للأبد !

ونظر إلىّ فى تعجب ، وصمت ، ومضت دقائق بيننا ونحن فى صمت حتى تحدث قائلاً :

– أرسلان ، إيه اللى حصل لك ؟ إنت عصبى لدرجة إنى مش فاهم حاجة من كلامك ، إيه اللى حصل لكيت ؟

– رحلت إلى فرنسا .

– ليه ؟ دى ما ذكرتش حاجة عن سفرها !

– زعلت مني !

وجلس فرانك بجانبى ، وقال : ليه ؟ حصل حاجة بينكم ؟

فسألته فى عصبية : إنت جيت هنا ليه ؟

– جيت علشان أشوف إيه اللى حصل ، إنت ولا بترد على التليفون، ولا بتيجى الشركة ، إحنا أصدقاء حميمين !

– أنا مش هقول إنك صديق بل عدو أصابني بخنجر من ورا ظهرى، وفي الحقيقة كان الشجار بيني وبين كيت بسببك إنت.

– إنت بتقول إيه ؟

– إنت عارف كويس أنا بتكلم عن إيه ! عن يوم عيد ميلاد كيت ! بالتأكيد فاكر أى سلوك غير سوى بدر منكما .

قال فرانك فى هدوء وهو يبتسم :

– أرسلان ، كيت مخلصة لك إلى أقصى درجة !

– الإخلاص لوحده مش كفاية !

– المفروض إنك تكون معاها لطيف إلى حد ما .

ودون أن أفهم ما الذى أتحدث به على أثر فقدان الوعى من الشراب ، قلت له :

– هى ما بتحبنيش !

– مش لازم تقول الكلام ده ! دى بتعشقك !

– هى طالبة الطلاق منى !

- هى قالت الكلام ده من عصبيتها ، وإنت مش مفروض تاخد كلامها على إنه جد ، لازم تروح لها وترجعها !

فصحت فى عصبية: هى مش عايزانى ، هى عايزة ...

وفجأة ، وكأن أثر الخمر قد طار من رأسى ، نظرت إلى عين فرانك، وأدركت ضرورة أن أمسك لسانى . فكرت : ده مش ممكن ، وإن فرانك مع كل ده شخص جيد .

- أرسلان ، أنا تعبت من أفعالك وانفعالك الزائد ، وبدون أن تفهم أصبحت متشائم جداً وحساس جداً. أظن لو إنك رُحت لكيت وخليتك معاها كام يوم هيكون أفضل وأنا هاتولى إدارة الشركة فى غيابك لوحدى .

- إنت انفصلت ليه عن زوجتك ؟

وتعجب لسؤالى الذى لا محل له ، وأصابه التوتر، لكنه أجاب فى هدوء :

ماكنش فيه حب بينا ، ومن الطبيعى إن استمرارنا مع بعضنا كان من الحماقة .

ونهضت من مكانى بسرعة وقلت وأنا أتمايل من أثر الشراب : لازم أنام ، واصطحبنى فرانك حتى حجرتى ، ثم تركنى ، وبمجرد أن استلقيت على السرير استغرقت فى النوم .

وحينما استيقظت كان الجو ليلاً ، وأدركت حينها أننى استغرقت فى النوم لساعات طويلة ، وحينما خرجت من الحجرة كان الخدم قد أعدوا مائدة العشاء ، فغسلت رأسى ووجهى بالماء ، ثم جلست على المائدة . وبصعوبة وضعت فى فمى عدة لقيمات ، ثم تركت المائدة ،

وتوجهت إلى التليفون ، واتصلت بالرقم الذى تركته كيت لى ، ومضت فترة حتى ردت سيدة عجوز !

– السيدة بولين ؟

– الآنسة بولين ، من أنت ؟

– أنا وفائى ، زوج كيت .

– أوه .. أى سعادة غير متوقعة !!

– أقدر أتكلم مع كيت يا آنسة بولين ؟

– إنت بتتصل من لندن ؟

– أيوة.

– أنا آسفة جداً ياحبيبى! هى مش فى البيت دلوقتى لكنها هترجع بسرعة، حقيقى أنا استعجبت لزيارتها لى بعد كل السنين دى .

– أقدر أسأل عن عنوانك ؟

– أيوة .. بكل تأكيد .

وبعد أن أخذت العنوان بدقة ، اضطررت لمتابعة الحديث مع تلك لآنسة العجوز الإنجليزية ، وكنت مندهشاً من كونها آنسة ، ولكن سرعان ما زالت دهشتى ، لأننى علمت من خلال حديثها أنها كانت تحب سيساً فى شبابها ، ولما لم يتمكنا من الزواج أقسما فيما بينهما على ن يظلا دون زواج حتى آخر العمر ، وأن يجعلا نفسيهما وقفاً لخدمة لكنيسة والناس .

حقيقة حينما سئمت من ثرثرتها ، رغبت فى أن أهرب من يدها ؛أية حجة ، وقد اعترفت هى نفسها بثرثرتها ، وضمناً أخذت منى وعداً سرعة القيام بزيارتها .

وما أسعدنى هو أن كيت لم تقص على خالتها العجوز أى شىء عن حياتنا ، وهذا ما جعلنى أكثر هدوءاً .

وفي الحقيقة لم تكن لدى الطاقة على بعادها ، وكنت أعلم أننى لا أستطيع الحياة بدونها . ومن ناحية أخرى كنت قد اعتدت عليها ، رغم كل هذه المشاكل وهذا القلق ، مع كل هذا الإهمال والجدال!

على أية حال ، كنت أؤمن أنها امرأة ، فلو كانت حتى متأكدة من أن الخطأ منها ، فلن تعترف بذلك من منطلق كبريائها ، ومهمتى أن أسافر إليها وأعيدها ، ولم يكن يروقنى هذا ، لذلك تغاضيت عن كبريائى بعد مرات عديدة من التفكير وسافرت إليها ، فى حين أننى لم أكن متأكداً من عودتها .

لم يمض وقت طويل حتى هبطت الطائرة على أرض فرنسا ، وتوجهت على الفور إلى العنوان المقصود ، وحينما وصلت إلى هناك، ضغطت الجرس وأنا متردد ، وانتظرت ، واستمرت فترة حتى فتحت لى امرأة عجوز قصيرة ، وما أن رأتنى حتى لبست نظارتها ، وسألتنى : إنت عايز مين ؟ فقلت مبتسماً : الآنسة بولين ؟ أنا أرسلان ! ولما رأيت ترددها، قلت : زوج كيت .

فطرقت يديها ، وقالت فى ذهول بعد معرفتى : أوه ...زوج كيت ! كيت اتكلمت معايا عنك .

وسلمت عليها وانتظرت ، وأفسحت لى الطريق أمام الباب ، ودعتنى إلى دخول المنزل بكل لطف ، فدخلت منزلها الصغير ، وأثناء سيرى فيه سألتها : فين كيت ؟

– هى هنا ، ولكن تأكد أنها هتُفاجأ من رؤيتك .

وأسرعت قبلى بالدخول إلى حجرة الاستقبال ، وسمعتها تخبرها بقدومى، وحينما دخلت حجرة الاستقبال ، نهضت كيت عند رؤيتى ، وألقت بالمجلة التى كانت فوق ركبتها على الأرض ، فنظرتُ إلى الخالة بولين ، وكانت تنظر إلينا ، فتقدمت بوجهى ، وقبلْت وجنتها ، وتحججت خالة كيت بإعداد الشاى ، وقالت أثناء سيرها : أناهسيبكم لوحدكم ، بالتأكيد عندكم كلام كتير عايزين تقولوه يا أطفالى !

فابتسمت لها ، وانتظرت حتى تترك الغرفة ، ثم أجلست كيت بهدوء على الكرسى ، وجلست أنا أيضًا بجوارها :

– كيف حالك يا كيت ؟ أمورك ماشية كويس ؟

– إنت ما قلتش إنك عايز تيجى هنا .

– إنتِ زعلانة من رؤيتى ؟

– لكن ده ماكنش قرارنا .

فصمتُ لعدة ثوانى، ثم قلت :

– أنا زعلان علشانك.

وتابعت الحديث مع رؤيتى لصمتها : أنا جيت وراكى علشان نرجع البيت سوا.

فنهضت كيت من مكانها ، وتوجهت إلى النافذة ، ثم قالت :

– أنا مش هرجع معاك إلى إنجلترا .

– ولو اعتذرت لك ؟

– أرسلان ، زى ما يكون كده مش واخد بالك .

فنهضت من مكانى ، ووقفت أمامها ، ثم قلت :

- أنا واخد بالى ، وعايز أعمل أى حاجة لاستمرار حياتنا .

- حياتنا مع بعض ملهاش فايدة .

- لازم تخَـرجى الأفكار دى من راسك ، إحنا مـا بقلناش ثلاث سنوات متجوزين!

- ما تعودتش إنى أرمى يوم واحد ورا ظهرى بدون داع .

فمسكت بكتفيها ، وقلت : ليه بدون داع ؟ إنتِ إتجننتى ؟ الثلاث سنوات فترة غير كافية لتحكمى فيها على حياتنا ، كيتَ ، إيه اللى طلبتيه منى ومنفذتوش ؟ حبيبتى ، مش مفروض تتكلمى معايا بالقسوة دى ، غداً نمشى سوا من هنا .

ودفعت كيت يدى وسط بكائها وقالت : لا ، أنا خدت قرارى، ومسحت دموعها ، وقالت : أنا حامل يا أرسلان !

فتقدمت خطوة ، فأوقفتنى بإشارة من يدها ، وقالت : لا ، لا تتقدم، أنا اتكلمت مع الدكتور ، وبسرعة هاجهض نفسى للتخلص من هذا الطفل .

فصحت : إنتِ إتجننتى ؟ هو إحساس الأمومة مات فيكِ؟

أنا مش مستعدة دلوقتى علشان أكون أمًا أو أفضل زوجة ليك .

فقلت فى عصبية : أنا مش هاسمح لك حتى لو أدى الأمر إلى أن أقيدك معى بالسلاسل ليل نهار .

أثناء ذلك دخلت خالة كيت علينا حاملة بعض فناجين الشاى، وجلست بهدوء فوق أحد الكراسى القديمة، وكأن هذه الكراسى لها نفس

عمر تلك الآنسة العجوز ، بينما كانت كيت تقف أمام النافذة ، وقالت بولين: كيت ، حبيبتى ، تعالى اشربى الشاى !

ومسحت كيت ما تبقى من دموعها ، ثم جاءت بجوارنا ، وجلست فى الكرسى المقابل لى ، ووضعت بولين فنجان الشاى الخاص بها أمامها، وسألت وهى تتفحص وجه كيت : إيه اللى حصل ؟ إظاهر إنك كنت بتعيطى.

فقلت بسرعة : هى زعلانة منى لأنى سيبتها كل الفترة دى لوحدها، وكان من المقرر إنى آجى وراها لكنى انشغلت .

-أوه كيت ، إنت امرأة محظوظة، أنتما فعلاً زوجان متحابان ، حسنًا ، امسحى دموعك ، وما تلوميش جوزك لإنه راجل بجد ، وواجب عليك إنك تستحملى جوزك بكل مشاكله . عارف ياأرسلان ، دى تشبه أختى تمامًا ، فكان لها أيضًا نفس الطبيعة الحساسة المنفعلة ، أنا باعتقد دايمًا إن ده هو السبب فى قصر عمرها ، ولكنى متأكدة من إنك هتفهم كيت.

فمسكت يديها وقلت : اطمنى .

الفصل الخامس عشر

وفى النهاية حينما سمحت لنا خالة كيت بالاستراحة ، كان الليل قد انقضى نصفه ؛ فتلك الآنسة العجوز الثرثارة قضت أكثر من نصف الليل تسترجع معنا ذكرياتها حتى ألم بنا التعب ، وكنت أتعجب من كيت، فكيف تستطيع تحملها مع قلة صبرها. وأعترف أن أيًا منا لم يكن متنبهًا لحديثها، فكان كل منا غريقًا فى أفكاره ، على الرغم من أننا كنا ننظر بإمعان إلى بولين العجوز ، وحينما أغلقت خالة كيت باب الغرفة بعد إلقائها تحية المساء ، ألقت كيت بنفسها فوق السرير وأبدت تعبها ، لكن جلدى لم يكن يسعني بسبب سماعي خبر أننى سأكون أبًا ، وأحببت أن تشاركني أيضًا هذه السعادة الغامرة ، ولكن لم تكن فى الواقع سعيدة ، بل على العكس كان يبدو أنها حزينة وقلقة من وجود الطفل ، واعتقدت أنها تحتاج إلى حبى ، وإلى مساندتى !

ولكى أهدئ من روعها أعربت لها عن سعادتى لسماع هذا الخبر، وقلت لها بهدوء : كيت ، فكى تقطيبة جبينك ، إنتِ مش عارفة أد إيه أسعدتنى من الظهر لغاية دلوقتى بقولك البشرى دى لىّ ؟ فكرى فيه ! فى ابننا ! فى الشكل اللى هيكون عليه ابنى وابنك.

لكنها حتى لم تلتفت إلىّ ، فمسكت ساعدها بهدوء ، وقلت : كيت، أرجوكِ ! .

وكنت مستاءً من تصرفها ، ولكن من ناحية أخرى لم يكن فى الإمكان قط موافقتها على إجهاض الجنين ؛ فكنت أعشق الأطفال، سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا ، فلا فرق بينهم ؛ فطفلى كائن أشعر فيه بكل وجودى!

كنت أريد شخصاً يخاطبني بكلمة "بابا" ، أجلسه فوق ركبتي ، وأهمس في أذنه بهمسات حبي وعشقي .

وشعرت بالسعادة في تلك اللحظة التي فكرت فيها في ابني ، وشعرت بطاقة فائضة بداخلي، ولم أعد مستاءً من كيت ثانية كما كان في السابق ، وفكرت في أن أتصرف وفق ميولها ورغباتها على الأقل حتى تنتهي فترة حملها ، فهي لم تعد زوجتي فقط ، بل أم طفلي.

فكرت في أنني لا أستطيع أن أتصرف وفق مرادها ، ولكن إذا ما أردت طفلاً سليماً فيجب عليّ أن أشق على نفسي وأظهر حبي لها .

وقبلت كيت بلطف ، وعبثت في شعرها ، وهمست لها : كيت ، هنرجع بيتنا ، حبيبتي زعلك مش في محله ، إنتِ عايزاه بشدة . إحنا هنربيه سوا ، هو مش وحش لدرجة تخليكي ترفضيه ، وأنا هحاول أكون زوجًا حنونًا ولطيفًا ، إحنا قضينا وقتًا طويلاً في إيذاء بعضنا، لكن من دلوقتي لا ، مش هيتكرر ده تاني .

ولم أسمع جوابًا من كيت ، فانحنيت بهدوء أمام وجهها ، وكانت قد استغرقت في النوم ، فغطيت وجهها ، وأغلقت عيني أنا أيضًا ، على الرغم من أنني لم أتمكن من النوم لفرط سعادتي .

وبعد يومين ودعنا بولين العجوز، وتوجهنا إلى إنجلترا ، وتمكنت إلى حد ما من أن أثني كيت عن موقفها من إجهاض الجنين ، لكنها مع ذلك كانت قلقة مضطربة ، ولا شك أن أسبابها في ذلك كانت طبيعية بالنسبة لي، هذا في حين أنني كنت على إيمان تام بإمكانية الوصول إلى أي نتيجة عن طريق الحب .

لقد كنت أحبها ، وكنت أحاول أن أجنبها أسباب الحزن والقلق ، كنت أقوم بدعوة الأصدقاء الذين كانت تحبهم كي يملأون عليها أوقات

فراغها ، كنت أنفذ لها كل ما تطلبه ، وأذكر أن أصدقاءها كانوا سعداء بها أيضًا ، وكان بعضهم يذكر هذا علانية.

كانت كيت تحت إشراف أحد الأطباء الماهرين ، وكنت أعود سريعًا في أوقات العصر لأصطحبها في نزهة ، كما كنت أحذرها من العمل المرهق خلال فترة حملها ، وانتظرت التسعة شهور وأنا على أحر من الجمر، وكنت أُعلِّم الأيام فى التقويم الواحد تلو الآخر ! حتى أتت اللحظة الموعودة.

فى ذلك اليوم كنت مشغولاً أنا وفرانك فى فحص بعض الصفقات ، حيث رن جرس التليفون ، ورفع فرانك السماعة ، ومن حديثه تنبهت أن المكالمة تتعلق بكيت :

– كيف حالها ؟ حسنًا جدًا . . . حسنًا جدًا .

وخفق قلبى بسرعة وأخذت السماعة من فرانك بيد مرتعدة ، وتحدثت مع خادمة كيت :

– أنا أرسلان وفائى ! إيه اللى حصل يا سارة ؟

– لا تقلق يا سيدى حالتها كويسة .

– وكيف حال الطفل ؟

– أسمع ضربات قلبه .

– انقليها إلى المستشفى وأنا هاجى .

– إحنا مضطرين لانتظار سيارة الإسعاف .

– حسنًا جدًا . . . حسنًا جدًا ، اعملى اللازم وأنا هاحصلكم ، تقدر كيت تتكلم معايا ؟

– آسفة مش هتقدر ، أوه اعذرني يا سيدى ، يتهيأ لى أن سيارة الإسعاف وصلت .

ومكثت فى مكانى حائراً قلقًا ، وعندئذ دق فرانك على كتفى، وضحك بصوت عالٍ وهو يقول : هيجيلك ابن وهتبقى أب !

ولبس الجاكيت ، وساعدنى أيضًا فى ارتداء الجاكيت الخاص بى ، ثم توجهنا إلى المستشفى وسرعان ما وصلنا إليها ، ولم أتمكن من العثور على طبيب كيت ، فأخذت أسير على قدمى دون صبر ، حتى أخبرونى بعد عدة ساعات أننى أصبحت أبًا ، وانعقد لسانى من فرط السعادة ، وسعد فرانك كذلك واحتضننى بشدة .

وتوجهت إلى حجرة كيت بخطوات مرتعدة حاملاً باقة من الزهور، وكانت كيت جميلة كعادتها تجمع شعرها إلى أعلى وعيناها الخضراء تتلألأ، فانحنيت بهدوء ، وقبلتها هى والطفل .

قالت كيت : دى بنت .

وأخذ فرانك يداعب الطفلة ، ويقدم التهانى لى ولكيت وسأل: فكر هتسميها إيه ؟

وقبل أن أفتح فمى لأقول رأيىّ ، قالت كيت : سوزان . وبعد نظرة لها على الطفلة ، قالت : كان لى أخت بهذا الاسم ، وغرقت فى البحر ، وكنت أحبها كثيراً .

وفُتحت عين الطفلة، فقلت لفرانك : ، عيناها تشبه كيت تماما . فقال فرانك : لكن بشرتها مش زى كيت ، يبدو أن بشرتها برونزية .

فقلت وأنا أحمل الطفلة : مفيش عيب أبدًا فى خلقة ربنا . لعل طفلتنا برونزية لأننى أنا وكيت ذوى بشرة بيضاء .

ضحك فرانك بصوت عالٍ ، وقال : بتتكلم عكس القاعدة ! إنت محلل كبير. ووقع نظرى على كيت أثناء ضحكنا ، فوجدت وجهها كالبنجر الأحمر، وتخيلت أنها استاءت من مزاح فرانك .

وبعد عدة أيام سمح لى الطبيب باصطحاب كيت والطفلة إلى المنزل، وأحضرت خادمة خاصة لسوزان حتى تقوم بمساعدة كيت .

والآن كانت كيت تعبد سوزان ، وصار سلوكها معى أكثر لطفًا من ذى قبل . وبناءً عليه صارت حياتنا أكثر صفاءً وهدوءًا ، وكنت أعشق سوزان ، كنت أشعر أنني قد وجدت نصفي المفقود ، كنت أشعر بوجوب السعى أكثر لتهيئة مستقبل أفضل لها . حينما كنت أنظر إليها كنت أراها ملكة جمال متوجة ، لا يستطيع شخص أن يدّعى أنه يماثلها فى الجمال ، ولكننى أعترف أن الخوف كان يتملكنى دومًا ، ولم أكن أعرف لم هذا الخوف ؟ وكنت أسأل كيت دومًا : كيت ، إيه الإحساس اللى عندى ده ؟ هل الأبوة مخيفة إلى هذا الحد ؟

لا ريب أنها كانت تضحك علىّ ، وكانت تقول دومًا : لسه بتحكمك المشاعر الشرقية .

نعم ، لقد كنت كذلك ، وكنت أريد أن أحافظ على ما كنت فيه من سعادة ، وكنت مستعدًا للدفاع عنها أمام أية عراقيل تقف فى طريقها .

وعندما تمكنت كيت من القيام ثانية كالسابق ، أعددت حفلاً كبيراً، واحتفلت بمولد سوزان ، واشتريت لكيت رداءً جميلاً ، وحينما خرجت من حجرتها بشعرها المزين وردائها الذى على آخر موضة ، امتدحت جمالها من أعماق مشاعرى ، ولم أستطع الكف عن الحديث معها :

– حبيبتى ، إنت بقيتى أجمل فى الزى الجميل ده ، أحيانا أفكر إنك مش هتعجزى أبداً .

فقالت وهى تلف فى زيها، : أنا سعيدة لأنك بتفكر فىّ .

فقلت فى سخاء : أى حاجة تانية عايزاها اطلبيها منى ، إنت جبتيلى بنت جميلة مفيش زيها ، بنت ماكنتش أتخيل جمالها حتى فى منامى .

- بتحبها كل هذا الحب؟

- إيه السؤال الأحمق ده يا كيت ؟ إنتِ كمان أكيد بتحبيها أكثر منى .

- أيوة ، أكيد ، لكنى ماحبتش الأطفال أبداً .

- طفلتك تختلف عن بقية الأطفال ، ولازم تعرفى كده ، ولو بعدت عنك يومين ساعتها هتفهمى .

- أشكرك على استخدامك مربية للطفلة ، أنا كنت بافكر هعمل إيه معاها لوحدى.

فقلت بإخلاص : أنا أعمل كل حاجة علشان خاطرك .

ووقت الغروب حيث بدأ المنزل يزدحم بالضيوف ، كنت أنا وكيت فى استقبالهم ، وكان أصدقاؤنا يأتون جماعات جماعات ، ويقدمون التهانى بعد تقديم باقات الزهور أو الهدايا . وكانت سوزان فى حضنى ، وكنت أشعر بالزهو لوجودها . كانت طفلة هادئة حقًا ، ولم ترهقنا أو تسبب لنا ألمًا قط ، حتى إن المربية الخاصة بها كانت تذكر أنها لم تشاهد فى حياتها طفلاً بهذا الهدوء .

كان الضيوف يتوافدون ، وكنت أرحب بهم أثناء عبورى من شخص إلى آخر.

وتلك الليلة منقوشة فى ذاكرتى جيداً ، حيث تصادفت مع الاحتفال بمولد عيسى المسيح ، وقام الجميع بالرقص وهم سعداء ، رغم أننى كنت وبعض الأصدقاء نختلف معهم فى الدين .

وأجبرنى فرانك على الدخول معهم فى دائرة الرقص، ورقصت مع بعض صديقاته . وكانت إحداهن تدعى آليس ، وعلمت بعد ذلك أنها زوجة فرانك السابقة ، وكانت هى وفرانك يتحدثان بصورة عادية ، حتى إنهما رقصا سوياً ، وكنت قد تعجبت لرؤيتى هذا الأمر !

وأثناء انشغالى مع آليس فى الحديث ، رأيت فرانك وكيت معًا ، وكان فرانك للمرة الثانية يقول شيئًا لكيت يحثها على الضحك بصوت عال. ورأيت أن آليس تتسم بقدر من الهدوء وعدم الانفعال . كان فرانك جذابًا ومتحدثًا لبقًا ، ولم أتمكن من أن أمنع نفسى من الحديث مع زوجته فى هذا الأمر:

– أنا مستعجب من أمركم يا آليس ، ليه انفصلتِ عن مثل هذا الرجل الجذاب الأنيق؟

– إنت بتسألنى عن مسائل خاصة بماضىّ .

فقلت فى لطف: اعذرينى، لم أقصد التطفل على حياتكما السابقة ، لكننى تعجبت فقط.

فلفظت آليس آهة ، وقالت وهى تنظر إلى فرانك وكيت :

– تعرف إنى ضابطة شرطة ؟

فقلت فى دهشة : ما كنتش أعرف أبداً .

فقالت : أيوه ، أنا ضابطة شرطة فى الإدارة الجنائية ، كانت حياتنا سعيدة ، ولعلى السبب فى انقلابها .

- إزاى ؟

- كنت مضطرة بمقتضى عملى لأن أتواجد خارج المنزل حتى منتصف الليل ، وده بالنسبة لفرانك كان غير مقبول .

- إننى حائر بسبب فرانك ، دايماً ينتقد ملاحظاتى تجاه كيت ، فى حين أنه كان بيتصرف معاكى زمان بنفس الطريقة . أوه . . أنا آسف أوى ، إظاهر إنى تطفلت كتير ، وعلى أية حال أعتقد أنه يعرف طريقه دوماً إلى قلوب النساء بشكل جيد .

قالت آليس : بتتكلم عن كيت ؟ أنا أعرفها من سنين طويلة .

فسألتها فى دهشة : تعرفيها ؟

- أيوة وفرانك كمان !

فقلت غير مصدق : أعتقد إنك أخطأت !

- ما تقولش إنى أخطأت ، إنها صديقة لأسرتينا ، كانت أختى الصغيرة فى نفس الفصل معاها ، هى بجد فتاة جميلة .

كانت آليس تتحدث ، ولكننى كنت غريقًا فى بحر أفكارى ، إذن أيعرف كل منهما الآخر منذ أعوام طوال؟ وقد أوهمانى طوال هذه الفترة بأنهما تعرفا منذ أن قمت أنا بتعريفهما، ولكن ما السبب فى هذا ؟ وضاق صدرى، وأحسست برغبتى في التنفس فى الهواء الطلق ، بعد ذلك استأذنت من آليس وتوجهت إلى التراس .

الفصل السادس عشر

مرة أخرى لجأت إلى الخمر القذر على نحو كان يجعلني لا أستطيع الوقوف على قدمي .

وبعد انتهاء الحفلة ، منحت جميع الخدم في المنزل أجازة باستثناء الخادمة الخاصة بسوزان، وجلست في الصالون في ظل ضوء الأباجورة.

وكانت كيت قد ذهبت إلى حجرتها ، وكنت أعلم أنها سوف تأتيني على أية حال لإلقاء تحية المساء ، فجلست أنتظرها .

لقد قضت وقتًا طيبًا مع فرانك ، وربما ساءت الاستفادة من صمتي، كان يجب أن أكون عصبيًا تجاهها ، ولكنني تظاهرت بالهدوء التام. ربما تعلم هي أيضًا مدى غضبي جيداً ؛ لأنها لم تظهر نفسها للوقوف أمامي ، وكنت أشعر بصوت أقدامها المضطربة فوقي في حجرتها. وفي النهاية سمعت صوت أقدامها خلفي حيث كانت تهبط السلم ، وانتظرت حتى طوت درجات السلم .

وحينما ملأ السكون المكان كله ، قلت بصوت غير مفهوم على أثر الإفراط في الشراب : عجبتك الحفلة ؟ فقالت كيت في حذر وفتور : أيوة، شكراً يا حبيبي.

كان وجهها في الظلام ، ولم أتمكن من رؤيته بشكل واضح ، فأجلستها على الكرسي المقابل لي ، وقلت : اجلسي .

فقالت بصوت مرتعش : أنا جيت أقول تصبح على خير ، اعذرني أنا تعبانة جداً .

قلت في هدوء : اجلسى ، أنا عـارف إنك جـيـتى علشـان تشـربى الخمر .

– أنا . . .

وصحت في غضب : قلت اجلسى ، هل تتخيلى إنى مش عارف إنك بتشربى الخمر دايماً كل ليلة ؟

– أنا مش محتاجة له .

فنهضت من مكانى ، واقتربت منها وأنا أخطو خطواتى بصعوبة ، ثم وضـعت كلتا يدىَّ على كتفـيـهـا، وأنا أشـعـر أن ثقل جسـدى كله فى هاتين اليدين ، لأن ركبـتـيـهـا بدأتا فى الرعـشـة ، كنت أشـعـر تمامـًا بأنفاسها ، فضحكت ، وقلت : اقعدى علشان نتكلم سوا حديث أسرى.

فردت كيت يدى ، وقالت فى ثقة : أنا مش هاتكلم معاك دلوقتى.

– ليه ؟

– إنت سكران وأنا لازم أكون مع الطفلة .

– الطفلة ليها مربية خاصة بها ومش فى حاجة ليكِ ، إنتِ خايفة منى ولا لأ؟

ورفعت كيت رأسها فى ثقة ، وقالت وعيناها فى عينى : مطلقًا، أنا لسه ما ضعفتش لدرجة تخلينى أخاف من شخص سكران ؛ فوضـعت يدى على قلبها ، وقلت : إنتِ بتكذبى زى كلب كاذب ، قلبك بيدق زى قلب الأرنب الهارب! وأنا سعيد لأننى أرعبك إلى هذا الحد .

قالت كيت بصوت عال : ارفع إيدك القذرة عنى !

- ما ترفعيش صوتك قدامي !

وصمتت على أثر صوتي العالي وتابعت حديثي : أنا زوجك ، وأنا اللي سمحت للذئب ده بالاقتراب منك .

- بتتكلم عن مين ؟

- عن ذلك الرجل الأحمق ، اللي طول المدة دي ... قضيتي معاه !

وعدت ناحية الكرسي ، وبينما كانت في طريقها إلى حجرتها ، صحت : إنتِ مش هتروحي أي مكان طالما لم آمرك بذلك .

فعادت ناحيتي ، وأشرت إليها بيدي كي تجلس على الكرسي المقابل لي ، فمكثت قليلاً ثم جلست فوق الكرسي .

فقلت وأنا أضحك : شوفتي إنك بتخافي مني ؟!

فقامت كيت من مكانها ، وقالت: أنا ما بخافش منك .

فضربت بيدي على المائدة بقوة وقلت : اجلسي ، أنتِ كاذبة لا حياء لك ، وأنا سمحت لنفسي إني أكسر رقبتك ، إنك لست مسيحية متدينة، إنتِ جسد متشرد وبس !

وجلست كيت ثانية فوق الكرسي ، ووضعتُ كأسًا من الخمر أمامها، فقالت : أنا مش عايزة.

قلت: اشربي ، أنا عارف إنك محتاجاه أوي ، وإلا لما كنت اشتريتي خطر المواجهة معي بروحك .

فمسكت الكأس ، وأفرغت ما بداخله على الأرض ، فنظرت إليها بنفور ، وقلت : في الواقع هل إنتِ امرأة ؟

ووضعت الكأس خالياً فوق المنضدة ، ثم ألقت بشعرها المشعث إلى الخلف ، وسألتها على الفور : من إمتى وأنتِ تعرفى فرانك ؟

– أرسلان ، الليلة . . .

– ردى علىّ فقط ! وخليكى عارفة إذا كذبت علىّ هاكسر رقبتك ، وعلى الرغم من وجوب شنقك دون محاكمة ، لكنى هديلك الفرصة للدفاع عن نفسك .

فقالت بثقة وفتور وبدون خجل : من فترة طويلة ! ولكن أى دخل لك فى هذا ؟

– إنه يتعلق بى جداً ، لأننى زوجك .

– إنت حيوان قذر .

فضحكت وقلت : أوافقك على هذا ؛ لأن نصيبك ليس أفضل منى .

– لازم أمشى ، أنا ما عنديش طاقة لسماع إهانتك لى .

– مش هتروحى أى مكان ، هتسمعى كل كلامى .

قلت هذه الجملة بلهجة شديدة جعلت كيت عاجزة عن الحركة ، وتابعت حديثى : إنت لك علاقة به ، ملاقتيش حل أنسب من مشاركته لى فى العمل علشان تضمنى الاقتراب منه بشكل أشد وأكثر بالوسيلة دى.

– ولكنك أيضاً على علاقة به مثلى تماماً .

– أيوه ، ولكنى مش بشخص يترقب مشاركتى فى حياتى . إنتِ بعتيه لىّ باقتراحه الشيطانى ، وكنت سبباً لقبول صداقتى له .

وكانت كيت صامتة ، لكن لم يبد أنها خجلة ، بل رفعت رأسها بمنتهى الثقة ، وأخذت تنظر إلىّ باستهزاء اللعب بى .

– حسنًا ، إنتِ قدرتى تلعبى بىَّ لغاية الليلة ! أد إيه كنتِ بتتعذبى قدامى وإنتِ بتتصرفى بتحفظ ، والليلة قضيتم وقتًا كافيًا مع بعضكم .

فقالت كيت فى ثقة : إنت متخيل إنى مش عارفة إنك طول الحفلة كنت مشغول مع آليس ؟

– هل أثير شعور الغيرة عندك ؟

– لا ، لأن هذه المرأة مجنونة !

– لو إنى اتقابلت خلال الفترة دى كلها مع شخص عاقل ، لكانت هى ؛ فهى اللى كلمتنى عن حقيقة اللى بيحصل ، قولى لى إلى أى مدى كانت علاقتك به ؟

فنهضت كيت فى عصبية. لا شك أن حديثى أيضا لم يكن صحيحًا، ولكننى صرت مجنونًا . كنت أفكر فى أننى قد خُدعت خلال هذه الفترة ؛ لذا لم أكن أعى ماذا أقول ، وتوجهت إليها ودفعتها للجلوس على الكرسى، ثم قلت : لو قمتى تانى من مكانك هضربك بإيدى دى ؛ فانهمرت الدموع من عينى كيت ، فقلت فى قسوة : إلى أى مدى تحسنى الاستفادة من سلاحك الأنثوى !!

فقالت وهى تبكى : أنا مخلصة لك يا أرسلان !

قلت : وإن كنت أشك فى ذلك ، إلا أنى هاصدق كلامك ، لكن لازم تقولى لى ، ليه كذبتى علىَّ؟

ومسحت كيت دموعها ، وقالت : أنا أعرف فرانك من سنوات ، ولما قررت إنك تدوَّر على عمل مناسب ، اقترحته عليك ، وإنت قبلت ، ولكنى كنت مطمئنة إنك إذا تعاملت معاه هتحبه ، أرسلان ،عايزاك تصدقنى، أنا عملت كده من منطلق حبى ليك .

أنا على علاقة مع فرانك ، ولكنه مش أكثر من صديق ! تصورت إني هاحكي لك الموضوع ده في يوم من الأيام ، ولكن سرعان ما أدركته بنفسك ! كنت عارفة إني لو قلت لك الكلام ده في البداية هتسيء الظن بي ، فانتظرت الفرصة المناسبة ، وأنا مستعدة أقسم بحياة سوزان.

وكانت تبكي كسحاب الربيع ، ولم تكن لي قدرة قط على رؤية بكاء النساء وليست لي ، فسألتها دون وعي : ليه انفصل عن زوجته ؟!

– مش عارفة ، لكن كان واضح إنهم مش متفقين .

– انفصل عن زوجته علشان يملا أوقاته في صيد النساء الأخريات .

– إنت أحمق يا أرسلان ، لو كان ليّ علاقة به لكنت تزوجته قبل أن تصبح أنت زوجي ، هو ترك زوجته من كام سنة ، وأنا كمان أعرفه من كام سنة ، ولإدراك هذا الأمر المسألة مش محتاجة كل الكلام ده ، كنت تقدر تسألني . أنت تعلم جيداً الوقت الذى ارتبطنا فيه والوقت الذى غيرت مسلكك معي فيه ، فما من شيء يقبل التنبؤ به ، وتركتها وصعدت درجات السلم .

لم أصفح عن كيت فقط ، بل إنني لم أواجه فرانك أيضا ، فنحن الآن لم نكن شركاء فقط بل زملاء عمل ، ولم تؤد أسئلتي إلا إلى القلق والتكدر .

ومنذ ذلك الحين تجمدت العلاقة بيني وبين كيت وأصبحت بصورة رسمية ، ولم يكن أى منا لديه النية في أن يخطو خطوة لتحسين الأوضاع. كنت أعود إلى المنزل في وقت متأخر ، وأحياناً كانت تمر الساعات عليّ عودتي دون أن أعلم شيئًا عن كيت ، وفيما يبدو أنها كانت مستريحة البال فيما يتعلق بسوزان ، أما أنا فكان قلبي يحترق فقط من أجل الطفلة .

الفصل السابع عشر

إن كنت قد تغاضيت عن تصرفات كيت ، فكان هذا فقط من أجل سوزان ، فكنت أعبدها ، لم أكن أبغي أن يكون جو المنزل- المكان الذى تنمو وتكبر فيه - مكانًا للشجار والجدال.

والآن كانت سوزان في عامها الثاني ، لكنها كانت تحبنى أكثر من أمها ، لأنها لم تكن تراها تمامًا ؛ فكانت مشغولة دومًا بلهوها وحفلاتها، ولم يكن لديها الفرصة لمداعبة ومحبة سوزان، حتى إنها فى الغالب لم تذهب إلى حجرة سوزان لتقبلها وتقول لها : تصبحى على خير ، وذلك من فرط تعبها، فكانت تربيها بوساطة المربية ، والمربية هى التى كانت تقوم برعايتها وتنظيفها وإطعامها ، وكنت أتأذى من عدم اهتمام كيت بسوزان، ولكننى كنت أعتبر أن تذكرها لها كان دون جدوى . كنت أفكر دومًا فى أن أضع حدًا لمصيرى أنا وسوزان من هذه التعاسة .

وتدريجيًا بدأت أكف عن المشاركة فى حفلاتها ، وكنت أقضى أوقاتى فى حجرة سوزان وبجوارها ، وكف فرانك أيضًا عن مشاركته لها فى هذه الحفلات ، وأظن أنه كان قد شمّ شيئًا ؛ لأنه قلما كان يتحدث معى أو يمازحنى كما كان فى السابق ، أنا أيضًا لم أكن غير راضٍ ، فكان تواجده بعد معرفة هذه الحقائق مما يسبب لى الاستياء .

وعلى أية حال كنت أسمع صوت الضيوف وأنا فى حجرة سوزان، فكانوا يحتسون الخمر ويرقصون حتى منتصف الليل وتعلوا صيحاتهم . بعد ذلك كنت أسمع صوت أقدام كيت وهى تخطو متعبة حتى تذهب إلى

حجرة نومها . وليس هناك عجب فى أننا كنا ننام أنا وهى فى حجرتين منفصلتين ؛ لأننا منذ فترة نتعامل بشكل رسمى . لم أكن أرغب فى أن تصبح ابنتى مثل أمها. لم أكن أرغب فى أن تجد طريقها إلى هذه الحفلات، بين أشخاص لا يعرفون من المدنية سوى الفسق، وتدريجيًا أصبحت أرسلان السابق ، بنفس العقائد ونمط التفكير .

ودفعة واحدة عزمت على مقاطعة الخمر، وبعد عزمى هذا ابتعدت عنها ، وثانية وجد جلدى لونه الطبيعى ، وفى نفس الفترة اشتاق قلبى للوطن ، ولكننى كنت أعلم أن كيت لن تأتى معنا . من ناحية أخرى لم أكن أستطيع أن أفرق بين سوزان وأمها ؛ فكنت أفكر بشكل جدى فى مستقبلها، وكنت أعتبر نفسى مجبراً على تحمل الظروف ، وكان هذا فقط من أجلها .

وحينما بدأت سوزان فى الحديث تدريجيًا ، بدأت فى تقليد أمها . وما الذى كنت أستطيع أن أحدثها به ؟ إنها كانت فى حاجة إلى أمها ، ولم أكن أستطيع أن أفعل شيئا لها سوى أن أتحدث مع كيت ، وأقنعها بالتخلى عن تصرفاتها ، ولكن ليتها كانت تصغى ! ليت هناك ذرة حب من الأمومة الشرقية فى صدرها الذى يشبه الحجر . كنت أبًا لسوزان ولكن كان يجب علىّ أن أعوضها عن حرمانها من أمها ، تلك الأم التى كان يُشعر بعدم وجودها وقت وجودها . كنت أصطحبها إلى الحديقة ، وأقص عليها الحكايات ليلاً ، وأشاركها فى لعبها .

أتريدون الحقيقة ؟ كان قلبى يحترق من أجلها ، ففى النهاية هى طفلة صغيرة ، ولكن لها قلب ، لها إحساس ، إحساس يفهم جيداً معنى المحبة .

وكان اشتياقها للحب يبدو في عينيها . أتذكر ذات يوم كان يسبق يوم ميلاد سوزان أن ذهبت إلى حجرة كيت قبل مغادرتي للمنزل ، وطرقت الباب ، لكنني لم أسمع رداً، ففتحته ، ودخلت حجرتها ، وكانت كيت نائمة ، ووقع نظرى على جانب السرير، فلفت انتباهى وجود زجاجة خمر ، فحملتها، وحركتها، ثم جلست على كرسى بجوار السرير ، وناديت عليها، وبعد فترة أجابتنى ، فقلت لها :

– كيت ، يجب أن أقول لك شيئًا .

– مش دلوقتى ، أنا فى أمس الحاجة إلى النوم .

– طبيعى ، لإنك شربتِ حتى الثمالة، ولكنى مش هخرج من الغرفة دى إلا لما أقول كلامى ؛فتضايقت وجلست على السرير بصعوبة نصف جلسة، ونظرت إلى الساعة التى فوقها ، وقالت بعد ذلك معترضة :

– إنت عارف أنا بنام لغاية إمتى ، لكنك لم تبال وصحتنى .

– موضوعى أهم من نومك .

– حسنًا فلتقله ، أنا باسمع .

فوقفت و اقتربت منها ، ثم قلت :

– إنتِ متأكدة أنك هتفهمى كلامى ؟

– بالتأكيد، أتعتقد أننى صماء ؟!

– آمل ألا يكون ذلك ، لأنه يلزم لفهم حديثى أذنان سليمتان.

ونظرت إلىّ فى ضيق ، فى حين كان جسدها كله واهنًا بسبب رغبتها فى النوم، فقلت : الليلة يوم ميلاد سوزان ! إنت عارفة أنها أتمت عامها الثانى ، أنا مش محتاج لهؤلاء الحمقى اللى بتقضى أوقاتك

معاهم ، فكل ما يكفى لإسعادها هو كام شمعة وكيكة عادية ، هى عايزة تكونى جنبها ! فبالله عليك خليكى فى البيت الليلة ، ما تخلنيش أرجع فى وعدى مع الطفلة .

وألقت كيت برأسها فوق الوسادة ، فسحبتُ يدها بعصبية ، فصاحت من الألم ، فقلت : أنا بتكلم بجد وعايزك تكونى جادة أيضًا . لو ما عملتيش حاجة أبداً علشانها لغاية دلوقتى ، فلتسعديها هذه المرة، وحسى بإحساس الأمومة !

وكنت متأكداً بأننى أوضحت حديثى جيداً ، وجئت إلى البيت فى المساء مسرعًا ، وكان كلى أمل فى أن أرى كيت ، ولكن كان هذا دربًا من الخيال والسذاجة !

ومكثت أنا وسوزان فى انتظارها لساعات طويلة ، ولكن ما من خبر عنها ، وكان الشمع يذوب فوق التورتة ، وكنت أترقب خلف النافذة قدوم كيت .

وسألتنى سوزان : أبى ، أمى مش جاية ؟

وأية إجابة يجب أن أرد عليها بها ؟ وحينما تعدت الساعة العاشرة، استغرقت سوزان فى النوم فوق الكنبة ، فأيقظتها وحملتها إلى غرفتها . لقد انتظرت والدتها كثيراً ، وأخيراً استسلمت للنوم دون أن تراها ، وانطفأ ضوء الشموع ، وجلست منتظراً حتى حضرت كيت فى النهاية .

كانت تترنح بقدميها لدرجة أننى لو أشرت إليها بإصبعى لسقطت ، فتوجهت إليها فى عصبية، فقالت :

– أوه ... السلام ، أنا زى ما كون إتأخرت ، فين الطفلة ؟

وفكرت فى نفسى : هذا فقط ؟ أوه ... السلام ؟ وقلت فى عصبية :

– تلك الطفلة انتظرتك لحد منتصف الليل !

– أنا آسفة .

– أسفة فقط ؟ إزاى إنتِ أم ؟

– أرجوك ياأرسلان ! ما تبدأش تانى !

– ما بدأش إيه ؟ حياتنا ملهاش بداية !

وبدون اكتراث صعدت السلم ، وتوجهتُ إليها فى عصبية ، وسحبتها للخلف من شعرها ، وأوقفتها :

– أتمنى إن ربنا ما يسامحكيش على أفعالك . كانت الطفلة بتبص للتورتة بعين الحسرة، وفعلت كل شىء كى تقطعها لكنها رفضت ، كانت متنظراكِ، كانت عايزاكى تشاركيها فى سعادتها الصغيرة، لكنك أفسدت كل ده.

وخلصت كيت نفسها من يدى ، وقالت غاضبة : إنت عامل المظاهرة دى كلها علشان خاطر الطفلة ؟

– الطفلة دى طفلتنا أنا وأنت ، طفلتك ، لكنك لا تعيريها دومًا أدنى اهتمام، إنت بتفضلى الزبالة دول عن بنتك ؟

– أنا باحبها ، هى فى قلبى .

– أشك فى الأصل إن فيه قلب فى صدرك ، الطفلة البريئة دى هتتجنن من وحدتها .

– ممكن نحطها فى أى دار رعاية .

– إنتِ عايزة نحطها فى ملجأ ؟ بنتنا ؟ إنتِ إتجننت ؟!

- كلهم بيعملوا كده .

- كلهم مجانين ، زى ما يكون العاطفة ماتت فى الأرض دى .

- أرسلان ، ما تهتمش ببكائها ، وسرعان ما هتتعود على الجو الجديد .

- أنتِ على استعداد تضحى بالطفلة علشان تحقيق رغباتك ؟ ليه ما تبعديش عن أصدقائك علشان تتعودى تكونى أُم فاضلة ؟

- أنا ما عنديش طاقة على المناقشة .

وحاولت منعها من الانصراف ، فقالت :

- انظر ، إحنا اتكلمنا سوا قبل كده ، وقلت لك إنى ما عنديش وقت لتربية الأطفال ، وإنت قبلت كده .

- لكنها موجودة دلوقتى ، ما تقدريش تنكرى وجودها علشان السبب اللى قولتيه، أنا مش طالب منك حاجة كبيرة ،أنا عايزك تهتمى بها فقط .

وبدون اكتراث سلكت كيت طريقها إلى السلم ، وكأنها لم تسمع شيئًا من حديثى .

* * *

أدى هواء لندن الملوث إلى ظهور مرض جديد بين الناس وقد مرضت سوزان بهذا المرض ، وكان ذلك فى نفس الفترة التى سافرت فيها كيت مع بعض أصدقائها ، وأصيبت سوزان بارتفاع شديد فى درجة الحرارة مما دفعنى إلى إدخالها المستشفى ، وكان الطبيب يقول : إن لم تنخفض حرارتها ستكون الحالة فى خطر داهم . كنت أجلس

بجوارها على الوسادة لمدة أربعة أيام بلياليها ، أعد قطرات المحاليل ، ولا أعلم كم مائة ألف مرة لعنت فيها نفسى بسبب تعرفى على كيت ، فمن وجهة نظرى أن كل شىء، وكل التعاسات قد ألمت بى منذ تعرفى عليها .

وفى نهاية اليوم الرابع انخفضت درجة حرارة سوزان ، ولكنها كانت ضعيفة ومنهكة للغاية، وقبل أن يسمحوا لها بالخروج ، استدعتنى الطبيبة النفسية بالمستشفى إلى حجرتها .

ولا شك أن حالتى لم تكن أفضل من سوزان ، فكنت أبدو فى حالة يرثى لها بسبب عدم النوم فى الفترة التى رافقت فيها سوزان ، وسألتنى الطبيبة النفسية ، وكانت امرأة مثقفة ذات شخصية ، قائلة :

– سيد وفائى ، أنا عارفة إنك إيرانى .

– نعم ، هو كذلك !

– إنت عندك مشكلة مع زوجتك ؟

– بتسألى ليه ؟

– بص، أنا عايزة أساعدك ، هى زوجتك عايشة ؟

– أيوة ، عايشة ، لكنها ميتة بالنسبة لى .

– إزاى ؟ ليه ماجتش لرعاية بنتها ؟ ! إنتم انفصلتم عن بعض ؟

– لا والله ! هى . . . هى سافرت !

– عندها علم بمرض بنتكم ؟

– لا !

– ليه ما قولتلهاش ؟

– لإنى مش عارف بالضبط فين ألاقيها .

– يعنى إنت ما تعرفش فين زوجتك ؟

– لا !

– الطفلة ضعيفة جداً ، وتحتاج إلى حنان الأم أكثر من الغذاء ، ليه أمها ماجتش لرعايتها ؟

– فقلت في عصبية : أنا قلتها مرة ، وهاقولها تانى ، مش عارف فين أمها.

– فيه مشاكل بينكم ؟

– نعم ، للأسف هو كذلك .

تراجعت الطبيبة إلى الخلف ، وقالت :

– سيد وفائى ، للأسف ما نقدرش نسلمك الطفلة في الظروف دى.

– يعنى إيه ؟ أنا والد الطفلة .

– أبوة ، لكن الطفلة دى تحتاج إلى أمها أكثر منك ، دى لسه فى عامها الثانى .

– هى متعودة علىّ !

– أسفة ، القانون لا يسمح ، بالإضافة لكده ، إنت فى مشاكل مع زوجتك.

– وتمالكت نفسى وتظاهرت بالهدوء وسألتها : دلوقتى مفروض أعمل إيه ؟ يجب أن تأخذها أمها ، ولا يمكن حثها بالقوة لكى تكون أمًا فاضلة .

– لازم تكون عارف إنك مواطن هنا بسبب زوجتك .

– يعنى إنتِ بتشكى فى صحة كلامى ؟

– انظر، الطفلة دى عندها مشاكل نفسية كتير بسبب وضعيكما .

وعدت إلى حجرة سوزان ، ثم توجهت إلى المنزل مضطراً ، ولم يعد لى من حيلة سوى انتظار كيت .

الفصل الثامن عشر

كانت سوزان تضعف ، وفى كل مرة أبتعد فيها عنها أشعر وكأن الدنيا قد انهارت فوق رأسى ، والآن حينما أفكر جيداً أضحك على القوانين الهزلية لهؤلاء الناس ؛ فأنا مثلاً والد سوزان ، ولكننى لم أكن أستطيع أن أصطحبها إلى المنزل معى ، وهذا نوع من الإجحاف .

كانت سوزان تبكى ورائى كثيراً ، وكنت أسمع صوت بكائها حتى بعد أن أنتهى من عبور الممر ، وكانت تنادى علىّ دومًا ، وتريد أن أصطحبها معى .

وبعد انقضاء خمسة أيام وصلت كيت أخيراً ، وكنت غاضباً منها لدرجة عقدت لسانى عن الحديث معها ، وكان واضحًا أنها قضت وقتًا ممتعًا ؛ لأنها لم تتضايق حينما رأتنى . كنت أعلم أنها ستذهب للبحث عن سوزان كى تقبلها بعد كل هذه الغيبة ، وانتظرت حتى تفعل هذا ، وبعد أن تعبت من البحث ، عادت إلىّ قائلة :

– سوزان مش فى البيت ؟

فسألتها فى فتور : عايزة منها إيه ؟

– عايزة أديها العروسة اللى جبتها معايا ، حتمًا هى راحت فى نزهة مع كلاريس ! هذه المربية الحمقاء لا تراعى عمر هذه الطفلة !

ومسكتُ الصحيفة التى بجوارى ، وتظاهرتُ بالقراءة فيها .

– ماكنش مفروض تسمح لها تخرج بها من البيت فى الجو الملوث ده.

وفار الدم بداخلى، وألقيت بالصحيفة فى ناحية ما ، وصحت :

– إنت عايزة تجنينينى تانى ؟ إزاى تتكلمى عن المربية وتنتقديها فى حين إنك مابتهتميش بحال الطفلة ولو ساعتين فى اليوم ؟ حقيقى يهمك إنك تعرفى هى فين دلوقتى ؟ أنا بافكر أحيانًا إنك بتنفرى منها ! أو إنك بتشوفيها مانعًا لسعادتك ؟! مش من المهم بالنسبة لك إنك تعرفى إيه اللى عانته الطفلة دى فى هذه الأيام ، وإيه اللى حصل لها ! كل اللى ليكى فيها هو إنك أمها فقط .

فقالت كيت فى فتور : أنا ما تأخرتش بالدرجة اللى تخليك تتضايق.

قلت فى هدوء ، ولكن بشىء من العصبية : كم أنتِ حمقاء يا كيت، بالتأكيد أنا اتعودت على سوء أفعالك وأنانيتك .

– تقصد إيه ؟

– إن سوزان لازمت الفراش فى المستشفى طول المدة دى ، وهى هناك دلوقتى.

ضحكت كيت فى عصبية وقامت من مكانها :

– تقصد إنك سيبتها طول المدة دى لوحدها هناك ؟

– أنا مش عايزك تلعبى دور الأم الحنونة ، لإنه مش دورك !

فردت كيت فى عصبية : إنت عييت بنتى ، وعمّال توعظنى ؟

فصحت : أنا ؟ أنا كنت السبب فى مرضها ؟ إنتِ مش عارفة ليه مرضت ؟ ليه هى مش فى البيت دلوقتى ؟

وصمتت كيت وجعلت تصغى إلىّ ، فانتهزت الفرصة وتابعت حديثى:

– هى تعبت بعفونة فى البطن وعلشان كده ارتفعت درجة حرارتها، ونصح الطبيب بملازمتها الفراش ، وكنت ملازمًا لها طول الفترة دى، ولكن للأسف لم يسمحوا لى باستلام الطفلة .

– ليه ؟

– بيستفسروا عن المشكلة اللى بينا .

فقالت كيت فى عصبية : هه . . . ده غباء ، بالتأكيد إنت رحت وحكيت لهم الحكاية كلها.

– كيت ، هى دى الحقيقة ومفيش مشكلة فى فهمها .

– إنت خلتنى عندهم أمًا غير مسؤولة ومتمردة .

– مش بالشكل ده ، مع إن هى ده الحقيقة ؛ فمن وجهة نظرك ، توصفى بإيه الأم اللى ما تجيش لزيارة بنتها ولو لمرة واحدة طول فترة مرضها ؟

وأخذت كيت تروح وتأتى فى عصبية ويدها اليسرى على وسطها ، ويدها اليمنى تسحب بها شعرها المشعث للخلف ، وقد أثار سيرها هذا غضبى :

– إنتِ بتمشى ليه بالطريقة دى ؟

– إنت مش عارف يا أرسلان ، لو ماكنوش اتكلموا مع جمعية حماية الأطفال فى الموضوع ده ، هيكون من حظنا .

فسألتها فى حيرة : جمعية حماية الأطفال ؟! ليه ؟

– اللى أعرفه علشان يقدموا الأدلة عن عدم صلاحيتنا.

– وبعد كده ؟

– مفروض ندعي بس إن إحنا ما ندخلش في قضايا أمام المحكمة.

قلت في سخرية : دى حماقة ، لقد كنت حنونًا على سوزان دايمًا .

– للأطفال حقوق في مجتمعنا .

صحت : لكن دى طفلتنا ، ما يقدروش يخلوا حد تاني يربيها. ومن فرط غضبي مسكت بساعديها بشدة ، وقلت وأنا أهزها : أنتِ التي جلبت كل المشاكل دى ! أنتِ بإهمالك وأنانيتك !

وقالت كيت في رجاء وهي خائفة من غضبي : همَّ بينفذوا القانون ، متفقدش هدوءك .

فقلت بلهجة حادة : لازم تيجي معايا ونرجعها سوا البيت .

فخلصت كيت نفسها من يدى ، وقالت : أنا مش حيوان تصدر إليه الأوامر. أنا قلقانة زيك بالضبط ، ولكن يجب التحلي بالصبر ؛ فمن المؤكد إنهم مش هيسلمونا البنت في الوقت ده من الليل ، لازم نستحمل لحد الصبح ، وإنت مش هتقدر تعمل أى حاجة بالعصبية دى .

– اللعنة عليك وعلى بلدك وعلى شعبك !

وقالت كيت وهي تتوقع سماع هذا : أنا كمان مش مبسوطة من حياتي معاك ، وقلت ده قبل كده ، في الليلة اللى كنت فيها في حالة غير عادية وتصرفت معى بطريقة بايخة.

قلت وأنا أهزأ : مفيش هناك طريقة بايخة تاني ! لا بد إنك كنت تتوقعين أن أتصرف معك في هدوء بعد سلوكك المشين المخجل . لا يا كيت ، مش هاطلقك أبداً ، إنت لازم تكتوى معى بالنار اللى ولعتيها

إنتِ تستحقيها ، بالإضافة لكل ده فانت وللأسف أم بنتى ! وأنا مش عايزَها تكبر بدون أم .

– إنت حتى ما بتعتبرنيش أستحق أكون أمها !

– ولكنك للأسف أمها ! أنتِ اللى جبتيها للدنيا دى ، وأنا باقول لك أنا مش عايز من دلوقتى أشوفَ هنا وتحت السقف ده أى واحد من أصدقائك السفلة ، وأول واحد هشوفه هاستقبله بصورة وحشة ، وده هيطبق على أى واحد من الضيوف !

وتملك كيت الغضب غير أنها لم تتفوه بكلمة ، وتركتنى بينما كنت واقفا لأسمع ردها أو رد فعلها على ما قلت ، وتوجهت إلى حجرتها في حين كنت أعلم أننى قد وجدت عدواً لدوداً من الآن فصاعداً بدلاً من زوجتى.

وسلمونا سوزان ، ولكن كما كانت تتوقع كيت بعد عبورنا سبعة موائد ! فقد استجوبونا كثيراً بأسئلة إن تذكرتها الآن تدور رأسى ، وكانت كيت تعلم جيداً إلى أى مدى أحب سوزان وإلا لما كانت قد تعاونت معى وتصرفت بأسلوب آخر للرد علىّ ، وعلى أية حال فقد اعتبرت تهديدى أمراً جاداً ، ولم تحضر أصدقاءها ثانية إلى منزلنا ، لكن كان يُشعر بعدم وجودها أكثر من ذى قبل ، إلا أن هذا لم يعد مهماً بالنسبة لى ، ولا أى شىء آخر . كنت أشعر وكأننى سقطت فى دوامة كثيرة التلاطم ، وكانت كيت تحثنى دوماً بهذا التصرف على قبول فكرة الطلاق ، وعلى الرغم من أننى لم أعد أحبها لكننى كنت معترضاً على الطلاق بنسبة مائة فى المائة . لا أعلم ، ربما كنت أرغب فى أن أعذبها مثلما عذبتنى طوال هذه المدة . من ناحية أخرى لم أكن أرغب أن أتذوق مرارة الهزيمة للمرة الثانية فى حياتى الزوجية ، دوماً كنت أفكر فى أن

أسرتى سوف تلومنى إذا ما علمت هذا الأمر ، وسوف تتهمنى بأننى المتسبب الأساسى فى هذه المشكلة .

أتريدون الصدق ؟ كنت أفكر كثيراً فى سبب العداء بينى وبين كيت، وكنت مؤمناً بأننى المقصر فى ظهور هذا العداء، ولكن كلما فكرت لم أستطع أن أدرك ذنبى ، لقد كنت صادقًا دومًا مع كيت ، كنت أحبها ، كنت أتجاهل أخطاءها ، لم أتعامل معها قط مثلما كنت أتعامل مع زوجتى الأولى، تلك الفتاة الطيبة النجيبة ، ولم أكن قاسياً معها ولو لمرة واحدة خلال فترة حياتنا الزوجية القصيرة .

لقد مر الماضى ، وتذكره لم يجلب سوى الألم لقلبى ، كان هدفى أكثر من أى شىء آخر هو الحفاظ على سمعة أسرتى . وإذا ما علم أبى وأمى بحقيقة حياتى سيجن جنونهما ولن يصدقا ، لأننى خلال الأربعة أعوام التى قضيتها مع كيت كنت أتحدث معهما عن محاسنها فقط ، محاسن لم تكن فى الأصل لديها .

وصيف هذا العام لن ينمحي قط من ذاكرتى ، صيف تجمد فيه قلبى الدافئ، وتسبب فى أن أغادر تلك الأرض الأجنبية ، فقد توجهت إلى أيرلندا لعقد إحدى الصفقات ، وأنهيت عملى بأسرع مما يجب ، وحينما هبطت من الطائرة فى مطار لندن ، دفعنى شوق داخلى للتوجه مباشرة إلى سوزان فى المنزل قبل توجهى إلى الشركة ، فقد مضى أسبوع دون أن أعلم عنها شيئًا .

وفكرت فى نفسى : مما لا شك فيه أنها شعرت خلال تلك الفترة بوحدة شديدة ، وأن كيت لم تمكث بجوارها لمرة واحدة بسبب انشغالها مع ضيوفها الحمقى ، ووضعت المفتاح فى الباب ، ودخلت المنزل ، وذهبت مباشرة إلى غرفة سوزان ، وكانت مستغرقة فى النوم . وأثار

فضولى صوت نجوى وهمس ، فتوجهت إلى غرفة كيت ، وكنت آمل ألا تكون كل أحاسيسى سوى أوهام ، وكانت ضربات قلبي تخفق لدرجة جعلتني أتخيل أنني سأسقط على الأرض ، ومسكت بمقبض الباب وضغطت عليه لأسفل ببطء ، ثم فتحت الباب فجأة !

آه ، يا إلهى ، ليتنى كنت مت ، ليتنى كنت قتلتها ، وسرعان ما منعت عينى من الرؤية ، ثم صحت لمشاهدتى هذا المنظر : يا إلهى ، لا!

وتملك جسدى كله أمواج من الغضب ، وشعرت أننى لو لم أخرج سأنفجر، لا أستطيع أن أصدق ، كيت وفرانك معًا ؟

ونهضت كالقط البرى ، وقبل أن أسمح لفرانك بالحديث ، سددت إليه لكمة في كتفه ، وصحت : قم ، ودافع عن نفسك ! يجب أن يخرج أحدنا فقط من هذا المنزل حيًا ، إما أنا أو أنت !

وكانت كيت تصيح بلا توقف ، وهى تقف في أحد أركان الغرفة ، ثم نالنى فرانك بضربة ، وبينما نحن منهمكان فى العراك سمعت صوت سوزان ، فتراجعت للخلف ، وذهبت إليها وأنا جريح واهن ، واحتضنتها في صدرى بقوة ، وحينما رأت أمها قالت : ماما !

فتقدمت كيت خطوة ، فصحت فيهما : اخرجا كلاكما من بيتى ! وكان الدم ينزف من رأسى ووجهى .

وتقدمت كيت ، وقالت : أرسلان . . .

وقبل أن أسمح لها بأن تكمل جملتها ، وجهت إليها ضربة قوية من يدى، فتراجعت للخلف ، وسقطت على الأرض بعد اصطدامها بشدة بالحائط ، وتقدم فرانك ثانية ، فأخذت سوزان إلى ركن فى الحجرة :

– ليه ضربت كيت ؟

– كان لازم أقتلكما ، إنت خدعتنى طول المدة دى ؟

– أيوه ! أنا على علاقة بها ، لكنك كنت دايماً بيننا .

فقلت في غضب : طب ليه دخلتونى فى اللعبة دى ؟ كنت تقدر تتجوز الوقحة دى قبلى .

وكانت سوزان تبكي وترتعد فى ركن الحجرة من رؤيتها لذلك الشجار :

– كيت طلبت منك الطلاق .

– أتظن أننى أحمق لدرجة تخلينى أعيش معاها بعد اللى حصل ؟ أقسم بالله لو لم تكن سوزان موجودة بينا لكنت اشتريت عقابها بروحى، وقتلتكما ، وأفنيتكما من الوجود .

وساعد فرانك كيت كي تنهض من مكانها، ثم غادرا المنزل سوياً ، ولم أر فى عين أى منهما أثراً للخجل أو الندم .

فى حين أننى كنت أتخيل أن كل ما حدث مجرد رؤيا أو منام ، ولو لم أر شكلي وجروحى فى المرآة لكنت قد تشككت فى صحة ما حدث .

الفصل التاسع عشر

كان يبدو أن كيت كانت أكثر عجلة منى ، فبعد هذا الحادث الأليم بأسبوع واحد وصلتنى ورقة من المحكمة كانت عبارة عن دعوى من قبل كيت تطلب فيها الطلاق .

واحتضنت سوزان ، وقبلت شعرها ، وقلت لها وأنا أبتسم ابتسامة مرة :

-أمك حمقاء لا حياء لها ! ولكن اطمئني مش هاتخلى عنك تحت أى ظرف، حتى وإن اضطررت إلى إخراجك سراً من هذا البلد .

وحضرت فى المحكمة ، وابتسمت كيت عند رؤيتها لسوزان ، لكنها كانت بلا مشاعر ، ومضت سوزان إليها وهى تجرى ، ورأيت كيت تأخذها فى حضنها ، وأدرت ظهرى لهما ، حتى لا أصبح ألعوبة لمشاعرى. وقالت كيت :

- مازعلتيش علشان أمك ؟

- ليه يا أمى ! ليه ما بتجيش البيت ؟

- إنت لسه صغيرة ، جايز تفهمى بعد كده .

- بابا بيقول إن إنتِ اللى غلطانة !

- مش بالشكل ده يا حبيبتى ، دلوقتى لازم ترجعى إلى أبيكِ.

وجاءت سوزان إلىّ ، وأخذتها فى حضنى ، ودخلت الحجرة مع كيت ومحاميها .

وبعد أن قامت المحكمة باستجوابنا وتفحص الأوراق أصدرت حكمها ، وكنت مضطراً وفقًا لقوانين هذه الدولة أن أقدم لكيت نصف ثروتى، فصحت معترضاً .

ولم تتفوه كيت بكلمة ، وكان محاميها يتحدث بدلاً منها طول الوقت.

وقلت بصوت عال : ده شيء مضحك . لقد أزهقت روحى لأعوام طوال علشان أقدر أجمع الثروة دى، وتحملت علشانها برودة سيبيريا وحرارة أستراليا .

فقال القاضي : أرجو أن تلزم الهدوء يا سيد وفائي . إنت أجنبى، واضح إنك تجهل قوانين بلادنا . إن زوجتك اللى شاركتك فى حياتك لها حقوق . ومش قانونى إن إحنا نغير الكلام ده علشانك ، واعتراضك لا محل له ! من فضلك راع نظام المحكمة .

وشعرت ببريق النصر فى عينى كيت ، فقد كانت تستغل جهلى، ورغبت فى أن تسقطنى من الحياة ؛ فجلست فى هدوء وفكرت : إننى على أية حال لن أعيش معها ولو للحظة بعد واقعة الخيانة ؛ فأنا أفقد كل شيء ، وسوف أراعي سوزان ، فهي ملكى . واحتضنت سوزان أكثر من أى مرة أخرى ، ووافقت المحكمة على طلاقنا ، وانفصلنا عن بعضنا بمنتهى السهولة .

وأحضرت كيت خاتم الزواج الثمين الذى كنت قد اشتريته لها ووضعته أمامى ، وأعدت إليها أنا أيضًا خاتمى ، وقالت قبل أن أتحدث بشأن سوزان : الطفلة لك ، فسوف أتزوج فرانك .

وعجز لسانى عن الحديث بسبب فتورها وهدوئها . لقد كانت أمًا سيئة . لم أكن أستطيع أن أصدق أن تتنازل بهذه السهولة عن حقها، فسألتها:

– هو مات جواكِ كمان إحساس الأمومة ؟

فقالت ببرود : أنا لما أرفضك ، أقبل بنتك أعمل بيها إيه ؟

وفكرت : معها حق ، إلى هذا الحد وصلت علاقتها معى ، وأسفاه على أحوال هذه الطفلة !

قلت : إذن أنا مش عايزك تشوفيها تانى ، لإنى بافكر أقول لها إنك متِ !

ورفعت كيت كتفيها بما يفيد بعدم مبالاتها ، فتابعت حديثى : وفيه حاجة تانية ، أنا هاعود إلى إيران لأنى مستاء منك ومن كل أهل بلدك ، جميعكم تعيشون فى ترف وخداع ، تضعون الطاقية على رؤوس بعضكم. إنتم حتى ما بتواسوش بعضكم فى المآسى، ودلوقتى لما أفكر كويس باشوف إنك ما كنتيش عايزانى من الأول ، إنتِ كنتِ عايزة فلوسى، وبعد ما تزودى فلوسك تقولى لى مع السلامة، فى ستين داهية، وماكنش غير طبيعى علاقتك مع السافل ده ، فبالرغم من إن شعبنا ما وصلش للفضا لغاية دلوقتى ، ومفيش مقارنة بينهم وبينكم ، إلا أنهم بيملكوا شيئًا متقدروش تمتلكوه رغم كل اللى عندكم من علم واسع ، وهو القلب والعواطف والحب ، حب لا يتسلل إليه أى خلل تحت تأثير المال، مش زيكم، تحطوه فى إطار معين . جايز من الأفضل إنى أسيب لك كل اللى جمعته من ثروة فى البلد دى ؛ فعندنا مثل بيقول : اللى تجيبه الريح تاخذه الريح. وأنا هاحتفظ بس بالمبلغ اللى جيت به هنا ، والباقى هسيبوا ليكى ، وهرجع بلدى ، ومش هرجع للمكان اللى بيحرك الألم بداخلى !

ونفذت كلامى ، وحملت بعض الملابس الخاصة بى وبسوزان فى أول فرصة ، وتركت ذلك المنزل إلى الأبد .

كان كياني كله يرتعد من نار الحقد والانتقام ، لكنني كنت أحاول ألا أبالي بذلك . لم أكن أرغب في التألم أكثر من ذلك . في الحقيقة كان قلبي يحترق من أجل سوزان ، لم أكن أرغب في أن تقع ابنتي من بعدي في يد هؤلاء المتمدينين بلا مدنية ، وكان عشقي لها أسمى وأقوى من إحساس الانتقام ، وتحولت عن رغبتي في هذا الانتقام من أجلها . ولم يعد ثانية لتلك المدينة الدنيئة أية جاذبية لديّ ، بل كانت تخنقني وكأنها قفص .

كنت أرغب في أن أطير وأدعها وراء ظهري ، وهذا ما كان يهدئني ويطمئنني بأن كل شيء سوف ينتهي .

وفي أول فرصة اشتريت تذكرة ، وتوجهت إلى إيران دون أن أقوم حتى بتوديع أصدقائي ، وحينما سلكت طريقي كان الجو في الصباح الباكر ، وكانت سوزان نائمة خلال الرحلة ، واستيقظت من نومها حينما هبطنا في دولة ما خلال الطريق للتزود بالوقود ، وثانية لم يسعني جلدي، فلم يتبق إلا القليل حتى أصل إلى وطني ، وقد هبطنا أرض إيران تقريبًا وقت السحر ، وقلت لسوزان : أهلاً وسهلاً بك في مسقط رأس أبيكِ .

لا شك أنها لم تفهم شيئًا من كلامي ، وكنت أعلم أنه سيكون شاقًا عليها أن تتعلم اللغة . واستقليت سيارة ، وذكرت للسائق عنوان منزل أبي. حقيقة كنت أشعر بالخجل من مواجهة الأسرة والإفصاح لهم عن حقيقة ما حدث ؛ فالحق دومًا كان مع أبي ، فكنت أكثر أولاده تعبًا له. وفي النهاية وصلنا إلى منزل أبي ، وكنت أعلم أنهم سيندهشون عند رؤيتهم لي ، لأنني لم أخبرهم بعودتي . وبقيت مترددًا ، ماذا أفعل ؟ وفجأة فُتح باب الفناء ، ولم أكن قادرًا على الحركة ، وخرج أبي من المنزل ، لكنه لم يرني خلفه .

وحينما عاد ناحيتي وشاهدني ، تملكته الحيرة وثبت مكانه ، وابتلعت ريقي و أمسكت بيد سوزان ، وتقدم أبي عدة خطوات بصعوبة، وكأنه لم يصدق أن أكون أنا :

– أرسـ ...... أرسلان !

فقلت في صوت مخنوق : أنا يا أبي !

وكان ضياء الشمس الأصفر يقع على وجهه ، وكنت أرى كم أصابت الشيخوخة أبي ! ومد يده إلى ساعدى وسألني للمرة الثانية وهو غير مصدق : أنت أرسلان ؟ ليه ما أخبرتناش عن مجيك ؟

وكنت أتمالك نفسي ولكن بصعوبة ، وكأنني صرت طفلاً مرة أخرى، وأخذت أبي إلى حضني واحتضنته بشدة ، وشعرت وكأنني قد وضعت رأسي على مأوى آمن ، مأوى لم يكن فيه أي شيء قط ، لا شيء من الخيانة أو الخداع أو التزوير ، لا شيء سوى رائحة الحب الجميلة :

– هواء الصباح بارد ، تعال ، أمك هتندهش لما تشوفك .

ثم انتبه إلى الطفلة ، وسأل : دى بنتك ؟

فحركت رأسي وقلت : سوزان !

جلس أبي أمامها على قدميه ، وقبَّل رأسها وجبهتها، ورأيته بعد ذلك يحتضنها بشدة . أي ابن كنت أنا ؟! فيرحيلي سلبتهما حتى إحساس الجد والجدة ، وكانا يعلمان فقط من خلال الهاتف أن لدى ابنة!! ووقف أبي وهو يحتضنها ، وفتح باب المنزل بالمفتاح ، ودعاني للدخول ، ثم نظر وراءه ، وسأل : وزوجتك ؟!

ولم أكن أرغب في أن أخبره بما حدث دون مقدمات ، فقلت : هي... هي مقدرتش تيجي معانا !

فقال أبى وهو يضحك معاتبًا : إنت سيبتهالوحدها وجيت مع الطفلة دى ؟ بقى بعد السنين دى رجعت إيران كالجيش المنهزم . إنت زى ما إنت ! أنا اتعودت على سلوكك .

وضحكت ضحكة مريرة ، ودخلت المنزل ، وصاح أبى بصوت عال وهو وسط الفناء :

– زينت ... زينت هانم ، جالك ضيف !

– واه ، مين اللى جه الصبح كده ؟ ربنا ياخدنى ، اصبر لغاية ما لِم هدومى يا سيدى .

وجاءت زينت خلف النافذة ، واندهشت عند رؤيتى .

–السلام عليك يا أمى !

– أرسلان ؟!

وأظهر والدى سوزان لها وقال : امسكى نفسك كويس، إن لضيفنا طفلة صغيرة كمان !

ونظرت أمى إلى سوزان ، وصاحت قائلة : إلهى ، أنا فداها ، ثم خرجت مسرعة ، وأخذتها من أبى :

– شوفت ؟ شوفت يا أيوب أفندى ؟ أنا قلت لك إنى هشوفها . إلهى، أنا فداها ، شعرها كالذهب، عيناها مثل أمها . أمها ! فين أمها ؟ فين زوجتك يا حبيبى ؟

فقال أبى بدلاً منى : البيه اشتاق لأمه ، فشال بنته تحت باطه وجه لوحده.

فقالت أمى وهى تقبلنى : روح أمك ، ليه سيبتها لوحدها ؟ ليه جيبت الطفلة بدون أمها ؟

وهكذا حاصرتني سلسلة من الأسئلة ، وتمنيت أن تنتهى ! وأخذت سوزان من أمي ، وقلت : الطفلة جعانة يا أمى ، شايك جاهز ؟ عايزها كمان تذوق أكلنا !

قالت أمي وهى تتذكر الفطار : نعم .. نعم يا بنى الفطور جاهز ، سأحضره لك !

كان أبى ينظر لى فى دهشة ، وكنت أعتقد أنه قد شك فى كلامى ، لذا قلت: أبى ، يالابينا، لسه الوقت طويل للسؤال والجواب ! إن كيت تشعر بينا بإحساس الغربة . وأنا أحضرت الطفلة علشان تشوفوا حفيدتكم ، وجاء أبى فى أعقابى ، لكننى سمعته يهمهم : إلهى ، إننى أرتضى كل ما يرضيك .

كنت مشغولاً به ، لأنه كان يعرفني جيدا .

وقدمت أمي الفطور إلى سوزان بنفسها ، وكانت تمنحها قبلة على وجنتها كلما قدمت إليها لقمة خبز ، ولا شك أن سوزان كانت مستمتعة بذلك . إنها للأسف لم تكن تعرف طعم محبة الأمومة الحلوة ، لذا لم تهب أمى ، وتمكنت منذ اللحظة الأولى لقدومها أن تمتلك قلب كل من في المنزل ، رغم أنها لم تكن تفهم لغتهم !

كنت أعلم أنني لن أستطيع أن أكذب عليهما فترة طويلة ، ويجب أن أفصح لهما عن الحقيقة ، ولكننى فى الواقع لم أجد في نفسي القدرة على مصارحتهما، وفى تلك الفترة تمكنت فقط من أن أنال قسطاً من الراحة فى منزلى وبجوار أمي وأبى ، فى المكان الذى لا يعوضنى عنه أى مكان آخر فى العالم .

الفصل العشرون

فى الليلة الأولى لإقامتنا فى طهران أنامت أمي سوزان ، ثم جاءت إلى حجرتي ومعها إبريق من الماء ، وكنت جالسًا فى التراس على الكرسى ، أستعيد ذكريات الأعوام السابقة وأنا أعد النجوم و أفكر فى طفولتى ، فى الفترة التى لم يزد عمرى فيها عن الثامنة، فقد كنت أعتقد أننى أستطيع أن أمسك النجوم إذا ما صعدت فوق السطح ، وتصعدت منى آهة وابتسمت ، وتنفست بعمق هواء وطنى ، ولم أنتبه أصلاً لتواجد أمى، والتفت إلى الخلف بعد سماع صوتها ورائى :

- بتضحك على إيه ؟

قلت : لا شيء ! على الوقت اللى كنت فيه طفلاً ، وعلى أحلام الطفولة البسيطة البريئة .

وجلست أمى على حافة السرير، وقالت وجلدها لم يكن يسعها من شدة سعادتها بسبب حضورى :

- أيوة يا بنى ، أنا لسه فاكرة طفولتك ، أفتكر مرة كنت عايز تقطف فيها النجوم ، ولو ما كنتش وصلت بسرعة كنت وقعت .

- وأنا فاكر يا أمى إنك ما حسبتنيش أبداً على أى خطأ عملته .

- دلوقتى إنت أب ، تقدر تضرب بنتك حتى بطرف صباعك ؟ من الأفضل إنك تدخل ! الجو بارد ، هتاخد برد .

وشعرت بالبرد من الاسم وتملكت القشعريرة جسدى، فعدت إلى حجرتى، وأغلقت باب التراس ، فقالت الأم : أحضرت لك الماء .

- إنت لسه فاكرة إنى باشرب الماء فى نص الليل ؟

- هى الأم تنسى اللى اتعود عليه ابنها ؟ حقًا كيف حال كيت ؟

وتملكت جسدى كله موجة من الغضب عند سماع اسم كيت ، وصككت أسنانى حتى لا أتفوه بكلمة .

- أى فتاة جميلة لديك ! إنها جميلة زى أمها بالضبط . البنات دومًا يشبهنَ أمهاتهن .

واتجهتُ ناحية طبق الماء ، وملأتُ كوبًا ، وارتشفت قليلاً منه .

- بالتأكيد هترجع بسرعة، حسنًا إحنا قانعين بكده ، كفاية إنك فاكرتا لحد دلوقتى . إنت عارف ، أحيانًا كنت أفكر بأنك سعيد جدًا لدرجة خليتك تنسانا .

فهمست فى سخرية : سعيد !

سألتنى الأم : قلت حاجة ؟

ووضعت كوب الماء فوق المنضدة ، وجلست بجوار أمى ، ونظرت إلى وجهها :

- أمى ، أنا لازم أقول لك الحقيقة .

وكانت أمى تصغى باهتمام .

- أنا ... أنا مش هرجع إنجلترا تانى .

ولم تفهم شيئًا من حديثى وظلت تنظر إلىّ فى دهشة .

- أنا ... يعنى إنتِ مش مبسوطة لإنى جيت علشان أكون بجانبكم إلى الأبد .

قالت أمي وكأنها تذكرت شيئًا : ولكن ماذا عن زوجتك ؟

ووضعت يدى على وجهى ، وقلت بهدوء :

-إنت ما سألتيش عن حقيقة حياتى يا أمى !

– لكنك كنت بتقول دايمًا إنها سعيدة .

– وكنت باقول لنفسي يا أمى ، ولكننى بالضبط كنت زى اللى وقع فى قعر جهنم ويقوم الله بتعذيبى .

– زوجتك ...

– لقد انفصلت عنها .

ورفعت أمي يدى عن وجهى ، ورأيت الدموع تحتبس فى عينيها .

– انفصلت عنها ! ليه ؟ إنت كنت بتحبها.

– وحركت رأسي يمينًا ويسارًا، وقلت بلهجة حادة : ما فهمتش ليه أبدًا ، أنا مش عارف أنا حبيتها من قلبى فى الأصل أم لا ؟ أمى ، أنا عملت كل اللى كان مفروض أعمله، إحنا ما حبناش بعض ، وأنا ماحبتش الناس دى .

قالت أمي وهى تبكي : بتقول كده دلوقتى ؟ دلوقتى وإنت لك طفلة منها ؟ إنت ما فكرتش أبداً إن بنتك تحتاج إلى أمها ؟ ما فكرتش إن مفيش أى حد يقدر يحل محل أمها فى قلبها؟ حتى أنا ؟

ومسكت بكتفى أمى ، فإن كان لدى الطاقة على تكديرها ، إلا أنه لم تكن لدىّ الطاقة على عذابها وبكائها .

– أمى ... أمى ، قبل أن تدينينى امنحينى المجال للكلام .

- عندك إيه تقوله ؟ إنت عندك أصلاً كلام تقوله ؟ إنت عمرك ما خدت حياتك جد أبداً، أنا تحملت آلام الأم علشانك ، لكني ما لقتش نتيجة لتعبي أبداً زي كل الأمهات .

رأيت أنني لا أستطيع أن أواسيها ، فجلست في هدوء ، وأصغيت إليها :

- آه يا أرسلان ، لو عرف أبوك بالموضوع ده هيصاب بالسكتة فوراً ، ياريت كان همنا هو بعدنا عنك ، أنا ما عنديش القدرة على إني أشوف انهيار حياتك ، وهو نفس الوضع !

- أماه ، مش من العدل إنك تحكمي عليّ بسبب أخطائي في الماضي ، أقسم بحياتك إنني لم أكن سبباً في إيجاد هذه الظروف .

- إذن ليه ما تتكلمش علشان تهديني شوية ؟ ليه ما فتحتش بقك ؟

وبدأت أشرح لها ، وتحدثت عن بداية معرفتي بكيت ومدى عشقي لها، وعشقها المريض للحفلات واللهو حتى وصلت إلى مرحلة إنجاب سوزان ، وتحدثت عن عدم مبالاة كيت ، وعدم ارتباطها بسوزان ، ورويداً رويداً تغير لون وجه أمي ، لون سامحني ، لون يشفق عليّ . وأذرفت دموعها ثانية ، ولكن لا أعلم ، أمن أجلي ! أم من أجل تعاساتي؟ أم لأنني لعبت طوال هذه المدة دور الرجل السعيد .؟!

- ليه ما قولتش حاجة في أي وقت قبل كده ؟!

- لأنني كنت أعتقد أنكم هتخلوني أنا المقصر ، وبالتأكيد أنا ما خمنتش خطأ .

- إنت ما عرفتناش حاجة عنك ، وكنت باتحمل لوحدك عذاب الأيام العصيبة دي طول الوقت ، هو قلبك إيه ؟

وضمت رأسي إلى حضنها ، والآن يجب أن أترك نفسي ،وقلت وأنا أبكي :

- آه يا أمي ، ليه أنا تعيس إلى هذا الحد ؟ ليه بيخونني أحب الناس في حياتي ؟

- لا تكفر يا ولدي ، فالدنيا لا تسير دومًا وفق مراد البشر ، فحينًا تقع الفرصة في يدي وحينًا آخر في يدك !

- أنا هاموت من شدة الخجل و الانكسار .

- إنت راجل ، وهتفضل راجل ، والشيء اللي يتحمله الراجل هو الألم ، انظر لوالدك ، فكل تجعيدة فوق جبينه شارع طويل لقصة مملوءة بالألم، لو افتكرتها تتعب ، لكنه اتحملها .

- عيبي فين يا أمي ؟

رفعت أمي رأسي ، وقالت وهي تجفف دموعي :

- مش في الصداقة ، بل في ثقتك العمياء .

- لكنها كانت زوجتي .

- إنت اتجوزتها لحبك لها ، وأنا متأكدة إنك ما فكرتش في هذه اللحظة في ضرورة إنك تتعرف عليها أكثر ، وكمان عاداتك تختلف عن عاداتها، ودلوقتي لما أبص عليك،بشوف آثار الألم واضحة على وشك .

- أعتقد إني بتجرع ألم الموت .

- فكر في بنتك ، فهي معاك ، واحنا ، والله سبحانه وتعالى !

الله ! الله ! أي كلام عذب هذا ! أي حديث مهدئٍ هذا ! كم كنت

بعيداً عنه ! كان الحق مع أمي ، إن الله لا يترك مخلوقه وحيداً ، والله لا يدعني وحدي .

– اطلب من الله يا ولدي ، اطلب منه أن يلهمك الصبر ، إنت لسه شاب، في ريعان الشباب ! تقدر تعمّر تاني هذا البناء الخرب، ولو ما كنتش عايز تقدر تبنيه تاني من جديد ، بالشكل اللي إنت عايزه .

في تلك الليلة ، شعرت بالراحة بعد البكاء الذي بكيته ، لكنني لم أستطع أن أخلد إلى النوم، فكان ذلك المنظر أمام عيني دومًا ، وكنت أشعر دومًا أن العذاب دائم لا محال .

وفي أول فرصة علم أبي أيضًا بما حدث ، ولعله علم لأول مرة أن لديّ غيرة ، لأنه ذكر هذا الأمر علانية. وعلى الرغم من أنني كنت أعلم أن أمي تغتم بسببي ، إلا أن ظاهرها كان يوحي بأنها سعيدة ، وكانت تحاول أن تهيئ لي أسباب الراحة .

إنهما كانا يعبدان سوزان ، وأنا كذلك ، لقد أصبحت أملي في الحياة ، وكنت أقضي الساعات الطويلة معها ، كنت أذهب إلى أبي طوال النهار وحتى الغروب ثم أعود معه إلى المنزل في المغرب وأقضي الساعات الباقية مع سوزان ، وكنت أحاول أن أعلمها اللغة الفارسية ، وكانت طفلة ذكية ذات استعداد ، تمكنت من استيعاب الأشياء بصورة سريعة .

ولا شك أنها كانت تقضي معظم وقتها بصورة أفضل مع أمي ، فكانت أمي تحملها إلى الحمام وتمشط شعرها ، وتذهب معها إلى الحدائق . فضلاً عن ذلك ، كانت تنام طوال الليل إلى جوارها ، وكان والدي يحبها أيضا ، ولم أر والدي شغوفًا قط بطفل على هذا النحو ، وكان يغني لها الأشعار ، ويلعب معها .

وقد لاقت سوزان محبة خاصة أيضا لدى المعارف والأقارب ، فكل من يرها مرة واحدة يتعلق قلبه بها ، وكان والدى وأمى يتعلقان بها إلى حد أنهما حينما سمعاني أتحدث عن رغبتى فى إعداد منزل خاص بى عارضاني ، وقالت أمي : هو عايز يربي حفيدته بنفسه ، لقد اعتاد الأب أن يراها بمجرد دخوله المنزل ، ودوما كان يأتى إلى المنزل وجيبه مملوء بالحلوى لها .

أثناء ذلك - وبينما كنت أحاول التملص من الحديث عن حقيقة حياتى - كان أبي يتحدث عن حقيقة ما حدث ولا شك أنني قد طلبت من أمى ألا تقص عليه حكاية خيانة كيت كاملة، وإلا أصبحت يشار إلىّ بالبنان من قبل القريب والبعيد .

لا أعلم ، لعل أمى كانت قد خجلت هى أيضا من أن تقص عليه الحقيقة ، ولكن لأى سبب كان ظل هذا السر بينى وبين أمى فقط .

أريد شرابًا مراً ، فهو قوة الرجل الشجاع
حتى أستريح لحظة واحدة من الدنيا والشر والفتن
بساط الدهر الدون لا يمنح شهد الراحة
أيها القلب، تذوق طعم الحرص والطمع من المرارة والفتن
وأحضر الخمر فلا يمكن أن نأمن مكر السماء
بعزف كوكب الزهرة أو المريخ المسلح(*)

(*) من أشعار حافظ الشيرازى المعروفة بلسان الغيب .

الفصل الحادي والعشرون

جميع ما تبقى لديّ من حب وعاطفة كنت قد وجهته إلى سوزان. أحيانًا كنت أفكر : علام سيكون الحال إن لم تكن موجودة ؟ لم يمض حتى الآن على عودتي من إنجلترا سوى ثلاثة أشهر ، وقد ظهر أصدقائي القدامى، وقد جاء كل منهم لزيارتي ومعهم باقات من الورود . هؤلاء هم أنفسهم الذين كنت أذهب إليهم في يوم من الأيام لطلب العون فيتهربون مني، الآن يتعاملون معي بلون آخر.

مساكين ، إنهم كانوا يتخيلون أن السفر إلى أوروبا يجعل الإنسان ذا مكانة مرموقة ، ولا شك أنني كنت أستقبلهم ، لكنني كنت أضحك من قلبي عليهم جميعًا ، كانوا يقولون :

– ياولد ، احترم السيد أرسلان ، بقى دلوقتي صاحب مكانة .

وكان يقول آخر :

– لا ، هوده أقل من المهندسين ؟ ده بيجي بلبس إيه ، وشياكة إيه ، وبيتكلم بطريقة إيه ، وعنده معلومات كتيرة .

ويقول آخر : دلوقتي مفيش حرج إني أتكلم عن مراتك ، دي حاجة ممكن تحصل لأي واحد في أي مكان ، فعدد كبير من الفتيات على استعداد لأن يتزوجن من أي راجل يسافر للخارج علشان يتفاخرن أمام معارفهنّ وأقاربهنّ .

وكان يقول آخر :

يا أخى ، إيه اللى هيعوزه من الست ؟ واحدة كفاية! لازم يقضى عمره فى راحة ، شوفنا إحنا منقدرش نسافر لوحدنا ، خشية من زوجاتنا ، وكويس إن لك ابنة واحدة ، أما أنا سئ الحظ لازم أجرى علشان أملأ بطون العيلين الشقاى دول.

كم كان يستاء قلبى عند ما كنت أسمع هذا الكلام ، ففى النهاية أنا إنسان، كان لى صديق، وكان لى زوجة مثل كل هؤلاء ،تنظم حياتى ، تتشاجر معى ، تتصالح ، تظلم ، تواسينى ، تتحدث معى ، أو حتى تصدر أوامرها لى .

وانقضت الآن سنة على عودتى إلى إيران ، وأعد والدى احتفالاً بمناسبة عيد ميلاد سوزان الثالث ، ودعا جميع الأهل والمعارف ، وكانت سوزان قمر المجلس ، وكانت تشع نوراً بسبب اهتمام أبى وأمى بها ، وكانت على عكس أمها طفلة طيبة ، تتعامل مع الجميع بشكل لائق دون أن تشعر معها بالغربة ، وكانت تأتى بجوارى وتبدى محبتها لى ، وكان يكفيها فقط أن تنظر لى لعدة دقائق . فى الوقت الذى كانت تقترب فيه منى كانت تلف ذراعيها الصغيرين حول رقبتى وتلصق وجهها فى وجهى.

وكان هذا دليلاً على قمة حبها لى . وتدريجيًا أخذت تتحدث بالفارسية، وتركت لغة أمها حتى نسيتها، ولا شك أن الفضل فى هذا يرجع لأمى ، فكانت تتحدث مع سوزان دومًا ، وكنت أعتقد أن وجودها كان سبباً فى أن ينسى أبى وأمى كهولتيهما ووحدتيهما ، حتى إننى أذكر أن أمى كانت تقول دومًا إنها تحلم بآمال كبيرة لها ، وكنت أنا كذلك حينما أنظر إلى سوزان ، كنت أتخيل مستقبلها ، أتخيلها فتاة ناضجة تقف أمامى فى زى العرس الأبيض فى أبهى زينتها ، كانت ترتسم ابتسامة على شفتى حينما أتخيل تلك الأمانى . وقد تغاضيت عن

أحـلامي ، وكنت أشـعـر أنه يـجب أن أنسى نفـسى ، وأفكر فـقـط فى سوزان ومستقبلها ، وأقسم بالله أن هذا الإحساس فقط هو الذى كان يمنح قلبى القوة ، وكان يساعدنى كى أنسى الماضى للحظات . لقد كنت أعشقها ، ولم أكن على استعداد أن يشاركنى فيها أى شخص . آه ، أى إحساس جميل ، ذلك الإحساس بغيرة العشق ، كان هذا هو الشىء الوحيد الذى يسعدنى . والشىء الذى كان يكدرنى أكثر من أى شىء آخر هو وجه سوزان ، فتشابهها الزائد عن الحد بكيت كان يضطرنى إلى التفكير فيها أحياناً وأحيي تلك الذكريات المريرة .

الحقيقة هى أننى كنت أتعجب من نفسى حينما أتذكر تلك الذكريات المريرة ، فكيف كنت أتحملها؟ فبالنسبة للرجل الإيرانى فإن تنحي هذه الأحداث يتلازم مع العذاب ، وللحق فقد ألقيت بهذا العذاب المرير خلف ظهرى .

أحياناً أقف أمام المرآة ، وأنظر إلى مرور العمر ، وأصيح : أهذا أنا أم المرآة ؟! ثم أمسح بيدى غير مصدق فوق شعرى الأبيض، وحينئذ أدرك أنه يجب أن أتقبل فكرة أن قافلة الشيخوخة فى الطريق ، وفى ذلك الوقت أصيح : قدر الله ألا أكون مع الأحياء .

آه ... أريد ألا أتذكر خواطرى ثانية ، لأننى أعلم أنها أكثر مرارة من أيام الغربة العصيبة .

لا أعلم ، ربما أفقد الشجاعة ، ربما أرغب فى الهروب منها ، لكن لا أستطيع . إنها تمر أمام عينى كلقطات متتالية لأحد الأفلام ، وتتداعى أمامى رغماً عنى .

على أية حال ، فأنا الذى كنت قد اخترت العزلة ، ولم أكن أسمح لشخص أن يخترقها ، كنت أبتعد عن سوزان كثيراً ، لكننى أدركت

تدريجياً أنها إنسان ، ولا يجب أن تضحى من أجل نفسيتى المحبطة ، وأن تقضى أحلى أيامها فى وحدة معى أو مع أفراد أسرتى . وحينما وصلت إلى هذه النتيجة عزمت على التشاور مع أمى ، وكان ذلك اليوم هو اليوم الأول الذى أنظر فيه إلى وجهها بدقة بعد عودتى إلى الوطن ، كم كانت متعبة ؛ فمنذ أن جئت وهى تتحمل عبء مشاكلى على كاهلها ، وكنت مشغولاً منذ فترة بقراءة أشعار حافظ ، وبينما كنت أقرأ بعض الأشعار له ، جلست بجانبى ، ودون أن أنظر إلى وجهها قلت لها : حصل حاجة يا أمى ؟ فقالت فى صوت يرتعد : لا يا بنى .

فسألتها : سوزان فين ؟

- نايمة . .

فنظرت إلى وجهها ، وقلت : منذ عدت إلى المنزل وكل مشاكل حياتى فوق أكتافك . أنا مش عارف إزاى أعوضك ؟

فمسكت أمى بيدى ، وقالت : أصلاً مفيش أى مشكلة بالنسبة لى ، فأنا باحب طفلتك لدرجة العشق ؛ فكم من السنين مرت ولم يصدر صوت طفل فى الدار دى ، إنت جلبت السعادة تانى فى البيت ، وأبوك كمان بيحبها من أعماق قلبه .

- أنا سعيد لأنى قدرت فى النهاية أسعدكم ولو لمرة واحدة على الأقل.

- إحنا قلقانين عليك يا ولدى .

- ليه يا أمى ؟

واحتبست الدموع فى عينيها ، وقالت : إنت عايز تعمل إيه يا أرسلان ؟

فسألتها مبتسماً : في أي شيء ؟

– في حياتك ! إمتى هتخرج من عزلتك دى ؟ إنت عايز تضحى بالمستقبل بسبب ماضيك المر ، أم تضحى بالطفلة دى ؟ إنت بالطريقة دى عايز تنتقم من مين ؟

وأغلقت الكتاب ، ووضعته فوق المنضدة ، ونظرت إلى أمى بابتسامة مصطنعة ، وفي النهاية بعد الانتظار قليلاً ، قلت لها : أمى، الماضى انتهى ، أنا مش عايز أفكر فيه تانى أو حتى أفتكره ، إنت غلطانة أنا مش عايز أدفع ضريبة شيء أو انتقم من أى شخص ، ولو كنت عايز كده كنت عملته، فأنا المذنب مش أى شخص آخر.

– إذن ليه ؟ ليه ما تخرجش من الدار ؟ ليه ما بتزورش حد؟ ليه بتهرب من الجميع ؟ إنت حتى ماحضرتش حفل عيد ميلاد بنتك غير ساعة واحدة، وكأنه لا يعنيك في شيء ، إيه اللى هيقولوه الناس عنك؟

– وليه يكون لده أهمية ؟ فالناس بيتكلموا دوماً ، وإنت عارفة كده ، وأنا مقدرش أمنع كلامهم .

– إنت بتتعامل مع الناس دى ، وعليه فإن وجودهم له أهمية لك .

فتراجعت للخلف ، وقلت :

– قلبى مش هيطبطب على حد بعد كده ، تعرفى يا أمى ؟ لقد وقعت في منخفض عمرى ، وأظن أن الصمت والوحدة هما أفضل شيء بالنسبة لى.

– وماذا عن سوزان؟

فهمست : سوزان ... هى قلبى وكل آمالى .

– ولكنك نسيتها إرضاءً لنفسك ، وتناسيت أنها إنسانة تحتاج إلى الحياة ، تحتاج تلعب ، تحتاج تحكى لها الحكايات ، هى دى احتياجات

سنها ، أنا في حيرة من أمرك يا أرسلان ، إنت تركت قلبك ، إنت لسه شاب قادر على تحمل المسئولية والوصول إلى آمالك .

ومرة ثانية كتمت غضبها ، وقالت بصوت يرتعد : إنت ما تعرفش يا بني إني أوقات كتيرة باشتاق للمشي جنبك ؟ قلبي بيتألم لما بشوفك مقهور كده، وأحياناً ألوم نفسي ، كنت أعتقد إني لو ما سمحتلكش بالسفر لأوروبا ماكنش ده حصل ، أنا اللي غلطانة.

وانتابني الألم ، لكنني لم أكن أرغب أن أفضح نفسي ، لذا وقفت ، وتوجهت خلف النافذة ، وكم كان قلبي مضطرباً يرغب في البكاء بحرقة، وفجأة انطلق الكلام من فمي :

– أماه لقد ضاق قلبي بشدة ، أنا مش طفل ، ولكنني دوماً أبحث عن السبب، ومازلت متردداً ، مش عارف أعمل إيه مع الطفلة ؟ هل تصدقيني يا أمي ؟ أتصدقين أن هذا هو أنا ؟ بكل هذا الصبر ؟

– إن الله يهب الصبر بعد أية مصيبة ، دي قدرته وحكمته ، اخرج من عزلتك وخالط الناس ، إنت اتحملت أصعب الظروف ، وده مش حاجة! مش مفروض إنك تختفي عن الجميع بسبب هزيمتك المرة ، ما تضغطش على نفسك بالشكل ده وتسأل : ليه حصل ؟ وعلشان إيه ؟ فكثير من التساؤلات لو بقيت بدون جواب كان من الأفضل ، أنا ربيتك وشعرت بحب البنوة ، ومقدرش أشوفك حزين. أنا عايزاك تتجوز تاني، وأنا على استعداد أربي بنتك بنفسي علشان تتهنى بحياتك.

– آه ، لا يا أمي ، لا ، مقدرش أعيش التجربة تاني ، أما فيما يتعلق بسوزان فأنا أعتقد إن معاكي حق ، يجب أن ألقي بعيداً بما غزلته من خيوط حولي ، فنهاية زواجي مش نهاية العالم ، على الأقل بالنسبة لسوزان .

– وابتسمت أمي وسط بكائها وأجبتها أنا أيضا بابتسامة .

الفصل الثانى والعشرون

كانت آراء الناس حولنا تتفاوت فيما بينهم ، فكانت الشفقة تموج فى نظرات البعض ، والدهشة فى نظرات البعض الآخر ، وأدركت أنه يجب أن أعتاد على نظرات الناس.

كنت أتواجد مع سوزان دومًا فى ارتياح تام ، ونشترك فى حضور الاجتماعات . وفى أحد المرات التى كنا فيها ضيوفًا على منزل عمى وبعد فترة رأيت ابن عمي ، وكان يجلس بجوار زوجته ، ويتعجب عند رؤيته لى ولسوزان التى كانت تشبه كيت إلى أبعد مدى ، ولم يكن هذا الموضوع خفيًا من نظرة زوجته ، وكنت مستاء منه منذ أن رأيته آخر مرة وتعاركنا سويًا بسبب كيت ، لذلك لم أتوجه إليه ، ولكنه لم يستطع أن يتغلب على فضوله، فتقدم نحونا :

– السلام عليك يا بن عمى الحبيب ، لمن العجب إن إحنا نشوفك تانى.

ورددت عليه التحية بفتور ، وأجلست سوزان على ركبتى، فلمس وجنة سوزان برفق ، وقال : الجمال ده عارفه كويس ، هى بنتك ؟

فقلت فى عصبية : ما تبالغش فى الكلام ، إنت ما تعرفهوش !

– كفاية يا أرسلان ! إنت لسه بتتعامل معايا زى اللى ليه ثأر ؟ إحنا أولاد عمومة ، مش كده ؟ صدقنى أنا زعلت أوى لما سمعت اللى حصل ، ولكن خيرها فى غيرها ... ولا تفكر فيها ثانية ، كان مفروض عليك تتجوز من إيرانية .

– إنت جيت علشان تلومنى ؟

فقال وهو يقوم ببعض الحركات مداعبًا سوزان :

–لا أعلم ، لمَ تتحدث معي على هذا النحو ؟ ولكن من غير الإنصاف تماما أن تتحدث هكذا ، بنتك جميلة ويبدو أنها اتربت كويس بدون أمها، ولا ينبغى التغاضى عما تحملته زوجة عمي من مشاق ، ولكن يجب أن أقول لك أنها لا تشبهك قط .

– إنت بتقول الكلام ده على سبيل الصداقة أم ...

– من منطلق الصداقة تمامًا ، أرسلان ، إنت تبقى غلطان لو بتفكر إن أنا وكيت ..

فقلت فى فتور وبلهجة حادة : أنا مش عايز أسمع حاجة تانى عن الموضوع ده.

– إنتم كنتم بتحبوا بعض .

– ده كان كلام بس ، فعلى الأقل ما تحاولش إقناعي بإنك ما تعرفش .

ثم قلت بعد ذلك لأغير مجرى الكلام : إنت راضى عن حياتك ؟

وأجلس سوزان على قدميه ، وقال وهو يداعب شعرها : أيوة ، مراتى ست متعلمة ومثقفة.

فانتهزت الفرصة ، وقلت له لألدغه : حسنًا ، فعلى الأقل جايز ثقافتها تعقلك .

فقرب رأسه منى بسرعة ، وقال بصوت خافت : ما تفكرش تقول موضوع بالتفاهة دى أمام زوجتى ، أتمنى إنك ما تفتكرش إنى بخاف منها ، إنت عارف ؟ دى من أسرة كبيرة أوى .

وقلت وأنا أحاول أن أمنع ضحكاتي: كلما أمكن هاحاول مافكرش ، ولكني هاحاول.

فارتاح باله وتنفس الصعداء ، ثم قال : أشكرك ، أنا يتحرج منها جداً ، حقيقي ، ليه ما تجربش فرصتك تاني ؟ لو عايز فأنا أقدر أعرفك على نساء فضليات ، إحداهن أخت زوجتي .

فنظرت إلى زوجة ابن عمي التي كانت تجلس أمامي ، وقلت على الفور : أشكرك ، أُفضل أن أنظر إلى سعادة الآخرين.

وأعاد ابن عمي سوزان إليّ ، وسأل أخيراً سؤاله الأصلي وهو يقف :

– أرسلان ، أتمنى ألا تتضايق من سؤالي .

– بخصوص إيه ؟

– هي ... هي كيت بتعمل إيه دلوقتي ؟

وأجبته وأنا أحاول أن أمسك زمام نفسي حتى لا يتملكني الغضب:

– مش عارف ، لأنه لا يهمني من الأصل هي بتعمل إيه ، مش فاهم هو ده مهم بالنسبة لك ليه ؟

فقال ابن عمي في ارتباك : على سبيل الفضول فقط ! اسمح لي يا أرسلان ، أنا سيبت مراتي لوحدها ، لو تسمح لي أروح لها .

ومضى ، ولكنني لم أستطع أن أخدع نفسي ، وتداعى سؤاله رغماً عني في ذهني ، لم أكن أعلم ما الذي تفعله كيت ، وقلت في نفسي : لاشك – ومع الأخذ في الاعتبار علاقتها الحمقاء مع فرانك – أنها قد تزوجته الآن.

في ذلك الوقت كان قلبي يحترق على حالي ، كنت أفكر في أنني الضحية الوحيدة لأهوائها ، وأنه لا ملاذ لطفلتي البريئة سواي ، وتكدرت في تلك الليلة حتى إنني اضطررت لمغادرة مجلس الضيافة . كنت أشعر بأنني إنسان قد أخذ علقة ، يؤلمه كل جسده على أثر ضرب مبرح ، حتى إنني لم أستطع الاهتداء إلى الطريق.

وحينما وصلت إلى المنزل ، توجهت مباشرة إلى حجرتي، وتمددت على السرير ، ولا أعلم كم مرة ! ولكني لعنت كيت كثيراً لأنها كانت سببا في انكساري . فكرت في أننا كنا نستطيع أن نكون سعداء ، سعداء للغاية ، لكنها لم ترغب ! لا أعلم لمَ لمْ أقتلها عند رؤيتي لتلك الواقعة ؟ والآن ينبغي عليّ أن أتحمل مضاعفات هذه الحقيقة .

كانت هذه الأفكار جميعها ناتجة عن حالتي النفسية المتوترة، فأنا الذي في مرحلة الشباب، أبدو أكبر من سني ، ودوماً يبدو على وجهي آثار الحزن العميق ، حزن لا أستطيع أن أمحوه .

وحينما عاد أبي وأمي إلى المنزل ، جاءا مباشرة إلى حجرتي، وقال والدي بصوت عال بعد فترة ودون مقدمات : يا بني إنت مابتكسفش ؟ لقد أحرجتني أمام الأسرة ، فعلى الأقل لو كرامتك مش مهمة بالنسبة لك ، فهي مهمة بالنسبة لي ، فأنا أحظى باحترام لدى الأسرة . اختفيت فين مرة واحدة ؟ إنت حتى ما سلمتش على عمك ، واضطررت لقول المعاذير كي أخفف من وطأة ما فعلته ، هو إحنا مش أبوك وأمك ولاّ إحنا متنا؟ إنت بسلوكك ده هيأت المجال لفضول الآخرين ، ليه بتختار دايماً أسوأ الطرق لتريح نفسك ؟!

ولم أتفوه بكلمة وانتظرت وأصغيت ، وبعد أن شاهد والدي صمتي، خرج من حجرتي ، وظلت أمي تنظر إليّ عدة دقائق ثم تركتني.

ويقيت أنا وسوزان ، وكانت تنظر إليّ في براءة ، فرغبت أن أضمها بشدة ، ففتحت يدى ، وأخذتها إلى حضنى ، فقالت بلغة الطفولة العذبة: باحبك يا بابا !

فضممتها إليّ أكثر ، وقلت لها : ما تتخليش عن أبوك ، لقد ظلمتنى أمك كثيراً ، ولكن أنتِ لا ! أنتِ ابنتي ، أنا مش عايز أفقدك بأى ثمن.

وتحدثت معها بلطف لمدة ساعة ، على الرغم من أننى كنت أعلم أنها لم تكن تفهم شيئًا من حديثى ، فى حين أننى لم أنتبه أصلا إلى أنها قد استغرقت فى النوم منذ فترة .

* * *

كان الطقس في أواخر الشتاء ، حينما كنت أعد الترتيبات لسفرى أنا وسوزان . حقًا لقد كان قلبى يحترق من أجلها ، لقد كانت طفلة هادئة صبورة ، لم يكن لها أى مطالب قط . ويوم سفرنا كان الجو جليداً، وجعلتنا أمى نمر من تحت القرآن ، وكانت تحاول أن تثنينى عن قرارى بسبب الطقس غير الملائم لكنها لم تستطع . والحقيقة أننى كنت أرغب في السفر وكانت سوزان مجرد حجة ، وألبستها ملابس ثقيلة ، ثم استقلينا السيارة ، وكانت سوزان تنظر بفضول إلى المناظر من حولها ، وتستفسر عن بعضها ، ولم أكن متأكداً من نفسى إلى الآن ، هل أستطيع مواجهتها أم لا ؟ على كلٍّ ، فكنت مضطرًا لأن أبى وأمى لم يقبلا الذهاب معنا .

وذهبنا سويًا إلى الشمال ، وكان البحر فى ذلك الوقت شديد الأمواج ، ولكننى كنت مستمتعًا به، كنت أنظر إلى زمجرته لساعات طوال من خلف نافذة الفندق ،كانت الأمواج تتحرك فى هدوء على شاطئ البحر، وسرعان ما تقسم الرمال ، ودون أن أدرى تذكرت كيت ، تذكرت

كم كانت تحب السباحة فى البحر، تذكرت ذات مرة وهى تسبح أن أصيبت قدماها، واضطررت أن أذهب لمساعدتها ، وكنت فى ذلك الوقت أهيم عشقًا بها ، وأستطيع أن أقول بكل جرأة إننى كنت أفكر فيها حتى بعد انفصالنا بفترة ، لقد قضيت شبابى معها ، وللأسف كان حبى خالصًا لها . كنت خاضعًا لها دون نقاش ، إلى حد أننى كنت أشعر بأنه لم يعد بداخلى حب كى أوزعه على الآخرين . وفى سفرنا القصير إلى الشمال وقع نظرى أكثر من مرة على أزواج فى سن الشباب ، وكنت أنظر إليهم بعين الحسرة . وفى مطعم الفندق كنت أجلس لمشاهدة الأسر وأتذكر الماضى ، وفى نفس الوقت كنت أضع الطعام لقمة لقمة فى فم سوزان ، وكما كان الآخرون وسعادتهم موضع اهتمامى ، كنا كذلك موضع اهتمام الآخرين .

ولما شعرت بالضيق ، عزمت على العودة إلى طهران بعد فترة قصيرة من إقامتنا ، كنت أشعر وكأننى بعدت عن منزلى لأعوام طوال ، وهذا ما كانت تشعر به أمى أيضًا ، فبمجرد أن رأتنا لم تستطع الوقوف على قدميها من فرط شوقها إلينا .

لا شك أنها كانت قد اعتادت على سوزان ، وكنت أفكر أحيانًا لو لم يكن لدىّ هذه الطفلة ماذا كانت تفعل ؟

والأمر الذى اقترحته علىّ لم يكن وفق مرادى ، فهى مثل كل الأمهات ، كانت تتمنى لى الخير والسعادة . لم تكن تستطيع رؤية فنائى التدريجى ، لم تكن تستطيع رؤيتى منزويًا صامتًا ، لذا بدأت تهمس بالزواج للمرة الثالثة ، وكان حديثها فى البداية عن هذا الموضوع بالإشارة فقط ، ثم صار بصورة علنية ، على الرغم من أننى لم أكن أعير رغبتها هذه أدنى اهتمام ؛ فلم أكن أرغب فى أن ألقى بنفسى إلى التهلكة مرة أخرى ، لذا لم أكن أهتم حتى بالصور التى كانت تحضرها لى .

ولم يكن لى رأى ثابت في شريكة حياتى ، لكننى لم أستطع أن أكسر قلب أمى ، لذا فضلت الصمت ، ولم أفكر فى المستقبل ، فهى كانت تفكر فى مستقبل سعيد ، وأنا لا أفكر فى أى مستقبل كانت أمى تريد أن أعهد بقلبى إلى امرأة جديدة ، وبذلت أقصى ما فى وسعها للوصول إلى هذا الهدف .

الفصل الثالث والعشرون

لو لم يكن قلب أمي مثل الإسفنج يعتصر مع أقل ألم ، ولو لم يكن اضطراب أمي الذى كان يشتد فى كل آن من أجل ابنها ، لما وقع أى حدث ؛ ففى النهاية استقرت أمي على رأى ، وهيأت المجال لتعارفى على إحدى جاراتها . فتاة – على حد قولها – يفيض الأدب من كل إصبع فيها ، ووجهها لا يضاهيه إشراقة الشمس ولا ضياء القمر . فتاة متدينة طاهرة، اخترتها لتكون زوجتى الثالثة. وفى أول مرة رأيتها فيها كان عصر أحد أيام الربيع ، وكنت مسترخيًا على الكرسى فى حديقة المنزل الصغيرة مستمتعًا بنسمات الربيع فى حال بين النوم واليقظة ، وكنت أنظر إلى سوزان وهى تلعب وتجرى وتنط . كانت الشمس تختفى ، والهواء يظلم حتى يدخل فى أحضان الليل . ورن الجرس ولم أرغب فى النهوض ، كنت أعلم أن أمي فى مكان ما بالمنزل وسوف تقوم بفتح الباب . واستمر جرس الباب فى الرنين ، فوقفت فى هدوء ، وتوجهت إلى الباب ، وفتحته ، وارتبكتُ حين رأيت أمام الباب فتاة لم أكن أعرفها ، فى الوقت نفسه لم تكن لدىَّ رغبة منذ عودتى فى أن يشاهدنى أحد ؛ فطأطأت برأسى ، وسألتها : أى أوامر؟

فمدت الفتاة صينية ناحيتى وبها طبق من الطعام ، وقالت : تفضل.

فأخذت الطبق من الصينية ويداى ترتعدان ، وقلت : أنا ممنون جدًا .

قالت : بلِّغ سلامى إلى ست الحاجة.

قلت : أكثر الله من لطفك.

وبهذه البساطة ترك كل منا الآخر ، ودخلت المنزل بطبق الطعام، وتوجهت إلى المطبخ .

كانت أمي وكأنها تتحدث في التليفون ، وأنهت مكالمتها عند رؤيتي وطبق الطعام في يدي ، وجاءت أمامي :

– فيه إيه ياروح أمك ؟

– مين اللي كنتِ بتتكلمي معاها ؟

– ليه ؟

– لإن المسكينة دي فضلت واقفة على الباب كتير ؟

فسألت الأم : أي مسكينة ؟

– مش عارف ، أنا ما عرفتهاش ، إدتني الطبق ده ، وطلبت مني أوصلك السلام .

وكأن أمي قد تذكرت شيئًا عند رؤيتها الطعام ، وقالت : افتكرت النهاردة أسرة السيد روند طبخت علشان ابنهم راح الجندية .

سألتها في حيرة : مين ؟ مجيد ؟ بالتأكيد إنتِ بتهذري !

قالت أمي وهي مبتسمة ، بينما كانت تفرغ الطعام في طبق آخر : ليه مش مصدق ؟ إنت من كتر ما بعدت مش واخد بالك من مرور الزمان! مجيد دلوقتي بقى راجل ما شاء الله عليه ، وبينما كنت متعجبًا من مرور الزمان السريع، قمت بحساب سنوات الغربة وأنا غير مصدق ، وقلت لأمي في حسرة : زي ما يكون كان إمبارح ، كان مجيد يلعب في الحارة بالكرة البلاستيك ، لابد إنه إتجوز بعدها بسنتين أو ثلاثة ! أد إيه الأيام مرت بسرعة ، ولكن مين البنت دي يا أمي ؟

فسألت الأم : أى بنت ؟

– اللى جابت طبق الطعام .

– تقصد ثريا ؟

– ثريا ؟ هى دى ثريا ؟ الابنة الصغرى للسيد روند ؟!

– فيه إيه ؟ اتعجبت ليه ؟

– دى كانت طفلة ! واللى شوفتها دلوقتى فتاة ناضجة كاملة .

– لك الأمر ، وعلشان هى فتاة كاملة ، ممكن تتخطب ؟

ثم أضافت بمكر : ما رأيك ؟ ألا تقول نعم ؟

ووقفت ، وقلت لها بلهجة حادة : أرجوكِ يا أمى ما تبدأيش تانى.

ثم توجهت إلى الباب ، وخرجت أمى من المطبخ ، وقالت :

إيه العيب اللى فيها ؟ وإنت محتاجها جداً .

فعدت إليها وقلت فى عصبية : لِمَ لا تكفى يا أمى ؟ ليه بتعتقدى أنى أستحقها من بين كل اللى اتقدموا ليها ؟ إزاى تقدرى تضحى بالطفلة ؟

– أى طفلة يا روح أمك ؟ دى ما شاء الله عندها خمسة وعشرين عاماً ، إيه اللى بيك ؟

– من وجهة نظرك مفيش حاجة ! لكن الحقيقة إنى مقدرش أنظم حياة .

فقالت أمى وهى غاضبة : ما تتكلمش كده يا أرسلان ، مش مفروض تلوم نفسك .

فقلت فى هدوء : ليه ما عملش كده يا أمى ؟ فقد ضحيت ببعض الأشخاص ، أولهم أنا . الحقيقة إنى راجل غير جدير ، لا أستطيع تحمل الحياة المشتركة . أرجوك ، دعينى أحترق لألمى ، واللعنة علىّ لو سألتك عن شىء مرة ثانية .

وبعد قولى لهذه الجملة تركت أمى مسرعًا وتوجهت إلى حجرتى ، وكان قلبى يخفق بشدة حتى إننى كنت أخشى أن ينخلع عن صدرى ، كنت أريد أن أعارك نفسى ، لم أرغب فى أن أفكر فى حديث أمى ثانية .

قلت فى نفسى : أنا فين وهى فين ؟ ينبغى علىّ أن أجلس وأفكر فى تعاساتى ، فى حين أنها لها آمال كبيرة ويجب أن تصل إليها ؛ فهى لاتزال شابة ، إذن لم يجب أن تكون شريكة لرجل تعيس مثلى ؟ فأنا فى هذه السن لا أملك أية طاقة لإنجاز أى شىء ، كيف يتسنى لى بهذه النفسية أن أهمس إليها بهمسات العشق والمحبة ؟ لا أريد أن أدخلها عالمى الصامت لكى أهرب من الوحدة ، لا هى ولا غيرها ! لكن أمى لا تكف، فكانت تريد أن تقنعنى بها ، ولكننى لم أرضخ لها ، وكلما تحدثت أكثر وأصرت ، كنت أبتعد عنها أكثر :

– وبعدين يا أمى ، أروح بطفلة نصف إيرانية وأقول إيه ؟

– إنها لى ، أنا هاقوم برعايتها بنفسى .

– يعنى إيه يا أمى ؟ دى بنتى ، لازم تكون أمام عينى ، وهى بتحبنى جداً.

– حسنًا جداً ، فلتقل لها !

فقلت مبتسمًا : إزاى يا أمى ؟ إزاى أقول لها ؟ فأنا مش طفل إمبارح وأول إمبارح ، أنا دلوقتى راجل اتجوزت مرتين ، والكل يعرف قصتى .

- مفيش داع توضح لها كل شيء .

- يعني تقصدى أكذب ؟

- لا ، لكن ما تقولش حاجة ، مش عارفة ، فلتفصح عن القليل .

ومسكت يدها بلطف ، وقلت وعيناى فى عينيها : أمى ، أمى الحبيبة، أنا عارف إنك على استعداد لعمل أى شيء علشانى ، على استعداد لأن تضحى ، لأن تبذلى ما فى وسعك ، ولكنى مقدرش أحقق لك رغبتك ، أبداً ، وأنا شاكر لكِ جداً إنك دائمة التفكير فىّ !

وانهمرت الدموع من عيني زينت ، فأعطيتها منديلاً ، وأخذت نفساً عميقاً ، وتراجعت إلى الخلف ، فقالت :

- أى فرق بالنسبة لك يا أرسلان ؟ لقد مضت تلك المرأة وراء حياتها .

- نعم يا أمى ، لقد مضت وراء حياتها ، وأنا أيضاً أعيش حياتى .

- كل دقيقة تعيشها فى وحدة هى جرم .

- لاعيب فى هذا يا أمى ، وإن كنت المذنب فى هذا العالم كله ، كيت فى نظرى ميتة ، وده اللى هاقوله لا بنتى .

- إذن أنت بتفكر فى موتها ؟ وهتقف منتظراً ما ستسفر عنه الأحداث ؟

- أبداً ! لست منتظراً أى حدث ، اللى ما كنش مفروض يحصل حصل . دلوقتى أنا عايز أكون لوحدى ، لا أطيق أن أرى شخصاً آخر بجوارى. لعل سوزان وما تسببه لك من آلام هو اللى خلاكى تاخدى القرار ده علشان تتخلصى منها .

– ما تقولش الكلام الفارغ ده يابني ، دي روحي ، فسواء اتجوزت أو لا، هي لي ، أنا عايزة أربيها بنفسي ، ومفيش أي واحدة هتاخد مكاني عندها ، ولكن اعلم إني خدت قراري بأن أهيئ لك حياتك وإنت متقدرش تقف أمامي .

فضحكت أمي وأنا أخرج ، وعادت أمام الباب ناحيتي، ثم نظرت إليّ، فقلت :

– كم أحبك يا أماه .

فقالت في حزن : يجب أن ترحم ضعفي .

– أنا مخلص لك يا أماه ، اطمئني ، سوف أرعاكِ حتى آخر العمر!

وفي غروب أحد الأيام حينما كنت عائداً من العمل إلى المنزل، رأيت بعض النسوة من جاراتنا منهمكات في تنظيف الخضار في فناء المنزل ، فألقيت عليهنّ السلام ، وتوجهت فوراً داخل المنزل ورأسي في الأرض ، وجاء ت أمي خلفي ، وسألتها : فين سوزان يا أمي ؟

– نايمة يا حبيبي !

– ليه ؟ هي ما بتنامش أبداً في الوقت ده من النهار .

فقالت أمي وهي تأخذ مني الجاكت : ثريا نيمتها بعد ما لعبت معاها كتير .

فتعجبت وقلت : قلت إيه يا أمي ؟ ليه سبتيها ؟

فسألت أمي في تعجب : يعني إيه ؟ يعني لما سوزان تحب تلعب معاها، أمنعها ؟

فسألتها في غضب : إيه اللى بيعملوه الستات دول أصلاً في البيت؟

– واه ، جئن كى يساعدن فى تنظيف الخضار الخاص بطعام النذر، وماكنتش أعرف إنى لازم آخذ الإذن منك .

وحاولت أن أسيطر على نفسى ، ثم قلت: سامحينى يا أمى ، ده ما كنش قصدى ، قصدى ..

– قصدك أن يكون كل شىء مرتبط بك ، الطفلة دى محتاجة للاهتمام ، وإنت بتخرج من الصبح لحد المسا . وأنا ست عجوزة ، وجاهلة ، مقدرش أقرأ لها الحكايات ، معرفش إيه اللى مفروض أعمله معاها، هى محتاجة أم شابة ، واحدة تفهمها . وثريا شغلها مع الأطفال، دى معاها ليسانس فى علم النفس ، وبتشتغل فى مدرسة للبنات .

– توعدينى !

– أى وعد ؟

– إنك ما تدخليهاش فى الموضوع ده تانى .

– إنت لازم بتشك فى نفسك ؟ دى جت علشان تساعد فى تنظيف الخضار.

فجلست على الكرسى فى عصبية ، ووضعت رأسى بين يدى ، وجلست أمى أمامى ، وقالت فى هدوء أكثر من ذى قبل : حبيبى ، تعال وألق نظرة عليها، جايز تعجبك، دى بنت كويسة ، وممكن تكون زوجة وأم فاضلة ، وسوزان بتحبها كمان ، وقد استنتجت على لسان أمها أن شعورها فيما يبدو بالنسبة لك مش وحش ، فلتجلسا سويًا ولتتحدثا ، جايز ...

وتضايقت بشدة من حديثها ، وأخذت فى السير يمينًا وشمالاً وأنا أجز على أسنانى ، وأزاحت أمى جزءًا من الستارة بهدوء وأفسحت المجال لأشاهدها، وكانت ثريا تطأطئ برأسها ، وكانت فتاة محجبة ذات عيون سوداء وأهداب طويلة .

وطأطأت برأسى ، ثم سألت أمى بهدوء : أنفذ قرارى ؟

فأخذت الجاكت من يدها وتركتها ، وصعدت إلى أعلى ، فقالت : إنت ما عملتش حاجة وحشة يا بنى .

وقبل خروجى انحنيت ، وقبلت وجنة سوزان ، وكانت مستغرقة فى النوم.

الفصل الرابع والعشرون

إذا كنت قد أخضعت نفسي للزواج للمرة الثالثة فكان هذا إرضاءً لأمي . كنت أريد أن أقوم بشيء وفق رغبتها ولو لمرة واحدة في عمري . وعلى الرغم من أن أبي كان يرى مثلها عدم وجوب بقائي وحيداً ، وأن أتزوج ثانية من أجل سوزان ، كان يرى أنه يجب أن أفكر في سوزان أكثر مما أفكر في نفسي ، وأن أسعى لتربيتها تربية حسنة وتحقيق السعادة لها.

على أية حال ، لم يمض زمان طويل حتى استأذنت أمي للخطبة، وحددت أسرة روند – وكانوا من جيراننا – ميعاداً لحضورنا . وفي تلك الليلة وصلت المنزل مبكرًا عما كان معتاداً ، وكانت أمي قلقة مضطربة وتطلب دومًا أن أعجل أنا وأبي . وكانت قد ألبست سوزان رداءً جميلاً ، كما اعتنت بنفسها جيداً ، حتى إنها أحضرت سلة من الورود ، وبدلتُ ملابسي، ونزلت وأنا لا أزال متردداً .

ولم أكن أعلم لماذا تملكني القلق ، فلم أكن طفلاً في المدرسة ، وقد تزوجت قبل ذلك مرتين . وحينما هبطت درجات السلم ، كان الجميع على أهبة الاستعداد ، الأب والأم وسوزان .

قال الأب : والله وبقيت عريس ، أكيد الدنيا مش سيعاك من الفرحة دلوقتي ، إنت مش قلقان وإنت رايح دلوقتي ؟

فقلت في ابتسامة مرة : دي مش التجربة الأولى ليّ يا والدي !

فقال الأب في سخرية : ربنا يجعلها التجربة الأخيرة !

وقالت أمي وهي تضبط ياقة قميصي : حسنًا ، إنتم قطاع طريق ! عمالين تتكلموا زى ما نكون رايحين نسرق !

قال الأب : لا شك أنها لصوصية ، منتهى اللصوصية بمشاركة الجميع، ما إحنا رايحين نسرق بنت الناس .

وقالت الأم وهي ترتب عباءتها : يا سلام عليك يا أيوب أفندى ، إيه اللى بتقوله ده ؟ و أعطتنى أمي سلة الورد ، ومسكت هى يد سوزان الصغيرة .

وبعد أن فتح لنا السيد روند ، قام باستقبالنا ، وسلم علىّ بحرارة، وكذلك فعلت زوجته ، وحضر في تلك الجلسة أخت ثريا الكبرى وزوجها ، وبعد مضى ساعة كنت قد تعرفت إلى حد ما على أفراد الأسرة ، وعلمت أننى بين أسرة متعلمة مثقفة، وكنت أنا الوحيد من بينهم الحاصل على الدبلوم . كان السيد روند رجلاً ثريًا واجتماعيًا ، وكان يبدو عليه أنه مرتبط جداً بأسرته ، وخاصة ابنته الصغرى ، وعلى حد قوله كانت أحب أبنائه لديه ، وكانت ثريا – كما قالت والدتى – قد حصلت على الليسانس فى علم النفس ، وإحقاقًا للحق ، كانت فتاة جميلة ، امتزج فيها اللطف والوداعة بالرصانة وقوة الشخصية . وكطبيعة مجالس الخطوبة عصرونى بالأسئلة، أسئلة حول العمل ومعدل الإنتاج وسنى ووضعى المالى ، فضلاً عن الأسئلة المرتبطة بأسباب انفصالى عن زوجتى السابقة ووضع الطفلة.

لم أكن أرغب فى الحديث عن الماضى ، وفى نفس الوقت كان هذا من حقهم الطبيعى ؛ فهم لم يرغبوا فى أن يخطوا خطواتهم وهم مغلقو الأعين ، خاصة وأن صدى أنباء طلاقى المتكرر كان يملأ الأجواء كلها . إنهم كانوا يعرفون أفراد أسرتى ويكنون لهم كل احترام ، لكن أنا ، لا !

فشخصيتي كانت مبهمة للكثيرين ، ولا أعلم لمَ كنت أشعر أن قبول هذه الصلة كان أكثر لدى ثريا من أسرتها ؟على أية حال لم أكن أستطيع أن أتوقع أكثر من هذا ، فطبقًا للمقولة الشهيرة " لقد اشترى الزمان دلالي"، ولكن لم يكن هذا بيدى ، وربما كنت حساسًا أكثر من اللازم ، فحينما قالت زوجة السيد روند : دى ثريا تقدم لها خطاب كتير، وكانوا بيركعوا تحت رجليها . حاولت أن أتمالك نفسى ، ولم أفهم ، ولا أزال حتى الآن لا أفهم، أى شىء جذب تلك الفتاة الجميلة ذات العائلة المقتدرة إليّ ؟! والآن لا يهم ذلك ، الآن أريد فقط أن ألقى نظرة إجمالية على ما حدث ، بل أريد أن أعرف أسباب سوء حظي . ولو فهمت ، فلن تنحل العقدة ؛ لأنني في كل الأحوال مقامر خاسر !

وكالعادة ، كانت أمي كالحجر ، تمن بالقول ، لدرجة جعلتني أخجل من ذهابي إلى ذلك المنزل ، ولو لم يكن سلوك ثريا وتصرفها اللائق لكنت قد تركت المجلس من الدقائق الأولى . إنهم لم ينتقدوا وجود ابنتى فى حياتنا، ووعدتهم أمى بأنها سوف تقوم برعايتها ؛ حتى إننى حينما رغبت أن أرد عليهم فى هذا الموضوع حثتني أمى على السكوت . كانت زوجة السيد روند ترى أن رعاية طفلة أخرى مشكلة كبيرة ، خاصة وأن أمها على قيد الحياة .

ونظرت إلى ثريا بطرف عيني ، وما لمحته فى عينيها كان التفاهم والرضا ، وكان صمتها لرعاية حرمة الكبار . على أية حال فقد سمحوا لنا أن نتحدث سويًا للحظات ، وقررت أن أفصح لزوجة المستقبل عن كل الحقائق ، لكن لا أعلم ، لم عجزت عن ذلك عندما جلست أمامها ؟ لكن الله وحده يعلم أننى لم أقصد أن أظلمها معى ، فالحياء منعنى من أن أفصح لها عن حقيقة حياتي التعيسة ، وحينما سألتنى عن سبب انفصالى عن زوجتى، قلت لها إنه كان بناءً على أسباب شخصية وعدم

وجود التفاهم بيننا . على الرغم مما حدث فلم أقل خطأ ، لأنني لو تغاضيت عن علاقتها مع فرانك، فثمة أسباب أخرى جعلتني أنفصل عنها . وحينما عرفت مني بعض ما يتعلق بالماضى ، جاء الدور على سوزان والظروف الراهنة ، فقد سألتنى عنها ، فطأطأت برأسى ، وقلت لها :

–على الرغم من أن الكبار فى المجلس لم يمنحونى فرصة الحديث ، ولكن يجب أن أقول إن عندى كلام ليكى، وأهم ما فى هذا الكلام ما يتعلق بابنتى. مش عايز أفرض عليكِ بنتى ، ولكن يجب أن تعطينى الحق ، فهى بنتى، ومقدرش أضحى بها علشان خاطرى ، لازم تعيش معى ، فوجودها بيساعد على تقوية معنوياتى ، تعرفى إن أمها مش عايزاها ! علشان كده لازم أقوم برعايتها بنفسى .

– ولكن ست الحاجة قالت غير ذلك .

– أيوه، تعرفى إن إحنا عايشين فى الدور الثانى فى بيت أبى ، إذن كل اللى قالته أمى كان صح ، وسوزان مرتبطة جداً بأمى وبتحبها! ولكنى أرغب بشدة فى أن تكون معى . ولتطمئنى ، هى مش وحشة ، ومش هتكون سبب لمتاعبك ، أنا مش عارف إيه رأيك فىّ ، ولكن لتعلمى إنى مش الابن الحقيقى لأمى ، هى ربتنى زى ابنها تماماً، ومحصلش أى مشاكل بينا لغاية دلوقتى، وأقدر أقول بصراحة إنى على خلاف دايماً مع أبى أكتر منها ، هو شكل تانى خالص .. أعتقد إن أمك لديها قدر قليل من اللطف . أرجوكِ سامحينى على حديثى كده بدون ستار، ولكن ...

ونظرت ثريا إلىّ وهى مبتسمة ثم قالت : أنا كمان باحب سوزان ، ولما بافكر كويس بلاقى إنه لازم أديك الحق، لإنك أب.

فقلت لهــا وأنــا سـعيد : تأكـدى أن تضـحيتـك دى مش هتـكون بلا مقابل ، وإنى هاسعى علشان أوفر لك حياة أفضل .

وكان هذا اليوم نقطة تحول فى حياتى .

لقد تحدثنا مع بعضنا ثانية ، وخرجنا عدة مرات، حتى تلاقينا فى النهاية . واقـترحت ثريا أن نحتفل بالخطوبة فى هدوء ، ثم نبدأ حياتنا الزوجيـة بمراسم بسيطة ولا يجب أن أخفـى الحقـيقـة لأننى فى هذه الحالة أكون قد كذبت على نفسي ، لقد كنت أحب ثريا ، ولكننى لم أكن عاشقًا لها ؛ فالعشق من وجهة نظرى له مفهوم آخر . وقد أحضرت زوجتى جهازًا باهظ الثمن باعتبارها بنتًا لم تتزوج من قبل ، ولا شك أننى كنت أساعدها قدر استطاعتى ، وحاولت ألا أكون سببًا لندمها . وإنصـافًا للحق كـانت فـتاة مـثقفة ذات شـخصـيـة ، وجميع سلوكها وتصرفاتها وحركاتها تدل على تربيتها الحسنة ، ومما لا شك فيه أن سلوكها مع سوزان كان متوازنًا ، يتسم بالعطف والمحبة وأعترف بأنها كانت قنوعة ، أى أن قلبها وعينيها كانا مملوءين بالمال ، لأنها كانت قد تربت فى أسرة كبيرة مرفهة ، وقد بذل والدها كل ما لديه لإسعاد أبنائه، وكانت أسرتها تتعامل معى ومع سوزان بكل احترام ، على الرغم من أنهم لم يكونوا يعتبرونها حتى الآن فردًا من أفراد الأسرة .

وقد تم حفل زواجنا البسيط على أفضل وجه ، ومضينا نبدأ حياتنا فى رعاية الله . وسافر ثلاثتنا بعد الزواج بعدة أيام . وخلال هذه الأيام أدركت بسـهولة أن سـوزان تحب ثريا ، وكـانت ثريا بدورها تعـاملها معاملة حسنة ، وكنت أعتقد أن سوزان سوف تتربى بصورة أفضل فى رعاية ثريا لها واهتمامها بها ، كما كان سلوكها معى جيدًا لدرجة شعرت فيها مع هذا السلوك وبعد مرور عدة أعوام أننى إنسان ، أحتاج إلى الاهتمام ، وكانت تتعامل كذلك مع أمى بصورة حسنة ، وبناءً عليه

سرعان ما وجدت مكانها في منزلنا الهادئ ، فقد جلبت معها إلى منزلى السعادة والبهجة والهناء . والآن حينما أعود عصراً إلى المنزل ، أشم رائحة الغذاء الطيبة وأنا في طريقى على درجات السلم ، وكنت أشعر بالسعادة لأننى أصبحت شريكًا لشخص ما ، وكم كنت أشعر بالسعادة حينما تغنى لى سوزان بعض الأشعار التى حفظتها عن ثريا ، وكان هذا يدل على اهتمامها بها . والآن حجرتى المغطاة بالتراب دومًا نظيفة ، ودومًا تبلغ مشامى رائحة السعادة من البيت بدلاً من السأم والملل . كنت أشعر أننى كنت قد افتقدتها منذ أعوام ، وكنت مستعداً لأن أدفع ثمنها مهما كان باهظًا .

وعلى الرغم من أن ثريا كانت موظفة ، لكنها لم تكن تنسى مسئولياتها تجاه زوجها . فى ذلك الوقت كان كل شىء يتم بصورة جيدة، وما كان يكدرنى فقط هو أن أتذكر الماضى ، ولم يكن يثيرنى شىء أحيانًا سوى ذلك.

ويوم الخميس كنت أنا وسوزان نسهر حتى منتصف الليل مع ثريا. وذات ليلة قلت لثريا : لقد أصبحتِ سبباً لشعورى بالسعادة مرة أخرى .

* * *

فقالت : إن السعادة حق للجميع ، وللجميع الحق فى أن يكونوا سعداء ، حتى سوزان .

فقلت : لقد أظهرت لها الكثير من المحبة .

فقالت : لكن إنت عارف إنى مقدرش أملأ مكان أمها .

فقلت بهدوء وأنا أهمس إليها : أمها شيطان أنانى .

وسألتنى ثريا بنفس الهدوء ولأول مرة بعد فترة : كانت جميلة ؟

قلت : أيوه ، جميلة جداً !

وعندئذ وبدون أن أدرى تغير وجهى ، وتذكرت الماضى وأنا أضيق عينى، وقلت :

فى الواقع كانت جميلة ، بالضبط مثل الرؤيا .

فقالت ثريا : بنتك تشبهها ؟

فاستعدت وعىّ وقلت : أيوة ، للأسف ، وجهها يشبه أمها ، ربما كانت كيت جميلة ، لكنها عديمة الأخلاق ، والسيرة أفضل من الصورة ، ماكنش عندها سيرة الإنسان ، على أية حال دى كانت أجنبية ، ودلوقتى فإن شعرة واحدة منك لا يضاهيها مائة مثلها ، لقد أخطأت ، وكان هذا الزواج خارج حدود الوطن ، ولكن قسماً بالله أننى دفعت ثمن ذلك .

وقالت ثريا وهى متأثرة من حديثى : الماضى انتهى ، ما تفكرش فيه ، إنت دلوقتى اتكلمت معايا بمنتهى الصدق ، أنا لازم أقول لك حاجة.

فسألتها : إيه ؟!

فطأطأت برأسها ، وقالت : حقيقى أنا مكسوفة أقول لك ..

فمسكت يدها ، وقلت : إيه الكلام ده ؟ أنا وأنت زوجان ، ولازم نتكلم مع بعض بصراحة .

فابتسمت ثريا ، وقالت : أنا مش عارفة لو عرفت هتفكر فى إيه ، لكن ما تتعجبش لو قلت لك إنى كنت بحبك من زمان أوى .

قلت : بتقولى إيه ؟

فطأطأت برأسها ، وقالت : كنت عارفة إنك مش هتصدقنى .

فسألتها ثانية : إزاى ؟

قالت : أنا كنت باحبك من يوم ماجيت لخطبتى ، بل حتى من يوم ما انفصلت عن مراتك الأولى .

فقلت مبتسماً : كيف يحلو لك رجل بلا كفاءة ؟ ما فكرتيش ولو لمرة واحدة إن السبب فى انفصالى المتكرر ربما يكون أنا ؟

فقالت ثريا وهى تبتسم ابتسامة مليحة : هو أنت ما سمعتهمش بيقولوا إن العشاق عمى ومجانين ؟ !

فمسكت يدها ، وقلت : دلوقتى بتفكرى فى إيه ؟ دلوقتى وإنت عايشة معايا تحت سقف واحد ، إيه اللى حاسة بيه ؟

فنظرت ثريا إلى عينى ، وقالت فى مودة : إنت أفضل راجل فى العالم !

وفى تلك الليلة خجلت من نفسى، لأننى لم أكن أعشقها ، ولكننى كنت أحبها، هذا فى حين أننى كنت أعلم أن :

" العشق أفضل من الحب "

الفصل الخامس والعشرون

لعل حبي الزائد عن الحد لسوزان أفضى إلى تحريك مشاعر الأنوثة عند ثريا ، فقد سمعتها تتحدث أحيانًا عن الأطفال بعد مرور عام على زواجنا ، طفل يكون منها ، وأن تكون هي أمه الحقيقية ، ولم أكن أرغب في أن تتألم بسببي ، ولكنني لم أكن أرغب كذلك في إنجاب طفل آخر، وكنت أشعر أن ثريا يجب أن تتفهم مشاعري ، وأعلم جيداً أن طلبها هذا ورغبتها في غير محلها . وبناءً عليه كنت أؤجل ذلك، وأقول إن الوقت لا يزال مبكرًا ، لكن الحقيقة إنه لم يكن مبكرًا بل كان متأخرًا، فثريا لديها من العمر ستة وعشرون عامًا ، وأنا بلغت الخامسة والثلاثين. وعلى حد قولها أنها كانت ترغب في أن تكون أمًا لطفلها وليس جدة له. لا ريب أنه كانت لديّ أسبابي في عدم انصياعي لرغبتها ؛ فمثلاً كنت أفكر أنه لو جاءنا طفل آخر ، فلن أستطيع أن أعامل الاثنين معاملة واحدة . كنت أتخيل دومًا أنني لن أحب أي طفل مثلما أحببت سوزان ، وعليه كنت أعتقد أن وجود طفل بيننا سوف يفضي إلى ظهور الخلاف ، وإلى ما كنت أهرب منه ، وهو التوتر وحرب الأعصاب ، ولكن كرهًا أو طوعًا تم ذلك ، ووقفت ثريا أمامي ولأول مرة طوال هذه الفترة ، وقالت إنها ليست على استعداد لرعاية طفلتي ثانية ، وأمي – التي كانت على مسافة منا بعدة درجات من السلم – أخذت سوزان ، وكنت أذهب كل يوم لرؤيتها ، وأنا في حالة لم أكن أستطيع فيها تحمل بعدها وحزنها .

وفي يوم من الأيام كانت ثريا لم تعد بعد من عملها إلى المنزل ، وكنت قد توجهت إلى سوزان ، وفُتح باب قلبي الحزين لأمي :

- إن الزمان لم يكن مواتيًا لى قط يا أمى !

فقالت الأم بصوت حنون :

- إيه الكلام ده يا بنى ، كل البيوت فيها مشاكل ، لازم تخلى قلبك بحر وودنك بوابة .

- ياريته ما حصل يا أمي ! ياريتنى ما دخلتش نفسى فى الطريق ده ! ليت قدمى قد شلت ومارحتش أخطب .

ونظرت أميّ إلي قليلاً ، ثم قالت : يا بنى لازم تديها الحق ، فهى امرأة ، تحب تضم طفلها لحضنها .

قلت : هى سوزان مش طفلة يا أمى !

- لكن مش طفلتها !

- هو فيه فرق ؟

- بالتأكيد فيه ، وكل اللى يقول مفيش بيكذب عليك ، حط نفسك مكان مراتك ، انظر إليها ، شوفها إزاى بتبعد عن طفلتك ! لو كنت مكانها وكانت هى مكانك لها طفلة من زوجها السابق ، وكانت بتفرضها عليك، هتكتفى بكده وتقبله ؟

- أنا أختلف عنها . وأنتِ نفسك ! ألم تربينى مثل ابنك ؟

- أيوه ، لكنى كنت عاقراً ، وإلا ربما كنت استمريت فى حياتى مع زوجى الأول .

- إنتِ عندك رد لكل حاجة.

- روح يا بنى ، روح وحقق رغبة زوجتك ، وكن لها كل احترام ، هى ما طلبتش منك حاجة كبيرة ، ده أبسط حق للزوجة ، ولازم تحط فى

اعتبارك إنه قليل لما تلاقي واحدة زيها مستعدة للزواج منك بعد زواجك الفاشل مرتين ووجود طفلة أجنبية .

– أنا مش عارف ليه مصرة على أن يكون لها طفل ، فالأطفال جميعًا مزعجون .

– وإزعاجهم ده لذيذ .

وأقنعتني أمي ، وفي نفس الليلة قلت لثريا أثناء تناول العشاء بأنني موافق على رغبتها ، ولا شك أنها سعدت كثيرًا لذلك ، ولما كان رأيها فيما يتعلق بسوزان بسبب عنادها معي ، قبلت ثانية أن تعود إلينا .

وعندما دخلت في العام الثالث على حياتي الزوجية مع ثريا ، كانت كل مشاعر السعادة قد فُقدت . حقًا كم كانت السعادة نادرة ، فقد تحدث اليوم ثم تختفي في الغد. كنت أشعر وكأنني قد صرت موضع غضب الله ، لكن المشكلة كانت في أنني لم أكن أعلم جرمي . كان العام الثالث لزواجي مفعمًا كله بالخلافات والتشاجر والحزن والبكاء ؛ لأننا كنا لا نزال نفتقد وجود طفل بيننا . كان ذلك في ظروف تناقض رغبتنا . ولا شك أن ذلك كان سببًا في سعادتي ؛ لأنني كنت معارضًا للإنجاب من البداية ، وعليه فكان رد فعلي هو الصمت ، لكن ثريا لم تتمكن من التزام الهدوء ، ولم تكن ترغب أن تكون موضع انتقاد ، وكانت تحاول دومًا أن تلحق هذا العيب بي بشكل غير مباشر ، وبالتأكيد لم أكن أتقبل ذلك :

– أنتِ غبية يا ثريا ، أنا عندي طفلة ، لو كان هناك عيب فهو منك .

وكانت تبكي ، ولم يكن لديّ القدرة على رؤيتها حزينة ، لذا كنت أحاول تهدئتها :

- حبيبتي ، الموضوع ده مش مهم من الأصل ، عندنا سوزان ، وأنا هاربيها بشكل يخليها تحترمك زى أمها الحقيقية ، الأطفال مش بالقدر ده من الأهمية .

لكنها كانت تقول لى وهى تبكى متخيلة أننى أنظر إليها بنظرة شفقة :

- طالما إن العيب مش منك ، مش إنت بتقول كده ؟ فضلاً عن إن لك طفلة ، فلازم أتعذب بسبب الموضوع ده حتى آخر العمر .

- ثريا ، زوجتى ، فلتقولى لى إيه اللى مفروض أعمله علشان تصدقى كلامى ؟ حسنًا ، روحى للطبيب إن كان الأمر ضروريًا ، ولن أمتنع عن أية مساعدة ، وأنا على استعداد لأن أذهب إلى أى مكان فى العالم لعلاجك . عايزة إيه تانى ؟ أنا مش فاهم سبب خوفك !

- إنت عارف إنى امرأة .

- أنتِ زوجتى، وتحقيق رغبتك شىء يهمنى .

واستطعت تهدئتها إلى حد ما ، وذهبت إلى الطبيب ، وكان طبيبًا ماهرًا مشهورًا بين أقرانه ، وبعد شهر أخذت نتيجة التحاليل .

لا أنسى ذلك اليوم قط ، كنت جالسًا فى المنزل حينما كانت ثريا تدخل فناء البيت ، وكان أول دليل على حضورها خبطها على الباب ونظرت إلى وجهها من أعلى ، وعلى ما يبدو كانت الأخبار سيئة . فتوجهت إلى باب الهول وفتحته :

- أهلا يا ثريا ، كيف حالك ؟

ولم تجب علىّ ، وذهبت مباشرة تجاه الثلاجة ، وشربت كوبًا من الماء مع قرص مهدئ ، ثم جلست خلف المنضدة وهى تضع رأسها فوق

يديها ، فجلست أمامها وانتظرت . أثناء ذلك جاءت سوزان إلينا ، وكانت طفلة جميلة حنونة ، وسألتني : بابا ، أحوال أمي مش كويسة ؟ ولكن قبل أن أرد فإن ثريا - وكنت أستبعد هذا التصرف منها - صاحت وهي غاضبة وقالت : غوري من هنا يا غبية ، لقد بدأت كل تعاستي من يوم ما قابلتك.

ونظرت إليها في دهشة ، وطلبت من سوزان بإشارة من عيني أن تتركنا ، ونفذت ذلك ونزلت ، في حين أنني كنت لا أزال غير مصدق أن ثريا تفعل ذلك . إنها لم تتفوه بكلمة سب حتى في أشد حالاتها عصبية ، خاصة مع سوزان ، وكانت دوماً تذكرني بأسلوب التحدث ، وتقول :هي ما بقتش بنتك لوحدك ، لازم تخلي بالك من كلامك معها ! والآن كانت تتحدث أمام سوزان ذات الستة أعوام بمثل هذا الجفاء والحدية .

- ثريا ، في الواقع أنا بستبعد ده عنك .

لكنها ردت بلهجة حادة : سيبني لوحدي ، أنا عايزة أكون لوحدي .

فقلت في هدوء : ثريا ، أنا قلتها لك مرة ، وهاقولها تاني ، الموضوع ده مش مهم لدرجة إنه يخليكي تزعلي نفسك ، قولي لي استلمتِ نتيجة التحاليل بتاعتك ؟

ولما لم أسمع رداً ، داومت الحديث : أقدر أشوفها ؟

فقالت في عصبية : ربما تفهمها ؟

- لا ، ولكنك هتقولي ، وأتمنى إن ما يكونش فيه حاجة.

- لا ، مفيش حاجة ! أنا سليمة .

فقلت سعيداً : إذن لازم تكوني سعيدة ، أنا مش فاهم سبب غضبك .

فقامت فى عصبية ، وقالت : مش فاهم ؟ باقول لك أنا سليمة .

– فهمت ، وأنا سعيد بكده .

فقالت وهى غاضبة : لا ، ما فهمتش ! ما فهمتش معنى كلامى ! أو ربما بتتظاهر بعدم الفهم ؛ فسألتها وأنا فى حيرة : إنتِ بتقولى إنك سليمة ، وأنا مش عارف إيه اللى يزعلك فى ده .

فقالت فى استهزاء : ياريت العيب كان منى .

– أجننتِ ؟

– المجنون هو إنت يا غبى ! إنت شربت المقلب !

وخفق قلبى بشدة ، وسألتها بصوت يرتعد عما كانت تتحدث عنه : إنتِ .. إنتِ عايزة تقولى إيه !

– خمن ، العيب منك !

وألقيت بالكرسى على الأرض ، ونهضت من مكانى ، وصحت غاضباً : إنتِ بتكذبى !

– إيه اللى يخلينى أكذب ؟

– لأنك .. لأنك بتغيرى علشان العيب اللى فيك ،بتغيرى منى ، ومن سوزان !

– أنا سليمة ، ده اللى قاله الطبيب ، ده اللى بتقوله التحاليل ! إنت خُدعت .

فهجمت عليها كالمجنون ، ومسكت برقبتها فى يدى، وقلت : لازم أكسر رقبتك علشان اللى قلتيه . وخلَّصت نفسها من يدى بصعوبة وصاحت : إنت كذاب وضيع ! إنت لعبت بكرامة أسرتى، أو جايز .. جايز كنت تعرف بالعيب ده ؟

واتجهت إليها بخطوات مسرعة ، ووجهت إليها صفعة شديدة على خدها وصحت :

– أنا ما عنديش عيب أخفيه عليكِ ،أنا من الأصل مش موافق على طبيبك.

فقالت ثريا في سخرية : أنا كمان ما صدقتش الموضوع ده، لكن الطبيب قال لي في ثقة إني أقدر أروح لأطباء آخرين ، وأعيد التحاليل . آه، كنت مستعدة لأن يكون العيب مني ، لكن لم يكن الأمر كذلك . إنت لك طفلة ، لكنك عقيم ! إيه اللي هيقولوه الناس ؟ من الجائز أن تكون قد ربيت طفلة غير شرعية وخدعتني .

وسندت على الحائط وقلت في هدوء : ابعدي من قدام عيني !

– إنت لسه بتحب تلك الزوجة اللعوب ! إنت ..

فصحت فيها : غوري بعيد !

وعلى أثر صوتنا صعدت أمي ، لكن ثريا خرجت من المنزل دون حتى أن تسلم عليها ، وتقدمت أمي خطوة ، فقلت لها بصوت عال : متى كان الزمان وفيًا لي ! كل ده كذب ، كذب يريد أن يدمرني !

وبكيت بصوت عال ، ولم أتمكن من السيطرة على نفسي ، ولو حتى أمام أمي . وأمي أيضًا لم تستطع تهدئتي . أثناء بكائي رأيت سوزان، فكانت تبكي هي الأخرى . بالتأكيد من أجلي! فحضنتها بشدة .

الفصل السادس والعشرون

وذهبت ثريا إلى بيت أبيها وهى فى حالة من القهر ، أعلم أنه كان يجب علىّ ألا أضربها ، لكن الأمر لم يكن بيدى . ومن جهة أخرى لم أكن أستطيع اللحاق بها ؛ لأننى كنت أشعر أنه يجب أن أدافع عن كرامتى . كرامتى التى كانت موضع مساءلة . كنت أشعر أننى لو لم أتمكن من إثبات عكس هذا الموضوع سأفقد ماء وجهى . لا أعلم ، ممن كنت غاضبًا ، منى، من ثريا ، من كيت ، أم من الزمان ؟ ! لكن بلغت عصبيتى إلى حد أننى لم أستطع الذهاب وراء ثريا ، حتى والدى مع ما كان يتمتع به من صبر ، لم يتمكن من منع غضبه بعد سماعه ما حدث وعلمه برأى الطبيب ، وكثيراً ما طلب الحديث مع والد ثريا لكننى كنت أمنعه قائلاً له : دعك من هذا الأمر .

ومضى شهر ، وبعد تفكيرى فى الأمر بوجه عام وصلت إلى نتيجة، وهى وجوب ذهابى إلى زوجتى ؛ لأننى لم أرغب فى أن أهدم أساس أسرتى ، وأفصح أبى وأمى عن رغبتيهما فى الذهاب معى ، وعندما عارضت ذلك ، قال والدى : مش مفروض الناس تفتكر إنك من غيرعزوة.

فقلت فى ابتسامة مريرة : أنا متأكد يا والدى أن الأطباء يخطئون بشأنى.

فسألت أمى وهى مترددة : يعنى العيب من ثريا ؟

قلت : لا يا أمى ، هى سليمة زى ماجه فى التحاليل ، لكنهم يخطئون بشأنى أنا .

قال الوالد : على أية حال هنيجي معاك .

ورافقاني ، وتوجهنا إلى منزل السيد روند ، ولا شك أنني لم أكن أنتظر سلاماً حاراً خاصة بعد مضى شهر، وبالتأكيد لم يكن حاراً ، فلم تخرج ثريا من حجرتها أصلاً حتى لإلقاء السلام ، كما كانت مقابلة أمها فاترة ، لكن والدها كان يبدو منطقياً إلى حد ما .

وتحدث مع والدى بكلام من هنا ومن هناك فيما يتعلق بالتجارة والعمل ، ثم مكث ينتظر تغيير مجرى الحديث ، وأنا الذى كنت منذ شبابى أعارض التطويل ، دخلت في الموضوع الأصلى :

– لو سمحت أقدر أشوف ثريا ؟

فقالت والدة ثريا : هي استأذنت لتوها لألم في رأسها .

قلت : لكن لازم أتكلم معاها في موضوع ما .

فسألني السيد روند بعد أن انتظر قليلاً : في أي موضوع ؟

قلت : لازم أقوله لها .

فقال السيد روند : إنت بتفكر في إيه ؟ ما فكرتش أى شيء بقى للحديث عنه بعد مضى شهر؟ وهل يوجد أصلاً شيء للحديث فيه ؟

وطأطأت برأسى وقلت : اعذرنى ، أسبابى منطقية .

فقال السيد روند : إن كلام أى شخص وتصرفاته منطقية بالنسبة له .

فقال أبى : تقصد إيه يا سيد روند ؟

فقال السيد روند موجهًا حديثه إلى أبى : أقصد إيه ؟ دول جُم يشوفوا بنتي بعد شهر، وقبل ما يوضحوا موقفهم ، يطلبون طلبات ليست في محلها .

قال أبى : دى مراته يا سيد روند .

فقال السيد روند : الزوج لازم يكون جنب زوجته ، مش بعيد عنها!

فقال أبى : لازم نتكلم فى الموضوع ده .

قالت زوجة السيد روند : كلام إيه ؟ لقد ثقلت علينا هذه الفضيحة .

وقالت أخت ثريا : يا أمى ، إيه الكلام ده ؟ ثريا حبيبتى سليمة من وجهة نظر الطبيب ، والطبيب بيخمن أن المشكلة جايز تكون من السيد أرسلان . وده تخمين فقط ، وبالتأكيد التخمين ده خطأ .

فسألت زوجة السيد روند : وإن كان صحيح ، إيه الحل ؟

وتحدثت أمى لأول مرة بعد سنوات من القلق : ده إتهام يا حاجة . أتمنى إنك تقولى حاجة تفيد .

فقالت زوجة روند على سبيل الكناية : أنا مش عارفة ، جايز أنتم كمان عارفين الموضوع ده وإلا لماذا كل هذا الصخب للذهاب إلى الطبيب؟

قلت : الموضوع مش الذهاب إلى الطبيب أو عدم الذهاب ، الموضوع هو انطباعكم إنتم .

فقالت والدة ثريا لى : دى مش مشكلة ، فلتثبت عكسها ، وليه ماتصلتش بثريا حتى بالتليفون؟

قلت : كنت مضايق جداً .

قالت والدة ثريا : كنت تقدر بدل ما تضايق تروح للطبيب وتمنع كل

الهيصة دى ، أما عتابى عليك فعلشان ثريا ، أنا ربيت ولادى تربية كويسة لدرجة إني ما خدعتهمش ولو مرة واحدة ، وإنت تيجى دلوقتى تتعامل معها كالحيوان ؟ دى شريكة حياتك .

قلت في خجل : أنا عايزها علشان السبب ده ، أنا مديون لها باعتذار .

وتملك الجميع الصمت ، وقالت أخت ثريا :هى فى حجرتها ، روح شوفها.

وعلى أثر تشجيعها ، قمت من مكانى ، وتوجهت إلى حجرتها ، وطرقت الباب عدة مرات ، وحينما لم أسمع رداً ، فتحت الباب ، وكانت جالسة على حافة السرير ، فقلت فى هدوء :

– السلام عليك يا ثريا !

وكانت الدموع تحتبس في عينيها ، فأغلقت الباب ، وتوجهت إليها ، وما أن رأتنى حتى انهمرت الدموع من عينيها ، وسقطت على خدها فجففتها بمنديل ، وقلت :

– استأت من رؤيتى ؟ تقدرى تسامحينى ؟

وكانت تبكى فقط ، فانتهزت الفرصة ، وقلت : أنت بتفكرى زيهم؟ صدقينى ، أنتِ مهمة بالنسبة لى ! الفترة دى مرت علىّ بصعوبة ، حسيت كويس بمكانك الخالى . حقيقى ... حقيقى أننى لا أزال متأكداً من نفسي، ولكن مش معناه إننى باعتبرك المذنبة ، أعتقد أنهم شخصوا حالتى خطأ ، ومش مفروض إنك تسيئى الظن بى ، فى الحقيقة أنا موافق على وجهة نظر أختك ، وإن ده مجرد خطأ !

قالت ثريا وهى تبكى : لو كنت متأكد من نفسك للدرجة دى ، ليه ما تروحش للطبيب ؟

– لإن مفيش فايدة فى كده ، فالحقيقة زى النهار الساطع .

وبعد الانتظار قليلاً قلت مضطراً : حسناً .. أنا هعمل كده علشانك، على الرغم من إنى مش لاقى ضرورة لكده ! هترجعى معايا البيت ؟

وصمتت ثريا ، فقلت لها : السكوت علامة الرضا ، إذن فلتقومى !

كنت قلقًا خلال الفترة التى كنت أنتظر فيها نتيجة التحاليل الخاصة بى . على الرغم من أننى كنت قد اعتدت عليه خلال تلك الأعوام، فقد اعتدت ثانية على أن أكون قلقًا على الغد . قلقًا على الساعة التالية ، قلقًا على ما يمكن أن يحدث .

كان الجو ممطراً فى ذلك اليوم ، وذهبت إلى المعمل وجاءت ثريا أيضًا معى وفق رغبتها ، وبعد استلام نتيجة التحاليل ذهبنا إلى الطبيب وفقًا لاقتراح ثريا ، وانتظرنا ساعة حتى حصلنا على إذن الدخول من الطبيب . ونظر الطبيب إلى نتيجة التحاليل لدقائق ، ثم رفع النظارة من عينيه ، وخاطبنى قائلاً :

– آسف يا سيد وفائى .

فسألته فى رعب وحيرة : يعنى ... يعنى إيه يادكتور ؟

فاستند الطبيب إلى الخلف وقال فى تأثر : سيد وفائى ، أنت متقدرش تكون أبًا فى أى وقت أبداً !

فقمت ، وقلت غير مصدق وأنا أنظر إلى ثريا : ده غباء، أنا أصبحت أبًا من قبل .

فقال الطبيب مؤكداً : ده مش ممكن !

فقلت في غضب : إيه يا دكتور؟ إزاى إنت بتتكلم بكل الثقة دى ؟

قال الطبيب : أرجو أن تتمالك نفسك ، سيدى ، ده مقر علاج ، وأنا قلت ردى بكل ثقة مش تخمين ، لإنك عندك عيب فى القدرة على الإنجاب، ومع وجود هذا العيب متقدرش تنجب ولو حتى بنسبة ١٪ ، وفى الحقيقة النسبة دى عندك هى صفر فى المائة .

فقلت بلهجة حادة : دى دسيسة ! ثم وجهت حديثى إلى ثريا : ماتصدقيش الخرافات دى !

لكنها توجهت بنظرها فى حزن إلى سجادة الحجرة ، وألقيت بجسدى فوق الكرسى ، وجعلت أحدث نفسى كالمجنون ، وكان كل جسدى يرتعد ، ولم أتمكن من السيطرة عليه .

- إذن ، إزاى أكون أبًا لسوزان ؟ إزاى أكون أبًا لسوزان ؟

- وصارت رأسى كالريشة التى لا ثقل لها لدرجة أننى كنت أشعر أننى سأطير مع أقل إشارة : إزاى أكون عقيماً ؟ إزاى ؟

وسحبت نتيجة التحاليل من يد الطبيب ، وصحت : أنا مش مصدق، هتشوف إنى مغلطش ، لو أثبت إن تشخيصك خطأ هاهد عيادتك فوق راسك .

هددت بمثل هذا الحديث ، وخرجت من الحجرة ، ولم أكن متوازنًا حتى إننى لم أهتم بثريا ، واستقليت السيارة دون أن أنتظرها ، وسلكت طريقى ، ولكن كانت يداى وقدماى ترتعدان لدرجة أننى اضطررت أن أركن بجانب الرصيف ، وثبت نظرى على أوراق التحاليل ، وفكرت : عدة ورقات تغير حياتى ، لم أكن أعلم أى شخص أتهمه ؟ وورد بتفكيرى أنه

لا يجب أن أفكر أساسًا فى هذا الموضوع ، ولكننى أدركت أننى على حق ، وهذا ما سوف أثبته ، وقبول هذه الحقيقة المرة حتّى على أن أفكر بعمق فى هذه المسألة ، فإن كيت كانت .. إلهى ، كم كان صعبًا أن أفكر فى ذلك ، وهذا الضغط هو ما جعلنى أتتبع الموضوع ، ولكن ما أمل الأعمى ؟ فمن الواضح أن الحق لم يكن معى . لم يكن الحق معى قط ، وكأننى قد جئت فى هذه الدنيا كى أتعذب ، كنت أشعر أن العدالة لم تنفذ فى حقى ، ولهذا كنت تعيسًا .

وفى ذلك اليوم ذهبت إلى أطباء آخرين ، ولكن كان الرد كما سمعته أول مرة ، وعلى هذا كنت أخرج من العيادة غاضبًا كل مرة ، فكنت متأكدًا من نفسى ، كنت أعتقد أن الأطباء الإيرانيين ليست لديهم القدرة على التشخيص الجيد ، ولا يجب علىّ أن أطمئن إلى كلامهم ، وكان الليل قد اقترب من نصفه حينما عدت إلى المنزل ، كنت آمل أن يكون الجميع نائمين ، ولكننى بمجرد أن فتحت باب الفناء ، أضيىء مصباح الطابق الأول، وجاءت أمى خلف النافذة . كنت أعلم أنها قلقة لأنها كانت تعلم أننى قد أخذت نتيجة التحاليل . وأغلقت الباب ، ومشيت، وخرجت أمى مسرعة حتى جاءت أمامى فى طريقى إلى السلم، وسألتنى فى قلق وهى تمسك ساعدى بيدها : النتيجة كويسة ؟

وطأطأت برأسى ، والتزمت الصمت ، فضغطت على ساعدى أكثر، وقالت : قل لى ، هتجينى السكتة ، دى ثريا من ساعة ماجت وهى حابسة نفسها فوق، وكل ما أسألها ما تردش علىّ .

فسألتها فى هدوء : فين سوزان يا أمى ؟

قالت أمى : ما تقلقش عليها ، هى نايمة عندى.

قلت هامسًا : مش هقلق تانى .

وتغير وجه أمي ، وقالت بهدوء : ربنا ياخدني ، يعني ...

فقلت بكل ثقة وأنا أنظر إلى السماء : الدكاترة هنا ما بيفهموش حاجة.

وفضلت أمي أن تؤيد حديثي ، فكان قبول الحقيقة بالنسبة لها أمراً صعباً ، كنت أعلم أنني لو صعدت سأجد ثريا نائمة ، وعلى حد قول أمي أنها أغلقت على نفسها الباب ، فجلست فوق الدرجة الأولى من السلم ، وصرت شريكًا لوحدة الليل ، وكان صوت بكاء أمي يرن في أذني ، فأوصلتها إلى حجرتها ، واختليت بنفسي أفكر .

الفصل السابع والعشرون

منذ ذلك الحين فصاعداً صارت حياتنا عراكًا وجدالاً وكناية ، كانت ثريا تأتى بالحجج حتى تفتح الجرح القديم ؛ فهى الآن على عكس الماضى، تريد أن تعرف زوجتى السابقة كيت أكثر ، تريد أن تعرف من كانت؟ ومن أية أسرة ؟ وكيفية اختيارى لها للزواج ؟

وعلى أية حال ، على الرغم من أننى لم أكن أحب كيت ، إلا أننى كنت أشعر أن أسئلتها بمثابة إهانة مباشرة لى ، لأننى كنت لا أزال متأكداً أن خطأ ما قد وقع فى مشكلتى ، كنت أريد بأنانية أن تفهمنى زوجتى وتصدق كلامى ، لكن ثريا لم تعد ثريا السابقة ، لم تعد تعشقنى كما كان فى السابق ، لم تعد تتحكم فى غضبها ، كان من الممكن أن تتبدل فى أقل وقت إلى أسد غاضب. فأصلاً منذ ذلك اليوم – يوم نتيجة التحاليل – لم تعد كما كانت ، ولا شك أن سلوكى أنا أيضًا لم يكن بلا تأثير ، وكنت كمن يضع كلا قدميه فى فردة حذاء واحدة ، فسوزان ابنتى ، وجميعهم يخطئون، وسرعان ما كانت تعقب على كلامى هذا ، وتصيح :

– يعنى عايز تقول إن العيب منى ؟

وكنت أرد عليها : أنا أصلاً ما بفكرش بالشكل ده، أنا أعتقد أن كلانا سليم .

وكانت تصيح ثانية ، وتفتح موضوعًا جديداً للجدال ، وصارت حياتنا فى الواقع وكأنها جهنم، ولم تعد لى طاقة على العمل ، ودومًا كنت أفكر .

فى ذلك الوقت كانت سوزان فى منزل والدى ، وكنت أذهب أحيانًا لرؤيتها ، وكانت هي الأخرى تتألم من الوضع المفروض ، كما كانت أمى مضطربة التفكير أيضًا ، وقلما كنت أراها تبتسم . كنت أشعر دومًا بأن عيونها تملؤها الدموع ، ولم يكن حال والدى أفضل منها ، و لا ريب أنه كان يتأذى من هذا الوضع وكان يتوسل إلى الله .

والآن حينما أفكر مليًا ، أرى أن الجميع كانوا يصدقون تلك الحقيقة سواى ، وكان لسوزان مكانة كبيرة فى أعماق قلبى ، وقد سألتنى ذات يوم سؤالاً جعل الشعر يقف فى جسدى :

- بابا ؟

- حبيبة بابا .

- الكلام ده معناه إنى مش بنتك ؟

ونظرت إليها فترة فى دهشة ، ثم أجلستها فوق قدمى وسألتها :

- مين قال لك الكلام ده ؟

- لما جيت أغير هدومى، سمعتك بتتخانق مع ماما ثريا ، وماما ثريا قالت إنى مش بنتك ، وإنت كمان ..

فقطعت حديثها ، وقلت وأنا أمسك بيدى طرفى رأسها وعيناى فى عينيها :

- إنتى بنتى ! فهمتى؟ إحنا مش هنبعد عن بعضنا أبدًا ، يعنى مفيش حد يقدر يفرقنا عن بعضنا . فهمتى ؟

فسألت سوزان وهى تلعب بزرار قميصها : حتى ماما ثريا ؟

تنهدت وقلت بهدوء : أيوة ، حتى هى .

فضمتني بشدة ، وقالت : كنت عارفة يا بابا الحبيب .

فهمست : أنا باحبك يا حبيبتي ، لكن القدر الحلو ظلمنا .

فنظرت لي في حيرة ، وقالت : يعني إيه القدر الحلو ؟

فقلت وأنا فخور بذكائها وإحساسها : يعني الحظ .

فسألتني ثانية : يعني لما يتصالح معانا القدر الحلو هتبقى ماما ثريا حنونة؟

فقبلتها وقلت : إنت بنت حنونة .

– ولكنها ....

– كفاية كده يا بنتي ، هي بتحبنا ، بس هي تعبانة ، لازم تفهمي حالتها، وتحاولي إنك ما تكونيش سبباً لتعبها.

– يعني أغسل هدومي بنفسي ؟

فابتسمت في مرارة وقلت لها : لا ، بس متضايقهاش .

وكأن حديث سوزان قد أحرق روحي ؛ لذا عزمت على أن أجلس مع ثريا للحديث بشكل جدي ، ولكن قبل أن أتحدث معها ، جاءت بنفسها إليّ في الوقت الذي كنت أفكر في كيفية الحديث معها . كنت مستلقياً فوق السرير على ضوء الأباجورة الخافت عندما دخلت عليّ الحجرة :

– لازم أتكلم معاك .

– وأنا كمان .

فقالت في استهزاء : جميل التفاهم ده اللي بيتدفق في هذه الحياة، ويدعو إلى ما هو أفضل .

وجلست نصف جلسة فوق السرير وقالت : إنت جيتى تكلمينى ولاَّ تجرحينى بالكلام ؟

وجلست فوق الكرسي المقابل للسرير ، وقالت فى حسرة وهى تنظر على إحدى صورنا : إنت ضربت على الجرح الأصلى .

فانتهزت الفرصة وقلت فى صوت هادئ : بتتكلمى بكل الحسرة دى وكأن حادث فظيع قد حدث.

فنظرت إلى وجهى ، وقالت وهى تبكى : ألم يحدث ؟ إنت عدت فجأة إلى إيران ، وبعدين جيت لخطبتى ، وقدمت سوزان على أنها بنتك، لكن بعد كده ...

ومنعها البكاء من الاستمرار فى الحديث ، فقلت : سوزان بنتى !

- ده غباء ، الدكاترة ...

- اللعنة على الدكاترة أنا ما بقبلهمش .

فصاحت : إذن مين اللى تقبله ؟ قل لى ليه رجعت إيران ؟ إنت ما قولتليش الحقيقة أبداً ، أنا ... أنا حبيتك لدرجة خلتنى أقبل الجواز منك بالرغم من وجود سوزان .

فذهبت تجاهها ، ورغبت فى أن أضع يدى على كتفها ، فصاحت :

- ما تقربش منى .

- أنت زعلانة منى ؟

- زعلانة منك ! أنا وقفت قدام أسرتى ، وبقيت مراتك ، وكنت متأكدة من كتر السعادة معاك إنى مش هقلق للحظة واحدة ، ودلوقتى إزاى أقدر أتحمل نار الانكسار ده ؟ إزاى أرد على أسئلة الناس ؟

– الناس دايماً بيتكلموا ، وأنا قلت لكِ إني مش معيوب وسوزان بنتي .

– منين إنت متأكد كده ؟

فوقفت أمام المرآة وقلت في هدوء : مش عارف ، قلبي بيقول لي كده. وعدت ناحية ثريا وتابعت الحديث : أنا مستعد أثبت ده .

فقالت : إزاي ؟

– أنا هسافر أوربا ، وأقابل الدكاترة هناك .

فقالت وسط بكائها : آه ، إلهي .

فركعت أمامها ، وقلت : أنا هاروح هناك ، حبيبتي سلوكك كان دايماً قدوة ، لكنه مش كويس دلوقتي مع سوزان . قلتِ إنك بتثقي فيَّ ، فلتثقي بي مرة أخرى ، وتأكدي إنك مش هتندمي على الثقة دي.

– آسفة يا أرسلان ، أنا عايزة أمشي ، وكنت عايزة أتكلم معاك الليلة في الموضوع ده .

– تمشي ! فين ؟

– لبيت أبي ، وللأبد .

فسألتها غير مصدق : إنتِ بتهذري ؟ يعني مش قادرة تصبري لغاية ما أرجع ؟

وحركت أكتافها بالرفض ، وكررت عليها سؤالي ، وحينما رأيت صمتها ، قلت : القرار ده مش قرارك !

– كلامك مش هيغير قراري ، وعلى كل حال أنا خدت قراري، وإنت ما تقدرش تحكم على أبي وأمي وأسرتي .

فصحت : دول من الأول ما كانوش عايزني .

- كلامك غير منطقي بالمرة .

- إنتِ عارفة إني باقول الحق ، دول كانوا عايزين يناسبوا طبيب أو مهندس .

ووقفت كي تخرج من الحجرة ، فسألتها : إنتِ هاتروحي فين ؟

- أنا مش مجبرة على سماع إهاناتك ، فالشخص اللي ما يكونش صادق معايا ولم يفصح لي عن حقيقة حياته ، مالهوش الحق في إبداء الرأي تجاه أسرتي ، ومضت تجاه الباب فقلت مضطراً : معرفة الحقيقة هترضيك ؟

وعادت إليّ وقالت بنفس الهدوء : على الرغم من إنها جت متأخرة لكن جايز .

- أنا ما كذبتش عليكِ فيما يتعلق بسوزان ، ولسه متأكد من خطأهم لكن فيما يتعلق بكيت ...

واستقرت فوق الكرسي ، بينما استمريت في الحديث : إنت سألتيني عن سبب انفصالي عن مراتي ، وقلت لك إنه تم بسبب عدم التوافق والتفاهم بيننا ، وبالتأكيد ده كان سبب من الأسباب ، والسبب الثاني لانفصالي عن كيت ... أنها خانتني ، وأقسم إن الموضوع ده تم بعد ولادة سوزان .

وبدأ ثانية عويل ثريا وصياحها :

- ليه ما قولتش من الأول ؟

– أقول إيه ؟ الموضوع ده كان بعد سوزان ، وبعد علمي به انفصلت عنها ، آه ، يا إلهي .. ما فائدة قسمي طالما إنك مش مصدقة كلامي؟

– ومنين عرفت إن دي كانت المرة الأولى ؟

فصحت : لا !

– آسفة يا أرسلان . أنت شوفت الحقيقة ، لكنك ما صدقتهاش ، إزاي أقدر أستمر معاك في حياتنا ، وبعد معرفة اللي حصل أرى أن الحق مع أبي . كنت أتمنى إن الحقيقة تكون حاجة تانية، لكن ...

فقلت غاضباً : إنتِ فاكرة إن أنا أراجوز في إيدك ، غوري ، ولكن لتتأكدي إن مفيش طلاق ، أنا مقدرش ألعب باسم أبي وكرامته .

فقالت في سخرية : إنت عملت ده مرتين قبل كده ، اعمله تاني ، أنا هنفصل عنك ، فكرامة أسرتي مهمة بالنسبة لي أنا كمان .

ورحلت وأنا أنظر إليها غير مصدق ، ورأيتها من خلف النافذة وقد استقلت سيارة ، ومعها شخص عرفت أنه أخوها ، وفهمت أنها لن تعيش معي تحت أي وضع سواء بتأثير من أسرتها أو عدم تأثيرها .

الفصل الثامن والعشرون

ونفذت ثريا رغبتها ، فبعد شهر بالتمام ، جاءني استدعاء المحكمة ، وقد مزقته بعد قراءته لأنني كنت أعارض فكرة الانفصال عنها ، ولم أكن أرغب فى أن أهدم كيان الأسرة للمرة الثالثة ، لكن كأن القدر يرغب فى غير ذلك ، فبعد الاستدعاء الأول بشهر ، وصلني استدعاء آخر، وكنت فى ذلك اليوم فى الطابق العلوى من المنزل وأحضرته أمى لى ، وبينما كنت أقوم بفتحه ، سألتني : إيه ده يابني ؟

قلت : استدعاء .

فسألت فى حيرة : من مين ؟

قلت فى استهزاء : من المحكمة ، استدعوني علشان يستفسروا مني عن أسباب معارضتي للطلاق .

– هتروح ؟

– هو لازم أروح ؟ أنا مش موافق على الطلاق .

– طيب هتعمل إيه ؟

فألقيت بالورقة بعيداً ، وقلت : مش عارف ، لكن لازم أعمل حاجة علشان حياتي ما تنهارش .

وجلست أمى أمامى وهى حزينة ، ولم أكن أتوقع الصمت منها ، كنت أريد أن تمنحنى الشجاعة والقوة لمواجهة هذا الموقف ، فقلت بلهجة حادة :

- لم تنظرين إليّ هكذا ؟

وانهمرت دموع أمي ، فتابعت كلامي : ليه بتتصعبي عليّ كده زي الحمل العاجز هو أنا تعيس أوي لدرجة تخلي العالم كله يعيط على حالي؟ ليه ما بتتكلميش ؟

وكان جسدي كله يرتعد من شدة الغضب ، وتركتني أمي في هدوء، وفتحت النافذة في جو الشتاء البارد . كنت أريد أن تحملني الرياح معها لكن الرياح كانت تأبى ذلك ، ومزقت الاستدعاء ثانية ، وألقيته من النافذة تتلقفه الرياح والأمطار ، لم أكن أفكر قط في عواقب هذا الأمر أو فيما سيحدث .

وبعد بضعة أيام حدث أمر عجيب ، كان عصر يوم الجمعة حينما رنوا الجرس وطلبوني ، وغيرت ملابسي ، وتوجهت ناحية الباب ، وكان في انتظاري رجل مسن قد خط الشيب شعره . كان مهندماً ويحمل في يده حقيبة سامسونيت ، وما أن رآني حتى قال وهو يمد يده للسلام : السيد وفائي ؟

فأجبت برأسي " نعم " ؛ فتابع حديثه : أنا إلهام نيا .

ومع مشاهدته لاندهاشي قال : محامي السيدة ثريا روند .

وكانت لا تزال يده ممدودة للسلام ، فسألته في فتور : أنا ما طلبتش منك تيجي لمقابلتي ، وأردت أن أغلق الباب ،فمنعني ، ثم قال:

- اسمح لي يا سيد وفائي ، لازم أتكلم معاك لبضع دقائق ، فالأمر مهم .

فمكثت عدة لحظات ، فانتهز الفرصة ، وقال : بالتأكيد وصلتك الاستدعاءات ، مش كده ؟

فقلت غاضباً : ليه ؟

فقال في هدوء : لازم تيجي المحكمة .

فقلت في حدة : أنا قلتها مرة لزوجتي ، وهاقولها لك تاني : مش هاطلق

فقال إلهام ديا في فتور : همّ يقدروا يخلوك تطلق استناداً إلى القانون .

قلت : إذن إيه سبب حضورك ؟

فقال : عايز نتعاون سوا ، مايصحش إن الموقف يتطور بين الجيران بالشكل ده، وأنا متأكد إنك غير راض عن أن يأتيك المأمور ويأخذك عنوة إلى المحكمة ، فذنبك لغاية دلوقتي صعب بحد كاف .

– أي ذنب ؟

– عدم دفع النفقة ، عدم احترام مقام المحكمة ، من فضلك خذ هذا، فهذا هو الاستدعاء الثالث للمحكمة ، همّ عايزين يشوفوك في المحكمة يوم الإثنين الجاي أو على الأكثر يوم الأربعاء القادم .

وتملكتني الحيرة لفترة ، ثم أخذت الورقة رغماً عني من يد المحامي الطاعن في السن ، وودعني ، وتركني لحالي .

وفي الأسبوع التالي ذهبت إلى المحكمة ، وكانت ثريا قد جاءت مع والدها ، وألقيت عليهما السلام لكنني لم أحصل على الرد ، وكانت ثريا تتجنب النظر إليّ ، ووصل المحامي الخاص بها بعد مضي نصف الساعة، وتوجهنا إلى حجرة القاضي ، وكان رجلاً طاعنًا في السن محنكًا ، دعانا للجلوس وأخذ يتفحص الدعوى في صمت تام ، ثم قال : السيد أرسلان وفائي .

قلت : تحت أمرك .

– إنت ما حضرتش بعد استدعاء المحكمة لك مرتين ، ليه ؟

وطأطأت برأسى ، وقلت : علشان أنا مش موافق على الطلاق .

– زوجتك طلبت الطلاق ، وكان لازم عليك الحضور للاستجواب بغض النظر عن أى سبب ، ده نوع من عدم احترام القانون ، لعلك تجهل هذه القوانين .

فقال والد ثريا بسخرية : بالعكس يا سيدى ، ده وللمرة الثالثة بيتعامل مع المحكمة ، وعلى الأقل هو عليم بكل اللى بيحصل فيها أكثر منا .

وقبل أن أرد عليه ، قال القاضى : أيها السيد الفاضل ، لو سمحت احترم المحكمة ، وانه ما تريد الكناية به .

ثم وجه خطابه إلىّ : إن زوجتك طلبت الطلاق ، وقلت إنك معارض ، فلتذكر أسبابك ، إنت عارف أن حق الطلاق مع الرجل ولكن بشروط .

فقلت فى هدوء وأنا أنظر إلى ثريا : لأننى أحب حياتى .

– إذن ليه تركت زوجتك لمدة شهرين بدون نفقة أو رعاية ؟

وطأطأت ثريا برأسها، فقلت فى ابتسامة مرة : أنا لم أطردها ، والله شاهد على أننى كنت أضعها على رأسى لما كانت فى البيت ، هى رحلت عنى بنفسها ظلماً .

– ما روحتش وراها ؟

– رُحت كتير ، لكنها كانت بتكرر نفس الموضوع بعد أسبوع ، فتعبت، وقلت لنفسى هى مشيت بنفسها هترجع بنفسها ، وأنا باقول دلوقتى إن كل الكلام ده والدعاوى دى مش منها .

– إذن من مين ؟ أنا عندى دعوى موقعة بإمضائها تطلب فيها الطلاق ، أليس صحيحاً يا سيدتى ؟

ودون أن ترفع ثريا رأسها ، قالت : أيوة.

– إذن ده صحيح !

فقلت : إحنا مفيش مشكلة بينا سيدى القاضى إذا ما تركتنا أسرتها.

وحاول والد ثريا أن يعترض إلا أن المحامى منعه، وتفحص القاضى أوراق الدعوى ، وقال مرة ثانية : زوجتك طلبت الطلاق أكثر من مرة ، ماسألتهاش عن السبب ؟

فالتزمتُ الصمت ، فسأل ثريا : سيدتى ، فلتقولى للمحكمة ثانية أسباب طلبك للطلاق .

فقال محاميها : لو يسمح لى سيدى القاضى أتكلم أنا .

– اتفضل .

– إن موكلتى لا تطلب الطلاق بسبب بعض المسائل الأخلاقية ،إنما تطلبه بسبب مشكلة زوجها ، ومرفق بالدعوى شهادة الأطباء الدالة على عدم قدرته على الإنجاب . إنهما لم يتمكنا من الإنجاب – وهو حق مسلم لكل منهما – خلال الثلاثة أعوام التى قضاها مع موكلتى السيدة ثريا .

– معنى هذا أن سبب الطلاق هو الأطفال فقط ؟

– ده هو السبب الأساسى فى هذه الدعوى .

ووجه القاضى حديثه لى : ده حق مسلم لزوجتك ، ويبدو إنك ما تقدرش تقوم بيه .

وقلت وأنا أحاول أن أتماسك وأمنع نفسي من السقوط : لكن ده كذب .

-إيه هو اللى كذب ؟ فيه ثلاثة من الأطباء يؤكدون إنك عقيم ما تقدرش تنجب ، يعنى كلهم بيكذبوا ؟ لو كنت بتحب زوجتك لازم توضح إخلاصك.

- أيوة ، أنا باحبها ، ومش عايز أهدم حياتى .

ووجه القاضى حديثه إلى ثريا ، قائلاً : ابنتى ، إنتِ عايزة تنفصلى عن زوجك بس علشان خاطر الأطفال ؟

فقال محاميها : أهم أمنية للمرأة أن يكون لها طفل منها .

- نعم ولكن هل اتخذت قرارها فعلاً ، ولاّ بتعمل كده بس لمجرد العناد أو الإصغاء لمشاعرها ؟

- سيدى القاضى دى مش رغبة النهاردة أو إمبارح .

وكان واضحًا أن القاضى غير راض عن نتيجة الاستجواب، فوجه حديثه إلىّ : إنت عايز تضحى بزوجتك ؟ إنها شابة ، جايز تقدر تحقق أمنيتها فى ظل حياة أخرى جديدة ، ولما كانت دى رغبتها ما تقدرش تفرض رأيك ، ولكن لما كنا نفكر فى استقرار الأسرة ، هنمنحكم فرصة كام شهر ، ولو مراتك صرفت نظر عن قرارها ، تبدأوا حياتكم من جديد.

فقال والد ثريا معترضاً : فرصة تانى ليه ياسيادة القاضى ؟

قال القاضى : أنت ما تقدرش تصدر حكمًا يا سيد ، تعال واجلس مكانى . وأنا ما قدرش أصدر حكمًا غير منطقى إرضاءً لك .

وخرجت من المحكمة ، وبينما كنت أفتح باب السيارة أسرع والد ثريا إليّ ، وأخـذ ينظر إلى وجهى، وقال فى غضب : فضلت تتمسكن يا خويا، لكن خليك عارف إنى هطلّق ثريا منك ولو بعد ستين سنة ، ستة شهور أمر سهل ، إنت من البداية ماكنتش لينا ، اللعنة على أمك لأنها أتعست بنتى.

ومضيت إليه مسرعًا ، ومسكت بجيب قميصه غاضبًا ، وقلت : اتكلم عن أمى بس مرة تانية وإنت هتشوف اللى عمرك ما شوفته، للأسف إنك فى مقام والدى وإلا ... وسمعت صياح النساء من الخلف، يقلنّ : سيبه.

فتركت جيب قميصه ، فانشغل فى ترتيب هندامه ، وعدت إلى الوراء ، فكانت ثريا ، ونظر كل منا إلى الآخر للحظات، ثم استقليت السيارة بسرعة ، وابتعدت عن هذا المكان .

الفصل التاسع والعشرون

كنت أعلم أننى لو لم أوافق على الطلاق فى أسرع وقت سيزداد الوضع سوءاً عما كان فيه ، ولكن مع هذا لم أكن أستطيع أن أقنع نفسى . كنت أريد أن أستمر فى هذه اللعبة الحمقاء ، فكان ثمة شىء مرضٍ لى فى ذلك الحدث . شىء كأنه يرتبط بى فقط ، شىء يدل على أننى كُنت رجلاً ، وكان قد مر شهران من المهلة المحددة من قبل المحكمة، حتى جاءت ثريا إلى المنزل ، وسعدت كثيراً من رؤيتها ، وظننت أنها صرفت نظر عن رأيها، ومن فرط سعادتى ذهبت لاستقبالها ، لكن مقابلتها لى كانت رسمية فاترة :

- السلام عليك يا أرسلان .

- السلام عليكِ .

- إنت مضايق من رؤيتى؟

- ليه ؟ ده بيتك .

- لا ، ده مش بيتى دلوقتى .

فانطلق السؤال من فمى : طيب ليه جيتى هنا ؟

- علشان آخد حاجاتى .

فسألتها فى حدة : حاجات إيه ؟ إنت خدتى كل حاجة معاكى .

- أرجوك ، خليك منطقى ، فجميع أثاث المنزل وأمتعته ملكى .

- مين قال كده ؟

- إنت عارف .

- ولكننا ما انفصلناش عن بعض ، احنا لسه زوج وزوجة يا ثريا .

- آسفة ، أنا لم أعد أعتبرك منذ فترة زوجًا لي ، وإن كنت عايز تعرف الحقيقة ، فلتنتظر المهلة المحددة من المحكمة .

فقلت في عصبية : إنتِ عايزة إيه دلوقتي ؟

- إن أخي أمام الباب ، هوّ جه مع اتنين من أصدقائه لحمل متاعي .

- مجنونة ، اخرجي من البيت ده !

- اسمع يا أرسلان ، لقد تعدى الأمر بيننا الخجل ، لو كنت تأمل في إني هرجع لك تاني ، تبقى غلطان، احنا في جميع الأحوال هننفصل عن بعض ، إذن إيه الفرق لو أخذت أمتعتي دلوقتي أو أخذتها بعدين ؟

فقلت في فتور وبلهجة حادة : حسنًا ،أنا هصبر ، وعايز أشوف إيه اللي هيقوله القانون .

- القانون منحنيّ الحق ، وإنت عارف كده .

ومن صوت الشجار بيننا والعراك بالألفاظ ، صعد أبي وأمي ، وكف كلانا عن الشجار بمجرد رؤيتهما ، وطأطأت ثريا برأسها ، واستندت أنا كذلك إلى الحائط ، و احتضنت أمي سوزان ، وأخذ أبي ينظر إليّ مرة وإلى ثريا مرة أخرى ، حتى تحدث في النهاية وهو يتوكأ على عصاه، وكان صوته مثل ضربات العصا المحرقة : إيه اللي حصلكم؟ ليه بتتعاركوا دايمًا زي الديوك ؟ لو كنتم مضايقين من بعض للدرجة دي ليه ما تسيبوش بعض؟ وما يرحش كل واحد منكم لحاله ؟ ثم وجه حديثه إلى ثريا :

- بارك الله فيك يا بنتى ، إنت اتعلمت كويس أصول الحياة والزواج ، إيه التصرفات اللى بتعمليها دى ؟ أنتِ امرأة ، ومش مفروض صوتك يخرج من الشباك ده.

فقالت ثريا بأسلوب منفر : إنت تقولى ارجعى وبعدين تهينى ؟

- مين اللى هانك ؟ إنتِ دلوقتى عايزة إيه ؟

- أنا جيت آخد حاجاتى.

- والأكبر منك فين ؟

- أخى أمام الباب .

- أنا هنا يا حاج .

عدنا جميعًا للوراء ، وكان مجيد أخو ثريا ، ونظر أبى إليه برهة ، ثم قال :

- قُل لوالدك إنك راعيت حق الجيرة كويس ، هى دى المروءة ؟ ليه ماجاش علشان يحل مشكلة بنته؟

فقال مجيد دون اكتراث : مفيش مشكلة ، يا حاج لو الحكاية محتاجة الفتونة فأنا أعرفها كويس.

وهز أبى رأسه وقال وهو يبتسم فى مرارة : فتونة إيه يا بنى ؟ ليه تتدخلوا بين الشابين دول وتفسدوا عليهما حياتهما ؟

وتحدث مجيد بغلظة قائلاً : حياة مين ؟ فلتلق نظرة على أختى ، فحياتها بقت بكاء .

فقال والدى لثريا بهدوء : ليه بتبكى يا بنتى ؟ إنتِ لسه شابة، والحياة مليانة بالتعاسة والسعادة ، لازم تكونى زى الفولاذ الصلب ...

فقال مجيد متبرماً : لا توعظ يا حاج .

وغضبت من الطريقة غير اللائقة التي يتحدث بها ، فاعتديت عليه ووقع العراك بيننا ، وكنت أشعر وقتها أنني أملك في ساعدى قوة الجبل ، ولم أكن أفهم أى شيء آخر ، ولم يكن سوى صوت بكاء ثريا وصياح أبى وعويل أمي . ومضى مجيد تجاه الفناء ، وتبعته، واندفع الجيران إلى الفناء على أثر صوت الشجار بيننا ، وجاء والد ثريا أيضاً ، وحاول أن يفك العراك بيننا ، وبدلا من أن يبدأ الوالدان النقاش معًا ، التفت والد ثريا إلى أبى وقال : إنت مش خجلان من شيبتك ؟

فقال أبي في ثقة وهو يستند على عصاه : مفروض إنت اللى تخجل لأنك رفعت نقاب الأدب عن وجهك ووجه أسرتك ، وربيت ابنك وبنتك بالشكل ده .

– أنا اللى مفروض أخجل؟ سمعت بتقول إيه ياسيد ؟ روح ، روح وشوف فضائح ابنك اللى بتلف على كل لسان فى المدينة ، مش عيب لو كنت أخطأت ، دلوقتى عايز أصحح الخطأ ده ، أنا مش عايز بنتى تعيش مع راجل جاب معاه طفلة من بلاد الغرب ومش عارف هى بنت مين ، ويجبر ابنتي على أن تعيش معه وتأتمر بأمره ثم يأتى بعد ذلك ويقول إنها بنته .

فقال أبى ، وهو كالبنجر الأحمر : دى بنته .

ووجه والد ثريا الحديث إلى الحضور ، قائلاً : أنا ماكنتش عايز أجرحهم ، لكنهم هم اللى عايزين كده ، فابن السيد عقيم ، دلوقتى ممكن تقولوا إزاى يبقى أب ؟

وعلا همس الجميع ، ودارت الدنيا حول رأسى ، كنت أرى الأعين جميعها حول سوزان فقط ، كنت أريد أن تنشق الأرض وتبتلعنى ، لأننى

كنت أشعر تماماً بثقل هذه النظرات ، ودخلت أمي المنزل من فرط خجلها، وبدا الانكسار على أبي ، وكان الموقف صعباً لدرجة أن الجميع غادروا المكان الواحد تلو الآخر ، وجلس أبي ساكناً على الدرجة الأولى من السلم، وذهبت أنا في وادٍ آخر .

لا أعلم بدقة كم من الوقت مضى وأنا بمفردى ، حتى فتح بهدوء باب حجرتى غير المطلى ، وظهر على عتبته جسد أبي المنهك ، فجلست على السرير ، وجلس أبي أمامي ، وحينما بدأ الحديث كان صوته يرتعد من الحزن :

– ليه بقيت زى المصعوقين ؟ هي دى نهاية الدنيا يا بنى ؟ لا تخجل، فأنت ابنى . هل ترتضى هذه المهانة ؟ كان لازم تتحرى عنها الأول ، فلو كانت وضيعة فدعها ، هل البنت دى مهمة بالنسبة لك للدرجة دى ؟ أنا مش مستعد تاني أتقبلها على أنها عروس البيت ده ، وأعيش معها تحت هذا السقف .

وكنت أحاول كبح جماح دموعي في الظلام ، وأنتظر في قلق رحيل أبي عني على وجه السرعة .

– كل ده حصل بسبب عدم معرفتي بأمورك ، بسبب تطلعاتك ، وفي المقام الثانى بسبب تجرؤ أمك ، لأنها كانت بتشوفك دايماً أكبر من اللي إنت فيه .

فسألته بصوت حزين : لو كنت مكاني كنت عملت إيه ؟

– لله الشكر إني مش مكانك ، ولكن لو كنت كذلك ما كنتش سمحت لهم يقولوا الأباطيل دى فى حقى . اسمع وافهم اللى هقوله يابنى، أنا بشوف عينيك فى وش بنتك ، دى بنتك ، حفيدتى ، حفيدتى

الوحيدة من ابني . أنا كمان زيك أظن أنهم قد أخطأوا ، وأنا مستعد لدفع كل نفقات السفر لإثبات صحة ظننا ، روح أوربا ، ولكن قبل كده ، طلق هذه الفتاة سليطة اللسان غير اللائقة ، ودعها تأخذ ما تريده من متاع . لو حبست نفسك ، إنت الخسران، إنت راجل ، والراجل ما يسلمش أبداً.

وتركني أبي ، وكان الحق معه ، لقد كنت خائفًا ، خائفًا من أن يكون - لا قدر الله - هذا الكلام صحيحًا . و الآن وأنا أفكر بطريقة أفضل، أضحك على نفسي . من أي شيء كنت أهرب ؟ من شيء من المحتمل أن يكون لديّ ؟ من عيب طبيعي ؟ من القدر ؟

- لا أعلم كم من الوقت ؟ ولكن كثيراً ما كنت ألوم نفسي بسبب جهلي بكل أموري . والموضوع أنني كنت أشك في داخلي في كيت ، فلم تكن تمثل لديّ صورة المرأة المخلصة لذلك كنت متردداً في قبول هذه المسألة .

- كنت أخاف إذا ما اتضحت الحقيقة ، ما الذي يجب عليّ أن أفعله ؟ أيجب أن أقدم الفرصة للآخرين كي يضحكوا على حماقتي حتى آخر العمر ؟ وكان تذكر هذا الموضوع يعذبني ، ومن ناحية أخرى كنت أشعر بكياني كله أن سوزان ابنتي . وعلى الرغم من أنها كانت تشبه كيت ، إلا أنها ابنتي ، مالكة قلبي ، فهي آمالي التي لم تثمر بعد ، كنت أريد أن أسعى لإثمارها .

واختليت بنفسي ثمان وأربعين ساعة ، ولم أتناول شيئًا خلالها سوى الماء ، وفكرت كثيراً حتى اتخذت قراري بصعوبة ، واتصلت بمحامي ثريًا ، وأخبرته بموافقتي السريعة على الطلاق .

وذهبنا إلى المكتب ، وانفصلنا عن بعض فى هدوء وبساطة ، واسترد كل منا خاتم الزواج الخاص به ، وكان ذلك قرب نهاية العام، وكان بداية عام جديد من القلق والضيق .

وتحركت سيارة والد ثريا ، وكانت ثريا تنظر إلىّ بنظرات خاطفة وأنا كذلك ، وأقسم أن السبب الرئيسى لقبولها الطلاق هو الحفاظ على حرمة أسرتها وليس الأطفال.

الفصل الثلاثون

كانت الأوقات التى أخرج أو أدخل فيها المنزل هى الأوقات التى لا أقابل فيها أحداً من الجيران ، ومع ذلك لم يمكننى تجنب ذلك دومًا ، وذات يوم قابلت ثريا وجهًا لوجه ، فأحمر وجهها ، كما اضطرب قلبى بخفقات سريعة ، وقد زادت من سرعة خطواتها ، بينما وقفت حتى تبعد ثم سلكت طريقى . كان الجميع يتعاملون معى مثل طاعون ويتهربون منى ، حتى الجيران الآخرين، فكانوا قد صدقوا شيئًا فيّ كنت لا أزال متردداً فى قبوله.

ولكن على أية حال فقد سافرت إلى أوربا، وقد صحبنى أبى وأمى وسوزان إلى المطار ، وقبلت سوزان ، وتركتها مع أمى التى وضعت فى جيبى مصحفًا صغيراً ، وطلبت منى أن أهتم بنفسى وأتوكل على الله ، كما قال لى أبى أن أثق فى نفسى وأطمئن . وتوجهت بدعاء الخير منهما وبتشجيعهما الكافى إلى إنجلترا ، إلى الدولة التى قضيت فيها أيام شبابى .

حينما هبطنا مطار لندن كان الجو ليلاً ، وكالعادة كان جو لندن بارداً ملبداً بالغيوم ، وتوجهت على الفور إلى الفندق ، وحجزت غرفة، ونزلت فيها ، وتناولت العشاء ليلاً دون نفس ، وخلدت إلى النوم يساورنى العديد من الأفكار . وحينما استيقظت من النوم كانت الساعة قد تعدت العاشرة ، وذهبت إلى عيادة الطبيب ، وانتظرت فترة حتى دخلت إلى حجرته ، واستمع إلى حالتى ثم كتب التحاليل اللازمة وقمت بدورى بإتمامها ، وانتظرت النتيجة وأنا فى شدة القلق عشرين يومًا ، حتى

جاء الموعد المحدد ، وذهبت بالتحاليل إلى عيادة الطبيب ، ونظر الطبيب أكثر من مرة على نتيجة التحاليل ، ثم نظر إلىّ ، وكان الماء قد جف في فمي :

– سيد وفائي ، للأسف ، لقد شخّص أطباؤكم الحالة بصورة جيدة، لديك عيب في القدرة على الإنجاب ، أتوجد مثل هذه الحالة في أسرتك؟

قلت وأنا لا أصدق ما أسمعه : لا يا دكتور، لا أبي ولا عمي ولا أي شخص.

– إذن فأنت سيئ الحظ ، لأنك مش هتقدر تنجب أبداً .

– لكن أنا عندي طفلة ، بنت !

– ده مستحيل .

– إزاي .. إزاي ده ممكن ؟

– اسأل مراتك ، أنا بقول إنك عقيم .

وكانت قدماي ترتعد ، وكأن الدنيا كلها تعرف هذا السر، ونهضت من مكاني.

وتأثر الطبيب من حالتي ، وقال :

– اسمع أيها الشاب ، أنا أقدر أقدمك إلى أحد الأصدقاء المتخصصين ، فهو أستاذ ، ورده في الحالة دي هو الرد الحاسم .

وأخذت عنوان الأستاذ المذكور، وخرجت من العيادة وأنا أشعر وكأنني سأصاب بالسكتة ، حيث ألم بي جزع ودوار شديدين .

وذهبت إلى البروفيسور برنـارد ، لكنه رد عليّ بنفس الرد ، كـنت أود أن أموت ، وأخذت تتـردد جملة فى ذهنى دون توقف : سـوزان مش بنتى ، سوزان مش بنتى .

وشعرت حقًا بأننى قد خدعت ، ولم أكتف بردود هذين الطبيبين، وسـافـرت إلى فـرنسـا وألمانيـا ، واسـتـشـرت أطبـاء آخـرين مـاهرين ، وبالتـأكيد كـان ردهـم نفس الرد السـابق ، وعدت إلى إيران بعد مـضى ثلاثة شـهور، وتوجـهت إلى منزلى دون أن أحـيطهم علمًـا بوصـولى ، وحبست نفسى ثانية فى الحجرة، وكـأن قلبى قـد تحجر حتى إننى لم أستطع البكاء مرة أخرى ، ولم يؤثر فىّ بكاء أمى خلف الباب ، ولا حتى صياح أبى وطرقه على الباب بعصاه حتى أفتح له . كنت أشعر أن الدنيا انتهت بالنسبة لى ، ويجب أن أنهى حياتى ، وأمسكت بسكين وكدت أن أطعن به قلبى ، لكننى تنبهت لنفسى وقلت : يجب أن يطعن هذا السكين قلب كيت ، أو على الأقل يجب أن أرى مـوتـهـا قبل أن أمـوت ، يجب أن آخذها معى إلى جهنم ، فقد كانت سببًا لتعاستى وانكسارى.

وكانت نار الانتقام تشتعل بداخلى وتحرقنى ، فألقيت بالسكين على الأرض ، وفكرت : ليه مـا فكرتش هنـاك فى الفكرة دى ؟ وهمست : لازم أسـافـر ، لازم أسافر . وفـى نفس الوقت تداعى أمـام عينى كل من كان يتردد علينا فى إنجلترا ، الواحد تلو الآخر ، كنت أشك فيهم جميعًا ، وعلى رأسـهم فرانك، كنت أريد أن أعرف سوزان ابنة من ؟ وأى شخص هذا الذى جلب لحيـاتى العار؟ وفى نهاية اليوم الثانى من عودتى إلى إيران، خرجت من حجرتى ، وعيناى غائرتان إلى الداخل وأشعر بضعف شـديد ، وكـان أبى وأمى وسـوزان يـجلسـون على المائدة حـينمـا دخلت عليهم ، ومـا أن رأتنى أمى حتى قامت :

– يا إلهـى ، أنا فداك يا بنى ، بالتأكيد إنت جعان، هروح أجيب لك طبق.

وجلست على أقرب كرسى والتزمت الصمت حتى أحضرت أمى الطبق، ووضعت فيه الطعام لى ، وكانت نظراتى إلى سوزان حائرة ، فاقتربت منى، وقالت : إنت مريض يا بابا ؟

فحركت رأسى وصمتُ ثانية.

– انت جعان ؟

فأجبت برأسى مصدقًا على كلامها ، وبيدها الصغيرة مسكت سوزان يدى وحملتها على المائدة ، فهى الوحيدة التى تجهل الحقيقة . وكان أبى يطأطئ برأسه ، ولم أكن قد رأيته قط بمثل هذا الانكسار ، ولم تكن لى شهية للطعام ، ولكن يجب أن آكل ، وقلت فى نفسى : أنت فى حاجة إلى القوة لتنفيذ ما اتخذته من قرار ، لذا تناولت الطعام عنوة. وبعد تناول سوزان لعشائها ، قبلت ثلاثتنا وألقت علينا تحية المساء ، وتوجهت إلى حجرتها . وحينما استغرقت فى النوم ، جاءت أمى إلينا وكنت أنا ووالدى حتى ذلك الحين فى حالة من الصمت ، وسألتنا وهى تدخل علينا : تفتكر إنها فاهمة حاجة يا أرسلان ؟

فقلت دون مبالاة : ما تفرقش معايا .

سأل والدى : ليه ؟

– لأننى فهمت مؤخراً إنها مش بنتى ، ورعايتها من الأصل بعيدة عن المنطق .

– إنت عايز تعمل إيه ؟

فتراجعت للخلف ، وقلت : هرجعها لنفس المكان اللى جت منه .

فقالت الأم في حيرة ودهشة : هترجعها ؟ بنتك ؟

فصحت : هي مش بنتي يا أمي .

قالت الأم : لو مش بنتك ، تبقى بنت مين ؟ وإنت عايز تسيبها لمين ؟

قلت في هدوء بينما كنت أرتعد من الداخل : هسيبها في أحد الملاجئ .

– وإنت ؟ هتقعد هناك ؟

– لا يا أمي ، هرجع .

وبدأ بكاء أمي وقالت : إنت عايز تسيبها لوحدها ؟ هو مفيش في صدرك قلب ؟ أنا بحبها زى روحي .

– لكنها مش حفيدتك يا أمي ، إنت فاهمة ده ؟

وتدخل أبي ، وقال : دلوقتي إنتِ هتحط غلك على الطفلة دى ؟

– أنا مش زعلان يا أبي ، الموضوع هو إنها مش بنتي .

– إنت قبلت الحقيقة دى وتقدر تشيلها من قلبك ؟

قلت : أيوه، وبسرعة هرجعها إنجلترا ، ومش هبخل عليها بالمساعدة المالية .

– ليه ما تسيبهاش في أحد الملاجئ هنا ؟

فصحت : لأن ده هو ذنبي ، وهنا هيكون دايمًا أمام عيني .

– ده ذنبك ، ففي اليوم اللي اتجوزت فيه من أجنبية كان لازم تفكر كويس.

– بتلومني يا أبي ؟

– إنت جبان أحمق ، عايز بس تجذب شفقة الآخرين ، الطفلة دى ذات الثلاثة أعوام ، أكلت طعامها معنا ، وتربت على إيد والدتك وهى مرتبطة بنا ، وتعتبر أمك جدة لها .

– معنى حديثك أنكم مش هتقدروا تتخلوا عنها ؟

– عايز تعرف ؟ كويس أوى ، أنا رافض الكلام ده ، أنا بحبها ، ومقدرش أصدق الحقيقة دى .

واحتبست الدموع فى عين والدى، وتابع حديثه : خليها هنا، خلينى أسعد قلبى العجوز بحفيدتى ، دى بنت جميلة وذكية .

وكانت أمى تبكى هى أيضًا ، فأجبته بقسوة قائلاً : لا ، هى مش بنتى ، وإصراركما ما لوش فايدة ، وقد رتبت أمورى .

ومضى أبى إلى حجرته يائسًا ، وملأت كوبًا بالماء ، وشربت، وقبل أن تنطق أمى بكلمة ، قلت لها : ربما يطول سفرى يا أمى، فلا تقلقا.

فقالت أمى فى حزن : ولدى ، أنا عارفة إنك خدت قرارك ، لكن فكر تانى ، مش مفروض تاخد قرارك فى عجالة ، فكل شىء مرهون بقرارك. فكر فى الغد ، البنت دى ممكن تكون سند ليك هى بتحبك جداً ... فكر فى إنك تربيها إرضاءً لله سبحانه وتعالى .

– أنا مش هعمل كده ، وإيه اللى هقوله للناس وللعائلة ؟

– الناس بيتكلموا دايمًا يا حبيب أمك ؟

كانت أمى تبكى فقط ، ونظراتها على إحدى صور سوزان ، لم أكن أرغب فى الخنوع لرغبة أمى ؛ لذا صعدت إلى حجرتى دون كلام .

الفصل الحادى والثلاثون

لم يستطع أى منا أن يقول لسوزان إنه يجب أن تتركنا إلى الأبد ، وكل ما قلناه لها إنه يجب أن تبعد عن البيت لفترة . وفى يوم الوداع كان أبى وأمى يبكيان :

– ليه بتبكى يا جدتى ؟

– علشانك يا بنتى ، قلبى بيتألم لفراقك .

– وأنا كمان ، لكنى أوعدك إنى هرجع فى أسرع وقت مع بابا .

واحتضنتها أمى بشدة ، ولم ينقطع الدمع من عينيها اللحظة ، ثم مضت سوزان إلى حضن أبى :

– جدى ؟ إنت مش قلت إن الراجل لا يبكى ؟

– نعم يا بنتى !

–إذن ليه بتبكى ؟

– لأننى .. لأننى شيخ هرم ، ولو كنت شاباً مثل أبيك لما بكيت .

وكان كلام أبى مثل جرح السيف ، فهو يقصد أننى بدون قلب فى صدرى ، وتمالكت نفسى بصعوبة ، وسلكت الطريق مع سوزان بعد وداع أبى وأمى، وفى الطائرة قالت سوزان :

– بابا ؟

– أيوه !

– الوضع هناك شكله إيه ؟

– جميل جداً ، إنت اتولدت هناك ، إنتِ إنجليزية ، وأنا متأكد من إنك هاتكوني سعيدة هناك .

– يعني أجمل من منزل جدي ؟

وقلت بعد انتظار لفترة قليلة : أيوة ، أجمل ، أي مكان يعيش فيه الإنسان يكون جميل ، إنتِ هتتعودي عليه .

– ولكننا هنرجع .

ولم أرد عليها ، لم أكن أرغب في أن تسمع الحقيقة من لساني ؛ فبعد فترة سوف تتفهم الحقيقة بعد ما تيأس من قدومي .

وبعد فترة ، وصلنا إلى إنجلترا ، وأخذت أخطو خطواتي بشكل سريع بينما كنت أمسك يد سوزان في يدي ، وكانت تلهث ورائي تقريباً ، حتى وصلنا في النهاية إلى الملجأ ، وكان الأطفال منهمكين باللعب في الفناء، فأشرت إليهم ، وقلت لسوزان : كل دول من نفس سنك لازم تكوني معاهم .

واضطربت سوزان من رؤيتها لكل هؤلاء الأطفال ، وقالت : لازم أفضل هنا لغاية ما ترجع ؟

– أيوه.

فقبلتني وقالت : أكيد جبتني هنا علشان ماحسش بالملل ؟

وتركتها في يد المدرسة ، فقالت لي : إنت عارف القوانين ؟

– أيوه.

– كويس ، لو كنت هتسيبها لنا للأبد لازم تقلل من زيارتك ليها . فالأطفال حساسون جداً ، وطبعهم متقلب .

ونظرت إلى سوزان التى سرعان ما اندمجت مع الأطفال، وتوجهت إليها وقبلتها فى شعرها ، وكان جميع هؤلاء الأطفال إما من المتشردين أو ممن فقدوا من يرعاهم ، واحترق قلبى من أجل سوزان، وخرجت المربية معى ، فقلت لها : سيدتى ، سوف أحول نفقات سوزان على رقم حسابكم ، أرجوكى ، خلى بالك منها .

– اطمن .

– من فضلك وفرى لها كل طلباتها ، ما تقلقيش من ناحية المصاريف .

– اطمن .

وخرجت من الملجأ مستاءً ، وأقسمت أن أنتقم لسوزان .

هناك كنت فى إحدى الدول الأوربية ، لذا لم يكن من الصعوبة بمكان شراء السلاح ، وتمكنت فى أسرع وقت من شراء مسدس كاتم للصوت ، وكذلك بضع رصاصات ، وحاولت اقتفاء أثر كيت ، فذهبت إلى عنوانها الذى أعرفه ، لكنها كانت قد انتقلت من هذا المكان ، وباعت المنزل الذى كنا نعيش فيه معًا . ولم يعلم صاحب المنزل الجديد أى شىء عنها ، وذات ليلة أخذت أفكر حتى الصباح حتى عزمت على إمكانية معرفة طريقها عن طريق فرانك ، وعلى الرغم من أننى كنت متعطشًا لدماء فرانك، ولكن ليس لدىّ حيلة للعثور عليه . وتوجهت إلى شركته ، لكنه لم يكن موجوداً أيضًا ، وقال أصدقاؤه إنه سافر لقضاء العطلة ، ولم أكن أعرف أى مكان يجب أن أتعقبهما فيه .

من ناحية أخرى كنت فى عجلة من أمرى بحيث إننى لم أستطع أن أصبر حتى عودة فرانك، وذات ليلة تقابلت مع شخص فى أحد المطاعم

بوسط المدينة ، وهو الذى قد لفت نظرى فى البداية إلى فرانك ، وكانت آليس زوجة فرانك السابقة ، وفى الواقع هى التى عثرت علىّ :

– أرسلان ؟ ! بتعمل إيه هنا ؟ سمعت إنك غادرت إنجلترا مع بنتك!

– آليس !

ولم أسعد من قبل قط برؤية أى شخص مثلما سعدت هذه المرة ، وهذا ما ذكرته :

– أنا مندهشة جداً يا أرسلان .

– وكم أنا مندهش أيضاً ! إنتِ هنا ؟

– لا تتعجب ، المكان ده قريب جداً من بيتى ، وغالبًا ما أتناول عشائى هنا .

– إذن فلتتناوليه معى .

– على الرحب والسعة .

وسحبتُ مقعداً لها ، وجلست أمامى ، ثم نظرت إلىّ وقالت :

– تعرف ؟ إنت ما تغيرتش أبداً . لسة جذاب زى ما كنت ! أنا مش عارفة إزاى كيت فضلته عليك .

– فضلته ؟

– إنت مش عارف ؟ أوه ، نسيت إنك ما كنتش موجود هنا وإنك ما تعرفش حاجة.

– ما عرفش إيه ؟

– إنها اتجوزت فرانك .

– مين ... فرانك ؟

– أيوه ، ما تتعجبش ، ده كان متوقع بعد طلاقها السريع منك ، ماتزعلش، هم مش هيستحملوا بعض كتير ، وده اللي هيثبتوه ليك.

واستقر العرق بارداً على جبهتي ، ومرة أخرى تحول شكي إلى يقين، بأن سوزان ابنتهما ، وتنبهت آليس لتغيري ، فسألت : إنت كويس؟

– أيوه .. أيوه شكراً .

– حسنًا ، فلتقل لي ، كيف حال بنتك ؟ لازم بقت آنسة جميلة دلوقتي ، اسمها إيه ؟

– سوزان .

– أيوه ، صحيح ، فين هي دلوقتي ؟

– في مكان كويس .

– أنا متأكدة من كده ، وإنت بتعمل إيه ؟

وأشعلت سيجارة ، وعزمت عليّ ، وأخذت أنا أيضًا سيجارة ، وأشعلت الولاعة ، ثم أشعلت سيجارتي ، وكانت تنتظر ردى ، فقلت : أنا بشتغل في إيران .

– في إيه ؟

– في التجارة.

– كويس ، إنت راضي عن عملك ؟

– أيوه .

– حقيقي أنا سعيدة .

وانتهى العشاء بيننا ونحن فى صمت، واصطحبتها إلى منزلها، وجعلت محور الحديث بيننا فى الطريق حول فرانك وكيت :

– إنتِ .. ما تعرفيش عنهم حاجة ؟!

فضحكت ، وقالت : أنا فاهمة مشاعرك كويس ، فهى شبيهة بمشاعرى فى الأيام الأولى لانفصالى عن فرانك ، وعلى أية حال فقد كانت زوجتك فى يوم ما .

– أشكرك لأنك تفهميننى .

– حسنًا ، همّ اتجوزوا حديثًا .

– ودلوقتى همّ فين ؟

– أنا ما عرفش بالضبط ... أعتقد أن إحدى صديقاتها قالت لى إنهما ذهبا إلى فيلا فرانك على ساحل البحر لقضاء العطلة .

وقلت وأنا حزين لتذكرى بعض الذكريات السابقة : هى نفس الفيلا اللى أخذت كيت مفتاحها لقضاء شهر العسل معى ، وقالت لى وقتها إنها ملك زوج إحدى صديقاتها .

وأمام المنزل قالت أليس : سامحنى ، أنا ما كنتش عايزة أضايقك، إنت اللى حبيت تعرف .

فسلمت عليها وقلت : إنتِ ساعدتنى أكثر مما تعتقدين .

وودعنا بعضنا ، ولم أبعد عدة خطوات حتى نادتنى :

– أرسلان ؟

– ليه طلبت عنوانها ؟

كنت أعلم أن آليس ليست غبية ، فهى شرطية ، وتشك فىّ ، لذلك قلت :

– فقط على سبيل الفضول ، فهمتى إيه ؟

فابتسمت وقالت : تصبح على خير .

الفصل الثانى والثلاثون

وفى طريقى إلى فيلا فرانك ، قتلتهما مائة مرة فى خيالى ، وأحييتهما ثانية ، فمن وجهة نظرى أن قتلهما مرة واحدة لا يكفى ، يجب أن أعذبهما ، وأن يكون عذابهما بذلك القدر الذى يطفئ نار قلبى ، النار التى كانت تشتعل حتى أحرقانى بها ، لقد حرقا فى هذه اللعبة الأبله والظالم ، البرىء والمذنب !

وعلى أية حال فقد وصلت إلى هناك ، وكانت الفيلا هادئة صامتة، كان يسمع فقط أصوات أمواج البحر ، ودخلت فناء الفيلا بهدوء ، ونظرت إلى الداخل عبر النافذة فما من خبر ، وكأن المكان قد خلا من الأشخاص، وفتحت الباب بهدوء ، ودخلت البيت ، ومع دخولى الفيلا تداعت الذكريات فى خاطرى ، وفكرت كم كانت كيت من الدناءة التى جعلتها تأتى لقضاء شهر العسل إلى نفس المكان الذى قضت فيه معى شهر العسل ، وهذا ما زاد استيائى منها ، وجلست منتظراً عودتهما وأنا فى غاية القلق حتى وصلا ، ونظرت من خلف النافذة ، فرأيت فرانك يضع يده حول كتفى كيت، بينما كانت كيت تضحك كعادتها ، وأعددت مسدسى ، ووقفت منتظراً حتى يدخلا البيت . قال فرانك لكيت : هاغسل رجلى لغاية ما تخلصى القهوة ، إنتِ ما تحبيش أدخل البيت برجلى الوسخة دى ؟!

ودخلت كيت البيت ، ودون أن تنظر حولها توجهت إلى المطبخ، وبعدها بلحظات دخل فرانك :

– كيت ، القهوة جاهزة ؟

- أيوه ، هاجيبها حالاً .

لم تتغير كيت تماماً مثل فرانك ، وخرجت من المطبخ، وأثناء مرورها بجوار فرانك قبلها ، وكنت مختبئًا فى أحد الأركان ، أنظر إليهما، كان المسدس يرتعش فى يدى ، وفي الواقع لم أر فى نفسى الشجاعة لإطلاق الرصاص . وجلس كلاهما في وضع متقابل ، وخرجت من ركن الحجرة المظلم ، وحاولت أن أكون هادئًا :

- السلام عليكما أيها الرفقاء .

وأدار كل منهما رأسه ناحيتى ، وتملكتهما الدهشة برؤيتى .

- زواج سعيد ، أنا شوفت إنى لو ما جتش أهنى مش هتكتمل الصحبة .

فقام فرانك غاضبًا وتوجه ناحيتى ، فسحبت المسدس وصوبته نحوه :

- ما تقربش ، إنت عارف إن ده مش لعبة ، ده مليان ، يكفى خطوة واحدة بس .

ووقف فرانك مكانه ، ووضع يده في جيب البنطلون ، وتظاهر بالتماسك قائلاً :

- بتعمل إيه هنا ؟

- الواحد ما يتكلمش مع أصدقائه القدامى بالشكل ده ، مش من الأفضل لو قدمت لى فنجان قهوة بدلاً من الاستقبال الحار ده ؟

وكانت كيت ترتعد كالدجاجة ، فوجهت المسدس ناحيتها ، وقلت : كما تقول آليس ، الدنيا يا ما فيها عجائب يا كيت ، لعلك لا تعرفيني ؟

وتوسط فرانك بيننا ، وقال : شوف يا أرسلان ، هى ما كنتش تقدر تجلس تحت رجليك لغاية آخر لحظة فى عمرها .

فقلت فى عصبية : اخرس يا فرانك ، كان واضح من البداية بتخططوا لإيه، وعلى أية حال تحملا ذنبكما .

– طيب إنت زعلان من إيه ؟ كنت تقدر تخبط على الباب وتدخل بدل ما تدخل البيت بدون استئذان أو مقدمات .

– إنت غبى يا فرانك ، وبتتخيل إن أنا كمان غبى ، أخبط على الباب وأستأذن علشان أقتلكم ؟

فقال فرانك وهو يبتسم من شدة الخوف : إنت ما تعملش كده، أنا متأكد .

– إنت فاكر إيه ، إنى ما عنديش الشجاعة لكده ؟

– الموضوع مش كده ، تعرف ...

– خليك واقف مكانك وإلا أطلقت عليك الرصاص .

وصاحت كيت : إنت عايز إيه مننا ؟

قلت مبتسمًا : أخيرًا تملكك الغضب ! أنا مستعجل أكتر منكم فى إنهاء الأمر .

ثم أبديت غلظة، وتابعت حديثى : أنا النهاردة هاقتلكم الأول وبعدين أقتل نفسى .

قال فرانك : إنت اتجننت !

قلت : أيوة ، اتجننت ، وأنتم اللى جننتونى ، إذن إنتم كمان مجانين ، ومن الأفضل نموت إحنا التلاتة .

- اصبر دقيقة ، إنت بتتكلم عن إيه ؟ أنا حبيت كيت ، واقترحت عليها الجواز بعدك ، ودلوقتي إحنا زوج وزوجة ، مش كده يا حبيبتي ؟

وابتسمت كيت له ، وقالت : أيوة ! لكن أنا مش فاهمة، إيه علاقة الموضوع ده بيك ؟

فقلت في استهزاء : لقد خدعتني بنظرتك دي ، ولكن كان ده لمرة واحدة ومش لمرات عديدة . إنتم عارفين أنا بتكلم عن إيه ، وإن كنت ما قتلتكوش من اللحظة الأولى فده علشان تعرفوني ليه عملتم كده معايا؟

فسأل فرانك : أي عمل ؟

- جميل ! كنت أعتقد أن الإنكار صفة النساء بس ، فعلى الأقل اثبت إنك راجل ولو مرة .

فسأل فرانك وهو يضيق عينيه : بتتكلم عن إيه ؟

فصحت غاضباً : عن سوزان .

فتعجب فرانك وقال : سوزان ؟ سوزان مين ؟ من فضلك ، اتكلم علشان أعرف إيه الموضوع.

- إنت عارف ، عارف كويس إنها بنتك بالتأكيد كنتم بتضحكوا عليّ طول المدة دي، مش كده ؟ ومافاتتش وقت طويل وشاركتكم معرفة أهم سر في حياتكم .

فقال فرانك في غضب : ده غباء . سوزان بنتي ؟ إنت مجنون ، صحيح إني حبيت كيت لكن ماكنش ليّ علاقة بها أبداً من النوع ده، قولي له يا كيت .

– إنتم عارفين كويس إنكم بتتمسكنوا، لا شك أنكم بتعتقدوا إني جاهل بأصل الموضوع ، وعلى أية حال " القمر لا يبقى خلف السحاب" ، وكنت هافهم إن آجلاً أم عاجلاً ، ولكن اللي مش قادر أفهمه ليه عملتم كده معايا، هل ماتت العاطفة فيكما حتى تتخليان بالشكل ده عن بنتكما؟

قالت كيت في لهجة قاطعة : الطفلة بنتك يا أرسلان .

– بتتكلمي زي الكلب الكاذب ، إنتِ فاكرة إني طفل ؟ لقد تزوجت ثانية خلال الثلاثة أعوام الماضية وعرفت إني مش هقدر أكون أبًا في أي وقت أبداً.

وتحول نظر فرانك إلى كيت وأمعن النظر إليها ، وكأنه يجهل هذا الموضوع بالفعل ، فقلت : هي لبستك الطاقية إنت كمان ؟

ودون أن يهتم بما قلت ، وجه حديثه إلى كيت : اتكلمي ، قولي إنه بيكذب.

قلت : إذن واضح إن الست اللعوب دي ماكنتش وفية لك إنت كمان، جميل.

وجاء فرانك ناحيتي وصاح : كلب قذر ، إنت بتكذب .

فوجهت مسدسي إليه ، فوقف في مكانه ، ثم أخرجت أحد تقاريري الطبية من جيبي ، وألقيتها أمامه :

– خذ ، اقرأ ، ده رأي واحد من الدكاترة هنا .

وأشعلت كيت سيجارة ، وجلست في فتور ، وجلس فرانك فوق المقعد بهدوء بعد إطلاعه على النتيجة، فانتهزت الفرصة ، وقلت :

– جميل جداً ، اعذروني لو كنت أفسدت عليكم سعادتكم القليلة ، والآن أتوجه إلى أحدكما ، وأخذت كيت نفسًا عميقًا من السيجارة ، وقالت : وبعد ما فهمت ! هتعمل إيه معايا ؟

وغضبت من فتورها ، وهجمت عليها ، ووضعت المسدس فوق رأسها، وسحبت شعرها للخلف ، وقلت :

– قذرة بلا حياء ، إنتِ لعبتِ بشرفى ، ودلوقتى ما عندكيش حاجة تقوليها؟ قولى لى ، الطفلة دى بنت مين ؟

– إيه الفرق ؟ ففى كل الأحوال هتقتلنى !

– نعم هاقتلك ، لكن معاه .

– طالما إنك عرفت كل ده ، فاعرف بقى الباقى .

فسحبت شعرها بقوة ، وقلت : اتكلمى ياعديمة الإحساس ، يكفى فقط أن أضغط على الزناد .

فقال فرانك متوسلاً : اتكلمى يا كيت .

وكانت كيت ترتعد تحت يدىّ ، لكنها لم تتفوه بكلمة ، فقررت أن أقتلها . وفى تلك اللحظة بالضبط بدأ المنزل يهتز ، وسقط المسدس من يدى ، ولم أتمكن من السيطرة على نفسى ، وصاح فرانك: زلزال ، لقد وقع زلزال ، يجب أن ننقذ أنفسنا يا كيت .

وجاء ناحية كيت ، ولكن فجأة سقطت الأنقاض فوق رأسيهما، وكنت أرى سقوط الأنقاض حيث وقع بعضها على رأسى ، ولم أفهم شيئًا بعد ذلك، وفقدت الوعى .

بالفعل لا أعلم كم من الوقت مضى وأنا فاقد الوعى ، ولكن حينما فتحت عينى ، كان الجو ليلاً ، وكان كل جسدى يؤلمنى ، وكان فرانك وكيت ملقيين على الأرض أمامى بجوار بعضهما ، ووضعت رأسى على صدر كل منهما ، فوجدتهما قد فارقا الحياة . كلاهما مات ، دون أن أعلم اسم والد سوزان ، وحينما خرجت من بين الأنقاض بصعوبة ، رأيت الأوضاع على نحو آخر ، فكانت قوات الإغاثة تقدم العون ، وما أن رأونى حتى اندفعوا إلىّ مستفسرين : أيوجد شخص آخر بالبيت ؟ وأجبتهم : نعم ، اثنان ، ولكنهما فارقا الحياة .

لم أرغب فى أن أفصح عن شخصيتى ، لذلك تركت الميدان بعد ما ذهبوا لانتشال الجثث . وأوصلت نفسى إلى المدينة يائساً تعيساً وكان نبأ الزلزال قد وصل هناك ، فتوجهت إلى الفندق ، وبمجرد دخولى الحجرة ذهبت إلى الحمام فوراً ، وكنت أحاول النوم . ربما أقول إن الفرصة سانحتنى ، وأن كلاً منهما قد نال جزاءه . لقد انتقم الله لى منهما فى اللحظة الأخيرة ، ولم يدع يدى تتلوث بدمائهما ، ولكن بعض مما حدث كان يؤلمنى وهو أننى لم أعرف فى النهاية الحقيقة . لا أعلم ، ربما كانت المصلحة في ذلك ، ولم يعد لى عمل آخر هناك ، لذا ذهبت ثانية لرؤية سوزان من بعيد، وكانت تجلس فى أحد الأركان ، وتنظر إلى لعب الأطفال ، كنت أعلم أنها تجلس فى انتظارى ، ولكن ما من فائدة ، فأنا لست أباها ، وسوف تفهم هذه الحقيقة آجلاً أم عاجلاً ، وبعدت عن المكان وعيناى مفعمة بالدموع وقلبى مملوء بأمنيات السعادة لها ، وكان هذا هو العمل الوحيد الذى أنجزته ، وعدت إلى إيران ، وبعد ذلك بعدة أيام وقع حادث غريب.

الفصل الثالث والثلاثون

بالتأكيد أننى فعلت الصواب حينما أعدت سوزان إلى بلدها ، فهى مرتبطة بهذا المكان ، فجلدها ولحمها وعروقها وعظامها ملك هذا البلد. وإذا ما ظلت فى إيران فكانت ستعرف الحقيقة فى وقت ما وتنهار، ولكن هناك يختلف الأمر ! فمثل هذه الأشياء ليست مهمة هناك ، حيث إنها تحدث هناك عدة مرات كل يوم . بالتأكيد أننى حينما عدت إلى إيران بدونها ، كنت قد تركت نصف وجودى ، وكأننى لم أجد نفسى ، ولكن لم يكن هناك من حل سوى أن أبعد عن هذه الحقيقة .

ومرة أخرى عدت إلى إيران جاهلاً ، وفى مطار طهران ، استقليت سيارة ، وتوجهت إلى المنزل ، وحينما وصلت إلى هناك ، وضعت المفتاح بحذر فى الباب ، وكان البيت مظلماً ، لم أكن أرغب فى أن أفسد صمت المكان ، لذا توجهت فى هدوء دون صوت إلى السلم ، ولكن قبل أن أضع قدمى على الدرجة الأولى، فُتح باب منزل أبى ، وظهرت أمى :

- إنت جيت يا أرسلان ؟

- حاولت إنى ما صحكيش .

- إنت مش أم علشان تعرف إن الأم بتصحى على ريحة ابنها ، وأنا اتعودت أنام كل ليلة بعد ما تيجى .

- إذن أنا تعبتك كتير الأيام دى .

- أنا أصلاً ما كنتش بنام ، إنت كويس ؟

- كالعادة .

ورغبت في صعود السلم فنادتني ، وكنت أعلم ماذا تريد أن تقول :

- أيوة يا أمي ؟

- إنت ... إنت عملت إيه معاها ؟

- بالتأكيد هي مش معايا ، ما تقلقيش يا أمي ، هي مرتاحة !

فقالت أمي بصوت حزين : أنا شوفتها امبارح في منامي بتنادي عليّ ، لما صحيت من النوم فضلت لعدة ساعات أشعر وكأنه حقيقة .

وفجأة تذكرت آخر مرة رأيت فيها سوزان ، عندما كانت تجلس في أحد الأركان منتظرة ، فقلت لأمي في لطف : إنت كنتِ مضايقة يا أمي ! دلوقتي اطمني ، أنا رجعت ، فلتذهبي إذن ولتستريحي .

- مكانها مناسب ؟

- نعم مناسب لها .

- ألم تبك وراءك ؟

- لا ، دي بنت عاقلة ، دي تربية إيدك يا أمي . إنتِ تعبتِ كتير علشانها وأنا ممنون ليكي . أنا تعبان ، بعد إذنك هروح أنام .

- وتركت أمي بهذه الحجة ، وصعدت ، لكنني كنت يقظًا طوال الليل .

ومقابلة أبي لم تكن أفضل من أمي ، فقد كان يحب سوزان للغاية. حقًا لقد خلا مكانها في البيت ، فقد كان يشع صخبًا ومرحًا بوجودها ، وكنت أعمل بحبها ، وجميع آمالي كانت تتلخص في إسعادها ، لكن لم يعد لها وجود ثانية ، لم يعد هناك شخص أسعى لرفاهيته ، والحياة بدون أمل حقًا بلا معنى . كنت أذهب إلى عملي ، لكن مشاعري كلها كانت في مكان آخر . أصبحت بلا هدف ،كنت غير قادر على التركيز ،

حتى فى قيادة السيارة ! كنت أجلس خلف عجلة القيادة دون أن أتمكن من السيطرة على حواسى ، لذا فقدت توازنى ذات يوم واصطدمت بسيارة أخرى ، ومن شدة التصادم اصطدم رأسى بشدة فى الزجاج الأمامى ، وانسال الدم منه ، وما كان من السائق إلا أن استهزأ بى قائلاً :

- إنت غرقان فى العشق ولا فى الديون ؟

فقلت له بصوت غاضب ويملأنى الحزن من يد الزمان : تقصد إيه ؟

- قصدى واضح .

- احترم نفسك .

فمسك بياقتى ، وأخرجنى من السيارة ، وضربنى ضربة شديدة ، فأردت أن أتعارك معه ، لكن الآخرين منعونى ، فقال السائق المتأذى :

- أنا ضربتك علشان لو كنت نايم تصحى .

فصحت : إنت عايز كام ؟

- وفر فلوسك لنفسك ، واستجمع حواسك ، يا متطفل يا جعان .

قال لى هذا الكلام وغادر المكان ، وتوجهت إلى المنزل بعد أن ضربنى واستخف بى ، واستاءت أمى لرؤيتى، ولطمت على وجهها ، وقالت:

- ربنا يا خدنى ، اتعاركت ؟

فقلت وأنا أغسل وجهى : لا ، عملت حادثة .

- اشرح لى ؟ راسك مفتوحة ليه ؟

فقلت متضايقًا : أنا كويس يا أمي ، من فضلك سيبيني لوحدى .

وذهبت أمي إلى حجرتها وهي مترددة ، وصعدت أنا إلى الطابق العلوى .

والآن تؤلمني الذكريات ، في الحقيقة أحيانًا أشعر أن هذا قصاص تلك البنت البريئة الطاهرة ، قصاص جيتي ، لقد ظلمتها ، وأنا أعلم ذلك جيداً .

كنت أخشى من الوحدة ، لا أريد أن أختلي بنفسي وأفكر في الماضي، أشعرف ى وحدتي وكأن شخصًا ما يقوم بتأنيبي دون توقف، ويذكرني بأن السبب في كل هذه التعاسات هو أنا .

من الحماقة أن يدمر شخص أساس حياته بنفسه ، ولكنني كنت من الحماقة بذلك القدر الذي جعلني أدمر حياتي عن جهالة ، ووقفت أنظر إلى انهيارها ، وأصبح كل عملي الآن التأمل في أبواب المنزل وجدرانه القديمة ، والتفكر في الماضي .

كانت كل هذه الأحداث تتداعى أمامي كشريط سينما أثناء عرضه، ودومًا كان يتداعى في ذهني سؤال كالديالوج :

لم ؟ لم هكذا ؟ لقد انتهى عمرى الآن ، في خريف هذا العام أكمل السابعة والثلاثين من عمرى ، لم ترتعد يداى ؟ لم أفقد السيطرة على أعصابي من أقل صوت ؟

أحيانًا أخشى أن أصاب بالجنون ، فلم يعد هناك فاصل بيني وبينه، لكنني أضحك بعد ذلك على أفكاري، أتعلمون ما هي مشكلتي ؟ مشكلتي هي أنني لا أستطيع أن أختلي بنفسي ، وأصدق الماضي ، رغم أنني كنت المؤدى للدور الأول فيه .

كنت أستاء من الليل ، ولكنني كنت مضطراً لأن أمكث فى المنزل حتى الغروب هروباً من كلام الناس ، وبعد أن يحل الظلام أخرج من المنزل، وأبى ، على الرغم من شيخوخته ، إلا أنه كان يحتفظ بحميته القديمة، فهو يتوكأ فى قوة على عصاه ويقول فى لهجة حادة : ولدى ، خليك راجل ، ابتلع الغم والحزن ، وانتظر اللى جاى، من العار علينا إذا ما لزم رجالنا الدار بسبب المشاكل .

كنت أشك فى الجميع ، وأعتقد أن الجميع يخونوننى ، لا أستطيع أن أثق فى شخص مرة أخرى ، وبلغ الأمر مداه حتى صار مشكلة لدى.

أشعر أننى كائن بلا هوية ، وهذا ما جعلنى أشعر بالكهولة. لقد مررت بتجارب مريرة ، كان لابد وأن تجعلنى كالفولاذ المصقول ، لكن على الرغم من خوفى ، أريد أن أبقى بمفردى ، لا أرغب فى أن أفسح الطريق ثانية لأى شخص إلى خلوة قلبى، لقد دفنت قلبى فى هذه الأرض الغريبة وعدت. تريدون الحق أحب أن يمنحنى الجميع الحق ، ولكن ما الفائدة ؟ فالماضى قد ولى ، ولا يثير تذكره سوى الحزن والأسى، لقد ذهب شبابى أدراج الرياح ، لقد ضحيت بسعادتى وفرصتى وبكل شىء من أجل غرورى ، والآن أقف أمام النصر مغلوباً مهزوماً خالى الوفاض ، وهو يضحك علىّ. ما أسعد ذلك القلب الذى يخفق بالعشق . تقول أمى: إن العشق ينظم حياة الرجل، فحينما يعلم أن ثمة شخصاً قلقاً من أجله في المنزل ، يترقب مجيئة ، يتسم سلوكه وحياته بالاستقامة .

ولكن ما من شخص ينتظرنى فى المنزل ، ما من شخص يترقب من النافذة مجيئى بعين قلقة . حينما يمضى من الليل نصفه، أضع المفتاح

فى الباب وأدخل الفناء ، أواجه مبنى صامتًا مظلمًا ، ويظهر بناؤه القديم بتلك النوافذ الزجاجية كأنه غول مرعب . إلهى لتمنحنى الصبر العظيم حتى أتمكن من تحمل نظرات الناس الثقيلة ، ولا أسمع حديثهم ، أنت تعلم أنه لا ذنب لى فى كل هذه الأحداث ، أنت تعلم ، أنت فقط !

الفصل الرابع والثلاثون

كان أرسلان يعمل على سيارته ، لأنه لم يعد يستطيع أن يعمل عند والده في حضور بعض الفضوليين ، فدومًا كانوا يتساءلون بأسئلة لا ردود لها ، وكانوا أحيانًا يطرحونها بأعينهم دون الاهتمام بمشاعر الطرف الآخر. كان دومًا يتأذى من فضول من حوله ، ولكن الآخرين لم يكفوا ، حتى أصدقائه القدامى . وبناءً عليه كان يعمل بمفرده ولنفسه ، وكان هذا الأمر يحلو له ؛ لأنه يتعامل مع أناس غرباء لا يعرفهم ولا يعرفونه .

كان يخرج من المنزل قبل شروق الشمس ، ويعود إليه والليل قد قارب على الانتهاء ؛ لأنه لم تكن لديه القدرة أو الطاقة للجلوس مع الآخرين للثرثرة والحديث معهم ، حتى إنه كان يمتنع عن الذهاب إلى الحفلات أو الضيافات التي توجه إليه ، وهكذا كان يبدو أن ما من شيء أهم من عمله لديه.

وفي أحد أيام الربيع وقع أهم حدث في حياته ، فكالعادة ، وقف أمام الركاب ، وطوى مسافة حتى وصل إلى مفترق طرق وتوقف لأن الإشارة كانت حمراء ،فتراجع إلى الخلف برأسه على المقعد ونظر في المرآة على من خلفه ، وتسمر مكانه ، ولم يثق فيما رأته عيناه ، وأخذ يمعن النظر ، حتى أيقن بنظره أنها جيتي ، زوجته الأولى ! لم تكن لديه الشجاعة ليلتفت إلى الخلف ، وكانت جيتي تنظر إلى الخارج، فقال لنفسه : كم ألم بها الحزن . ثمة تجعيدة تحت عينيها، لابد وأنها بلغت من العمر خمسًا وثلاثين سنة أو أقل ، كم بهتت لمعة عينيها، لابد وأن

لديها الآن طفلاً أو طفلين متقاربين في السن ، وجهها لا يعبر عن شيء ، ولكن أيًا ما كان لابد وأنها أسعد حالاً من ذلك الزمان .

وأضاءت الإشارة الخضراء ، وأخذت السيارات في الخلف تطلق آلات التنبيه ، وقال له أحد العابرين المجاورين : ما تمشي يا سيد ، فين حواسك ؟

وانتبه أرسلان، وسلك طريقه ، لكن مشاعره توجهت إلى الماضي، إلى تلك الفترة التي كان يبلغ فيها الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين من عمره ، إلى فترة حياته مع جيتي ، وتماسك وقال لنفسه : إلهي ، أنا فداء عظمتك ، ألا تخلصنا؟ أيجب عليّ أن أتعذب حتى آخر العمر؟ وكان منهمكًا في التفكير حينما قالت له جيتي : من فضلك يا سيد ، عايزة أنزل هنا .

فقال أرسلان في نفسه : الحمد لله أنها لم تعرفني ، لذلك توقف دون أن يلتفت إليها ، ونزلت جيتي ، و قدمت إليه الأجرة من النافذة الأمامية ، وأعاد إليها الباقي بيد مرتعدة دون أن ينظر إلى وجهها، ثم سلك طريقه وهو ينظر إلى الخلف من المرآة ، ورآها تدخل أحد المحال ، وقال أحد الركاب بجواره : ياسيد ، ليه ماشي بالراحة كده ؟ هو احنا ماشيين على رجلينا ؟

فقال أرسلان معاتبًا : لا ، لا يا سيدي ، عفوًا .

– احنا مستعجلين يا سيدي .

– على عيني .

وثانية أخذ سرعته، ولكن كان فكره مشغولاً : إذن هي موظفة ، تعمل في هذا المحل ، لقد كانت تحب العمل من البداية ، لا شك أن

زوجها لا يعارض عملها ، ولكن كم من الوقت مضى ؟ وكم من خصلة شعر فى رأسها قد أصابها الشيب ؟ كنا نستطيع أن نعيش سويًا لو لم أتصرف بحماقة ، لقد ظلمتها ، وتعاملت معها بقسوة ، وأسأت الاستفادة من حبها لى ، ربما أننى أدفع ثمن ما فعلت ، لا شك أنها تأذت جداً بسببى ، لقد مضى على ذلك أربعة عشر عامًا .

فى ذلك اليوم عاد أرسلان إلى المنزل قبل الغروب ، وما أن رأته زينت حتى قالت فى دهشة :

– إنت جيت البيت النهاردة بدرى عن أى يوم تانى !

فقال أرسلان وهو يبدى رغبته فى تناول الطعام : أنتِ مضايقة ؟

فقالت زينت وهى سعيدة لسعادة ابنها : لا يا حبيب أمك ، أنا كويسة ، أقول فقط إنك رجعت بدرى الليلة ، أتتناول العشاء معى ؟

قال أرسلان فى سعادة : ليه ما كلش يا أمى ؟ عايزانى أعمل حاجة معاكى؟

فقالت زينت وهى سعيدة : الشكر لله .

فقال أرسلان : لِيه ؟

قالت زينت : لأنك بتضحك تانى بعد كام شهر ، وصرت سعيداً مرة أخرى .

وأبدى أرسلان رغبته فى الطعام ثانية ، وخرج من المطبخ ليبدل ملابسه، ثم عاد إلى المطبخ، وسأل زينت : فيه حاجة ممكن أساعدك فيها؟

فوضعت زينت صينية الأرز أمامه ، وقالت فى لطف : لو تقدر تنظف ده.

فسحب أرسلان الصينية أمامه ، وانشغل فى تنقية الأرز وهو يصفر، ولم يكن يدرى هو نفسه لم كان سعيداً إلى هذا الحد ؟

وما كان يعلمه فقط هو أنه يجب أن يكون سعيدًا . كان يرغب بشدة في السؤال عن جيتي ، لذا بدأ الحديث على النحو التالى :

- أمى ، إيه أخبار الست شكوه ؟

سألت زينت في دهشة : الست شكوه ؟!

- أيوه ، هى ..

- آه ، تقصد أسرة جارنا السيد صداقت ؟

فقال أرسلان وهو يحاول التظاهر بالفتور : أيوه.

- ليه جت على بالك دلوقتى ؟

فقال أرسلان فى ارتباك : أصل .. أصل النهاردة شوفتها فى الشارع .

- بالتأكيد إنت غلطان .

- ليه ؟

- لأن المسكينة دى ماتت من زمان .

فتحرك أرسلان من مكانه ، وسألها : إزاى ؟

- تعرضت للسكتة القلبية .

- الله يرحمها ، وما حال بيتها ؟

- لا شىء ، أطفالها يستفيدون من مال الوقف للدراسة .

- ولسه السيد صداقت عايش فى المنزل ؟

- أيوه يا حبيب أمك .

- ليه ما قولتيش ليّ الكلام ده ؟

- من غير سبب يا حبيبى .

- أمي ، حبيبتى ، ليه زعلتى ؟

- وإيه فايدة الكلام ؟ لقد مرت عدة أعوام .

- إيه اللى حصل ؟ هو لسه قاطع علاقته بأبى لغاية دلوقتى ؟

- مفيش غير مشكلتك معاهم ، فالاتنين أصدقاء من زمان ، وحصلت بينهما جفوة ، وحاول البعض الصلح بينهما لكن صداقت موافقش ، وحزن أرسلان مرة أخرى ، وعلى الرغم من ذلك فقد سأل أمه: وماذا عن جيتى ؟ لازم اتجوزت؟

- ما عرفش بالضبط ، لكن من كام سنة .. حوالى سنتين ، شوفت واحدة من جاراتها وأخبرتنى إنها لسه ما تجوزتش .

- طيب وبتعمل إيه دلوقتى ؟

- أعتقد إنها بتشتغل ، بالتأكيد تقدم لها خطاب كتير ، لكنى ما عرفش ليه ما تجوزتش ؟

- على حد قولك : كل واحد بياخد نصيبه .

- لكن يا حبيبى كثير من الأحداث تتعلق بالبشر .

وقام أرسلان من مكانه ، وعزم على الخروج ، فسألته زينت : رايح فين ؟

فقال أرسلان :أنا راجع يا أمى .

- والعشا ؟

- أنا راجع ، هلف شوية .

- إنت بتلف من الصبح لحد المسا ، خليك يوم واحد على الأقل علشان أشبع منك .

فقال أرسلان وهو يبتسم : بعدين يا أمي ، مع السلامة .

ونظرت زينت في حيرة إلى خروجه وقالت : الولد اتجنن ، يضحك ، يرتبك، يصفر ، يصمت ، احفظه يا إلهي .

وسار أرسلان مترجلاً ، ولم يكن يعلم مقصده ، كان يريد فقط أن يتنفس هواءً نظيفًا ، ولم تذهب عن عينه صورة جيتي ولو للحظة ، فقال في نفسه : أقسم أنها لم تضحك ضحكة واحدة منذ ذلك الحين وحتى الآن، والسبب في ذلك كله هو أنا ، فقد ظلمتها أكثر من أي شخص آخر . لقد ضحيت بها حتى أصل إلى مآربي . حقًا ماذا يكون حالي إذا ما تصرف شخص معي بمثل هذا التصرف ؟ ليتني أراها مرة أخرى ، وأتوسل إليها كي تسامحني . أقول لها إنني لا أزال أدفع ثمن ذنبي حتى الآن . أقول لها أن تدعو الله من أجلي .

وجلس أرسلان فوق أحد المقاعد الباردة في الحديقة ، وأخذ ينظر إلى لعب الأطفال، ويفكر :

ليتني لم أكن أكثر من طفل بلا مسئولية ولا مشاغل ، ماذا يعلم هؤلاء عن مصائب الزمان ؟ ماذا يعلمون عن الحزن والأسى ؟ يمكنهم إسعاد أنفسهم بكرة بلاستيكية ، لا ينتظرون شيئًا من أي شخص

ولا أى شخص ينتظر منهم شيئًا ، تصرفاتهم وأفعالهم ليست تحت المنظار، الجميع يعلم أن تصرفاتهم تتم دون هدف أو غرض ؛ لذا لا ينتقدونهم .

وفجأة تذكر أرسلان سوزان ، وماذا تفعله الآن ؟ ولكنه صرف فكره عنها ؛ لأنه لم يرد قط أن يفكر فيها بشكل جدى ، وقال لنفسه : لقد كانت بالنسبة لى مجرد أسطورة ، حلم .

الفصل الخامس والثلاثون

منذ ذلك الحين صار شغل أرسلان الشاغل هو الوقوف أمام المحل وتفحص باب الدخول إليه، وقد جاء عدة مرات وراقب ذهاب وإياب جيتي، لكن لم تكن لديه الجرأة على الحديث معها ، لم يكن يستطيع أن يتصور رد فعلها ، على الرغم من أنه كان يرى فى نفسه القدرة على تحمل مواجهتها، إلا أنه كان يعطيها الحق فى أى رد فعل !

كثيراً ما صرخ ضميره فيه : امشى ، ليه واقف هنا ؟ ليه ما تسيبهاش فى حالها ؟

ولكن فى كل مرة لم يستطع أن يتحرك ، وكأنه عدم السيطرة على يديه وقدميه . كان يسير وراءها حتى أول حيها ، ثم يبعد ويعود إلى البيت، وفى النهاية فاض به الكيل ذات يوم ، ووقف بسيارته أمامها ، وركبت جيتى ، وطوى مسافة قصيرة ، ثم رفع النظارة الغامقة من على عينيه ، وقال بهدوء : جيتى ؟

فنظرت جيتى إلى مرآته ، ولكن كأنها لم تتعرف عليه ، وسألته فى دهشة : إنت مين ؟ فابتسم أرسلان ابتسامة حزينة وقال : ليكى الحق فى إنك متعرفنيش، فقد نسانى العالم كله ، فلم لا تنسينى أنت ؟!

وتعرفت جيتى على أرسلان من نبرة صوته، فارتعد جسدها كله، ووضعت يدها على فمها حتى لا يصدر عنها صوت يدل على شدة حيرتها ، وحاولت أن تتمالك نفسها ، وحينما تمكنت من التغلب على خوفها، قالت بلهجة حادة :

– قف هنا .

- جيتى ..

- قلت لك قف هنا وإلا هصرّخ.

- أرجوكِ ، اسمعينى .

- قفْ ، مفيش بينا كلام . أنت فى الأصل ميت بالنسبة لى .

وتوقف أرسلان فى جانب الشارع ، ونزلت جيتى بسرعة ، ومشت ، لكن قدميها كانت لا تزال ترتعد من الغضب وعدم الأمان ، وهذا ما كان يبدو فى خطواتها أثناء سيرها . وبعد عدة خطوات لم تتمكن من السير، لذا جلست فوق الرصيف ، وتقدم أرسلان بسيارته، ثم نزل، واقترب منها ، وكانت جيتى تضع رأسها بين يديها :

- جيتى .

فقالت جيتى فى بغض ونفور : لو سمحت ، ابعد وما تتكلمش معايا بحرف واحد ، ومن الأصل إزاى تتجرأ وتكلمنى ؟

وطأطأ أرسلان برأسه وقال فى هدوء : خلينى أوصلك ، وأوعدك إنى مش هكلمك.

فقالت جيتى فى غضب : مفيش داعى ، سيبنى لوحدى ، أنا كويسة، كنت قد أسعدت قلبى ؛ لأننى دفنت نفسى بالحيا فى هذا المحل بعيداً عن عيون معارفى ، ياريتنى كنت أعرف مين اللى قال لك على مكانى .

فقال أرسلان فى هدوء : أنا عثرت عليك بالصدفة.

قالت جيتى : ودلوقتى سيبنى بالصدفة ، أنا ما حبش الناس ياخدوا بالهم منا .

وتركها أرسلان حزينًا مهمومًا ، وتوجه إلى سيارته ، وأخذ يتأملها لدقائق، ثم سلك طريقه وكانت جملة بعينها تتكرر فى ذهنه دون توقف : إنت ميت بالنسبة لى ! إنت ميت بالنسبة لى !

فكر أرسلان : لازم أديها الحق ؛ فقد أصيبت بصدمة شديدة منى ، مش لازم أيأس ، هروح لها وأقول لها تسامحنى ، فقد خسرت دنياى ؛ فعلى الأقل أحافظ على آخرتى .

وداوم أرسلان الوقوف أمام المحل لعدة أيام ، ولا شك أن جيتى كانت تعلم بوجوده ، ثم كان يتبعها بعد ذلك حتى تقترب من منزلها . وهذا ما كان يقلق جيتى ، فكانت تفكر فى كرامتها وكرامة أسرتها ، وتخشى أن يتعرف أحد على أرسلان ، والأهم من هذا كله لو شاهده أبوها أو أخوها سينشب بينهما شجار.

وظلت لعدة أيام لا تبالى به ، ولكن من فرط قلقها ذهبت إليه فى نهاية الأسبوع . وفى ذلك اليوم كان أرسلان يقف أمام المحل بسيارته ، فطرقت زجاج السيارة بعملة النقود بهدوء ، ففتح أرسلان الزجاج بمجرد رؤيته لها ، وقال وهو يحاول إخفاء سعادته : السلام عليك .

فقالت جيتى متبرمة : بتعمل إيه هنا ؟ .

فقال أرسلان فى فتور : أنا مضايقك ؟

قالت جيتى فى ضيق : إنت عارف .

– ولكنى ما تخيلتش كده ، فالشارع مكان عام .

– طيب ليه بتمشى ورايا ؟ أنت خلتهم يشاوروا علىّ ، لازم تعرف إن سمعتى كويسة فى المحل ده ، فأنا أعمل هنا من اتناشر سنة ، ومش عايزاهم يتكلموا علىّ من ورا ظهرى بسببك .

- حسنًا ، إذن ليه مش موافقة على إنك تسمعى كلامى ؟ فبالطريقة دى هتخلصى من شرى بسرعة.

- إنت عايز ثمن علشان تخفف من ظلك فى حياتى ؟

فرفع أرسلان كتفه ، وقال فى فتور : نعم فى الظروف اللى أنا فيها أعمل كده .

- إنت مش عارف لو أبى وأخى عرفوا إنك بتضايقنى هيعملوا إيه؟

- أنا الذى أقوم بهذا العمل وفكرت فى جميع جوانبه ، أنا مش خايف منهم ، وخليكى عارفة ، طول ما أنتِ مش موافقة تسمعى كلامى أنا هعمل كده كل يوم .

وتابعت حديثى بنبرة توسل : أرجوكِ .

وعضت جيتى شفتيها بأسنانها ، وبعد انتظار لفترة قصيرة ، قالت : روح الحارة اللى ورا المحل ، وأنا جاية هناك ، قال أرسلان فى سعادة : سأفعل. وبعدما قالت جيتى هذه الجملة دخلت المحل ، ثم توجه أرسلان إلى المكان المحدد .

فتح أرسلان الباب الأمامى ، لكن جيتى ركبت فى الخلف، وبعدما سلكا الطريق ، سألها أرسلان : نروح فين ؟

قالت جيتى فى فتور وهى تنظر إلى الخارج : أنا ما جتش علشان أتفسح، علشان كده المكان مش مهم بالنسبة لى ، أنا عايزة بس تتكلم بسرعة وتخلصنى .

ولم يستاْ أرسلان من فتور كلامها ، على الرغم من أن جيتى كانت تقصد ذلك ، وأثناء الطريق ظل كليهما صامتًا ، وكسر هذا الصمت صوت الموسيقى ، فكان المغنى يترنم بهذا الشعر:

- يا من عينيك البراقة
- سلبت ظلال الغم
- إن قلبك أقام مثل هذا المأتم
- بسبب رحيلى .
- وبعدى تمضى يا ملاكى
- مضطربًا ، حتى
- تصنع من صمتك
- قصتى وأسطورتى .
- إن ذكرى أيام الوصال والفراق
- تجعل عينيك تبكى بغزارة أكثر من المطر .
- انثرى دمع الحسرة
- اكسرى باب العهد
- ما جدوى البكاء ثانية
- وبيننا استقر البحر ؟!

كان أرسلان ينظر إلي جيتي عبر المرآة أثناء القيادة ، وكانت عيناها تدمع برفق متأثرة بهذا الشعر ، فأغلق الشريط بهدوء ، فلم تكن لديه المقدرة على رؤية بكائها ، ووقف أمام إحدى الكافيتريات فى الطريق العمومى، والتفت إلى الخلف ، وسألها : تقبلى نتكلم مع بعض هنا ؟

ونزلت جيتي من السيارة دون أن تتحدث بكلمة ، ودخل كلاهما الكافيتريا ، وبعدما جلسا في وضع متقابل ، تقدم شاب لمعرفة طلباتهما، فسألها أرسلان : تحبي تاخدي إيه ؟

قالت جيتي وهي تخرج قرصاً من حقيبتها : من فضلك كوب ماء.

قال أرسلان : احضر فنجاني قهوة باللبن وكوبًا من الماء .

وبعد عدة دقائق أحضر القهوة باللبن والماء ، ووضع أرسلان فنجانًا أمام جيتي ، ونظر إليها ، وبدون أن تنظر إليه أخرجت جيتي القرص من الورقة ، وتناولته مع جرعة ماء ؛ فسألها أرسلان : ليه خدتي القرص ده؟

قالت جيتي في فتور : علشان الصداع .

-جالك الصداع ده قبل كده ؟

- أنا بأعاني من صداع نصفي من اتناشر سنة .

- أنا آسف .

- لا عليك ، أنا اتعودت عليه ، إنت مش عايز تتكلم ؟

ووضع أرسلان قليلاً من السكر في فنجانه ، وأخذ يقلبه ، وتراجعت جيتي للخلف في قلق، فكر أرسلان : كنت أعتقد أن الحديث سهل مع جيتي ، لكنني تسمرت في مكاني من صلابتها وتماسكها ، ولكن على أية حال لازم أتكلم ، وجمع كل ما لديه من قوة وبدأ الحديث :

- أشكرك لقبولك الإصغاء إلى حديثي .

فقالت جيتي في فتور : مفيش داعي للشكر ، أنا عملت كده علشاني أنا ، هناك في المحل بيعتبروني فتاة مطلقة مقدرش أعرفك عليهم .

– يعني هذا أن حضوري اليومي كان بيضايقك ؟!

صمتت جيتي ، واعتبر أرسلان صمتها بمثابة تصديق على كلامه ، فداوم الحديث :

– نعم ، إنتِ معاكي حق ، أنا أسأت إليكِ .

– بس أسأت إليّ !

– أيوة ، أنا عارف إني ظلمتك .

– لقد سلبتني كرامتي ، وآذيت نفسيتي كثيراً ، وكنت سبباً في أن أنظر لكل رجال العالم على أنهم مخادعون ، أنا جيت بيتك تحدوني الآمال والأماني لكنك ..

وهنا قطعت حديثها ، فقال أرسلان بلطف : كملي ، أنا سامعك ،أنا هنا علشان كده.

– لا أتخيل إنك تعبت نفسك في الأيام دي علشان تسمع شكواي بس.

– بالفعل هو كده !أنا مذنب ، وأنا عارف كده .

قالت جيتي في ابتسامة تملؤها الغصة : بتقول الكلام ده دلوقتي؟ فايدته إيه؟ لو كنت قلت الكلام ده من عشرة أعوام لاسترحت ، لكن دلوقتي ..

– أنا مش عـايز أطول عليك ، لكنى تركت جـهنم ورائى ، ووصلت إلى النتيجة دى وهى الندم على نفسى .

– تعتـقد إنى كنت فى جنة النعيم طول الأعوام دى ؟ كان كل يوم فى حياتى نار جهنم بسبب أسئلة الناس المبهمة. من كان يصدق أن طلاقى تم بعد عامين بدون سبب ؟ أى دليل كان يمكن أن أقدمه ؟

– كنتِ تقولى إن زوجى كان مجنونًا .

فقالت جيتى فى سخرية : كـم تقـدم من تنـازلات ، أنـا مقدرش ما صرحـكـش ، إنت اتبـدلـت ، بقيت راجـل ، اتغيرت ، أنا اتعجبت لما شوفتك ؛ لأنى سمعت إنك سافرت أوربا بعد انفصالنا بكام سنة .

– عندك الأخبار ناقصة ولاّ كاملة ؟

– اللى عندى عرفته من أبى ، إنت عارف إن المسافة بينه وبين أبيك كام محل فقط .

– وكيف حال قيصر الكبير ؟

– أبى ؟ ده عجِزّ من حزنه علىّ . تعرف إنه كان بيتحسر وزعلان عليك؟

وتنهد أرسلان ، وقال وهو يتذكر ذكريات الماضى المرة : أيوه أصدق .

– أنا جادة فى كلامى .

– وأنا كمان ، لو كنت شوفت فى حياتى سعادة فهى مرتبطة بس بالسنتين اللى عشتهما معاكى .

– بتقـول إيـه ؟ إنت انفصـلت عنى علشـان حياة أفضل ، آمل ألا تفهم كلامى على أنه نوع من التطفل على حياتك الخاصة .

نكس أرسلان رأسه، وقال : لا ، مبفكرش كده إطلاقًا ، بالعكس ، أنا سعيد لأنك سألتنى . لقد كنت قنوعة جداً ، لكننى كنت متطلعاً للغاية، ونهاية الأنانية والتطلع كان سوء الحظ . أنا اتعذبت كتير لغاية ما وصلت فى النهاية للنتيجة دى وهى إنى ملعون، أنا مش مستنى تسامحينى ، لكنى عايز بس تعتبرى أخطائى رعونة شباب وجهل منى .

– يعنى إنت اتصرفت فى الأعوام دى بحكمة وعقل ؟

فانتظر أرسلان قليلاً ، ثم قال : لا بالقطع .

– إذن إزاى تنتظر منى إنى أتغاضى عن أخطائك تحت مسمى صغر السن ؟ فى رأيى إنك ماخدتش حياتك بشكل جدى أبداً ، ولم تتحمل مثلما تحملت أنا من الآلام .

قال أرسلان معترضاً : منين عرفتى ؟ ده مش إنصاف إنك تتكلمى عنى كده، أوافق على أننى قسوت عليك ، لكننى قسوت أكثر على نفسى، لقد تحملت من العذاب ما يخضع أقوى رجال العالم .

– ودلوقتى عايز منى إيه ؟

ونظر أرسلان بكل إخلاص إلى عينى جيتى وقال بصدق : سامحينى ، فأنا مسكين، تحملت كثيراً من العذاب ، لو تسمعى قصة حياتى ، لاحترق قلبك من أجلى .

– ولو تسمع أنت قصتى ، هتعمل إيه ؟ قصة فتاة تعيسة تحملت العذاب والآلام فى مجتمع فضولى . إنت متعرفش إنى قضيت العامين التاليين على انفصالى عنك فى بكاء دائم ؟ أنا بكيت لدرجة إنى ما تخيلش إن أفظع حادث فى الدنيا دى يجبرنى على البكاء مرة تانية.

– ليه ما تجوزتيش ؟

– ما حدش قال لك إن الحب الأول له تأثير كبير في نفسية الإنسان ؟

– لكنك قلت إنك لم تحبيني .

– إنت كنت جوزي ، وكنت ممكن تخليني أتذوق طعم الحب ، ولكن كل اللي اتعلمته منك كان الكراهية والعداء.

– أنا حبيتك ، وماكنش فيه فرصة أقول لك كده .

– آه ، أرجوك ما ترجعنيش للماضي .

وانهمرت الدموع من عين جيتي ، وأعطاها أرسلان منديلاً ، وقال بهدوء :

– أرجوكِ ، لا تبكِ ، أنا مش عايز أضايقك.

وجففت جيتي دموعها ، وقالت في حزن وهي تنظر إلى يديها :

– أنا كبرت ، في حين كنت أقدر أكون أمًا وزوجة .

وطأطأ أرسلان رأسه ، وقال : اشكري الله على إنك ما استمرتيش في العيشة معايا .

ونظرت جيتي إليه في حيرة ، وانتظرت ، وأشعل أرسلان سيجارة، وعاد برأسه إلى الخلف، واستمر في حديثه :

– لإنك لو استمريتِ معايا لما تمكنت من تحقيق أمنيتك ، كنت متخيل إنك اتجوزت ، فالوقت مش متأخر ، فلك من العمر خمسة وثلاثون عامًا فقط.

– تقصد إيه لما قلت : لما تمكنتِ من تحقيق أمنيتك ؟

– أنا مقدرش أكون أباً .

فسألت جيتى فى دهشة : بتقول إيه ؟

– أيوه ، هى دى الحقيقة ، أنا روحت بلاد كثيرة ، أنا مصاب بعدم القدرة على الإنجاب .

وكان أرسلان يحاول أن يسيطر على دموعه ، فقالت جيتى فى تأثر:

– آسفة ، أنا ماكنتش أعرف .

– فلتسعدى الآن لأنك لم تعيشى معى .

– على أية حال المسألة دى ما تفرقش معايا ، لإنى ما اتجوزتش بعدك .

– ظلمتِ نفسك .

– إنت بتفكر بشكل طفولى ، إنت تتصور لو إنى كنت عايشة معاك ولم أنجب ، سأطلب الطلاق علشان الأطفال ؟

– زوجتى السابقة عملت كده .

وصمتت جيتى ، وعلمت أن مواساة أرسلان لا طائل منها ، ثم وقفت بهدوء ، وكذلك فعل أرسلان ، وسار كلاهما تجاه السيارة ، ولم يتحدثا أثناء الطريق . كان الجو ليلاً ، وأوصلها أرسلان حتى أول الشارع الذى تقطن فيه ، وقال أثناء نزولها : أنا تعبتك ، أرجوكِ سامحينى .

– أعتقد إنك إنت اللى اتألمت بتذكرك للماضى ، كل اللى أقدر أقوله توكل على الله فهو لن ينساك .

- لي رجاء عندك.

- إيه هوّ ؟

- حديثك معي أراحني كثيراً ، فلو تسمحي آجي أشوفك من حين لآخر ، واتكلم معاكي بس .

نظرت جيتي إليه ، وكان يبدو في عين أرسلان حاجته إلى الاهتمام، فقالت بصيغة رسمية : من حين لآخر بس !

فقال أرسلان وهو سعيد : أشكرك .

ومضت جيتي إلى المنزل ، وظل أرسلان واقفًا حتى دخلت المنزل .

الفصل السادس والثلاثون

ومن بين كل من يعرفهم أرسلان كان يشعر بالراحة فقط مع جيتى، فكان يتحدث معها ساعات وساعات ، وكانت جيتى تصغى فقط ، وكانت مستمعة جيدة لأرسلان ، تنظر إليه فى هدوء، ولم تتسبب فى أن يشعر بالانكسار قط ، وأفصح أرسلان لها عن حقائق الماضى القبيح منها والجميل ، مع أنه قلما كان يوجد فيها شىء جميل .

تحدث عن علاقته المريضة بكيت ، وثقته الكبيرة فيها ، عن سوزان وحب الجميع لها، عن خوفه من المستقبل ! عن إحساسه بالضياع، عن ندمه بسبب كل ما قام به من أعمال ، وكانت جيتى تمنحه الإحساس بالأمان وتبث فيه الأمل ، وكانت تؤكد له أن عيبه ليس كبيراً لدرجة تجعله يبتعد عن الناس . كانت تقول له إنه لا ينبغى التحسر على ما حدث ويجب التفكير فيما هو آت .

وكان أرسلان يشعر بالدفء ، وكان الوقت الذى يتحدث فيه مع جيتى يمضى بسرعة ، كان أرسلان يحكى لها ذكريات حياته ساعة بساعة، أحياناً كان يلوم نفسه على أنه ضيعها من يده ، لكنه لم يكن يفهم إحساس جيتى ، لم يكن يستطيع أن يراها إنساناً قد لزم نفسه بمساعدته.

وفى الحقيقة كانت جيتى متأثرة بأرسلان ، وكانت تراه طفلاً لا ملاذ له يحتاج إلى الاهتمام والحب . كانت جيتى تعلم أن أرسلان رجل، لكنه وهن ، والآن لم تعد تستاء منه – كما كانت فى السابق – عند تذكرها للماضى . كانت تشعر أن أرسلان يحتاج للمساعدة أكثر منها !

لم تكن ترغب أن تعتاد عليه، لكنها تعودت . كانت تعلم جيداً أن الظروف الراهنة لن تسمح لهما أن يعيشا سوياً مرة أخرى . لقد عزمت أكثر من مرة على الابتعاد عنه، لكنها لم تستطع . كانت تشعر بالمسئولية تجاهه ، لم تكن تستطيع أن تكذب على نفسها ، أنها لا تزال تحب أرسلان .

على أية حال لقد كان زوجها فى يوم ما ، لكن حبها له كان فى وجدانها ، فى أعماق قلبها ، ولم تشعره بذلك ، ولم تكن لديها الجرأة على القيام بذلك ، حتى إنها كانت تهرب هى نفسها من هذه الحقيقة .

من ناحية أخرى لم يستطع أرسلان أن يوضح هذه الحقيقة، لأنه كان يشعر بأنه سيضحى بجيتى فى هذه الحالة ، وسبب آخر كان يجعله جاهلاً بشعور جيتى ، وهو أنها كانت تعامله دوماً بشكل رسمى وبصورة جدية ، ولكن جاء ذلك اليوم بأسرع مما كان يتخيله الاثنان ، ذلك اليوم الذى كانا يجلسان فيه جنباً إلى جنب فى الحديقة ، وينظران إلى الأطفال وهم يلعبون :

– جيتى ، أنا تعبتك كتير لكنك ما اشتكيتش أبداً .

– بتتكلم بالضبط زى واحد عايز يقول الوداع .

قال أرسلان : بالضبط ، أعتقد أننى أسلبك راحتك .

– مفيش مجاملة بينى وبينك ، لو كان الكلام صحيح كنت قلت لك، إلا لو كنت خدت قراراً جديداً .

– أيوه ، هو كده بالضبط !

وكاد قلب جيتى يقف من شدة الخفق ، لكنها لم تفضح نفسها ، وأغلقت عينيها ، وقالت بصوت يرتعد : مبروك .

– ولكنها ما ردتش عليّ لغاية دلوقتي ، مش عايزة تعرفي مين هي؟

– ليه أسأل ؟ دي حاجة تخصك !

ووقفت جيتي وعزمت على الرحيل ، فسحب أرسلان طرف ردائها ، وأوقفها ، وأخذا ينظران إلى بعضهما ، ثم قال : تتجوزيني ؟

واندهشت جيتي من هذا العرض المفاجئ ، فتابع أرسلان حديثه :

– أرجوكِ لو كان ردك بالرفض ، ما تترددیش في إنك تقوليه .

وارتبكت جيتي ، فكرر أرسلان : جيتي ؟ !

فسألته : ده هذار ؟ ولا بتتكلم من قلبك ؟

– قلبي دلوقتي رهن لك ، إنتِ ما فهمتيش ده ؟ ولكن خلي بالك بقبولك الاقتراح ده هتضحي بنفسك .

– لو كنت مكاني تعمل إيه ؟

فهمس أرسلان : لم أكن مكانك قط .

فانتظرت جيتي قليلاً ، ثم قالت : أنا مش موافقة.

واغتم قلب أرسلان ، واستقر العرق البارد على جبهته ، فضحكت جيتي ، وعادت إليه ، ويبدو على وجهها ملامح التفاهم والقبول ، وقالت لأرسلان في دهشة :

– إنت أحمق يا أرسلان لأنك اعتقدت إني هرفض بسبب مشكلتك ، احنا عجزنا ، وليست لدينا فرصة لأن نكون أبًا أو أمًا ، من الأفضل أن نقف بجوار بعضنا ، كل الأطفال دي اللي بتعلب أمامنا ممكن أن يكونوا أطفالاً لنا . احنا دلوقتي في سن يخلينا مضطرين نعيش معًا ونقتسم وحدتنا .

ونظر أرسلان إلى اتجاه نظرها ، وأذرف آخر قطرات من دمع الحسرة ، وقال :

– ألقي ببرودة وجودك وخريف غمي بعيداً ، واتكئي على كتفي ، ودعيني أهمس بنغمات الربيع الخضراء في أذنيك .

أعلم ، أعلم أنك تنفرين من الخريف ، ولكنني لست خريفًا ، ولتفصحي لي عن آلامك ، أريد أن أفهمك ، أريد أن أكون أنتِ حتى لا تنسيني مرة أخرى.

النهاية

القسم الثانى

الدراسة التحليلية النقدية للرواية

تقديم

تعد الرواية من أصعب الفنون الأدبية على الإطلاق ؛ فالكاتب يسرد الأحداث خلالها دون أن يقيده الزمان ولا المكان ، ودون أن تحده حدود الطول ولا القصر ، كما أنه ليس مقيد اليدين إزاء الوصف والاستطراد وعدد الشخصيات ؛ فهو يستطيع أن يقدم أى عدد من الشخصيات ، وأن يتعدى وحدة الانطباع فيخلق العديد من الانطباعات .

وللرواية خصائص خمس اجتمع عليها النقاد ؛ فهى فن أدبى منثور، خيالية ، يستخدم الكاتب فيها السرد ، تخضع الأحداث فيها لنوع من المنطق أو التسلسل ، تحاول إبراز المعنى الكامن فى هذه الأحداث البشرية ودلالتها (١) .

وقد أثبتت الرواية قدرتها على التكيف والتطوع لمعالجة أى موضوع؛ لذا نرى منها الرواية العاطفية ، والتاريخية ، والدعائية ، والنفسية، والاجتماعية ، والأخيرة هى التى تصور المجتمع فى مكان محدد ، وزمان محدد عادة ما يكون وطن الكاتب ، وعادة ما يكون الزمان هو الحاضر ، وعادة ما يركز الكاتب على إبراز العلاقات الاجتماعية وتحليلها ابتداء من الأسرة وانتهاء بالمجتمع الكبير الذى يعيش فيه . وتحت هذا الإطار يمكننا أن نضع روايتنا موضع الدراسة ؛ فهى رواية اجتماعية تقع فى مائتين واثنين وثمانين صفحة مقسمة إلى ستة وثلاثين فصلاً تعالج فيها الكاتبة إحدى المشاكل الاجتماعية فى وطنها إيران وتحديداً طهران ، من خلال قصة أحد الشباب ويدعى أرسلان وفائى (٢).

(١) محمد عنانى (دكتور) : الأدب وفنونه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩١م ، ص ٨١١ .

(٢) مريم جعفرى : فراموشم مكن ، جاب اول ، طهران ١٣٧٨ ش .

عرض القصة :

عادة ما يلجأ الكاتب فى عرض القصة إلى عدة طرق دون أن تحده أية قواعد أو قوانين ؛ فقد يبدأ المؤلف قصته من أول حوادثها ، فيصف نشأة أبطاله وميلاد علاقاتهم بعضهم ببعض ويتبع ذلك منهجاً زمنياً فى عرض الأحداث ، وقد تبدأ القصة بنهايتها كما يحدث فى القصص البوليسية ، وقد يبدأ المؤلف من فترة خاصة فى حياة الشخصية الرئيسية[1] وهذا ما بدأت به الكاتبة روايتها ؛ حيث جعلت بطل القصة يتحدث عن نفسه ، ويصف لنا مشاعره وأحاسيسه بدقة متناهية ؛ فهو يشعر بالوحدة وتأنيب الضمير ، ونستشف من البداية حالته النفسية اليائسة دون أن نعلم سبباً لذلك ، ثم يقف بنا ليرجع إلى الوراء ويتذكر الماضى فيما نطلق عليه " الفلاش باك " ، يعود بنا بالأحداث منذ لحظة ولادته ، ويذكرها الواحد تلو الآخر فى ترتيب وتسلسل منطقى تصير به الرواية ذات وحدة عضوية تبدأ بأساس الحكاية ثم تتطور الأحداث وتتأزم حتى تصير إلى نهايتها . ومركز هذه الأحداث يدور حول الشخصية الرئيسية التى تتصل بها عدة شخصيات ثانوية وفكرة عامة ؛ فنجد البطل أرسلان وفائى يمثل الشخصية الرومانتيكية التى تقع ضحية استسلامها لآمالها وتصادم هذه الآمال بالواقع المرير ، وقد صورت الكاتبة هذه الشخصية تصويراً نفسياً حياً دقيقاً ، ولم تقدم خلال سردها للأحداث أية أحداث خيالية أو غريبة ، إنما قدمت أحداثاً تمثل الواقع الحقيقى ، فتجاوزت بذلك دلالاتها الخاصة بالقصة إلى دلالات إنسانية عامة يمكن أن يشعر بها كل من يمر بموقف مشابه .

(١) محمد غنيمى هلال (دكتور) : النقد الأدبى الحديث ، نهضة مصر للطباعة والنشر، ص ٥١٤ .

الزمان والمكان :

لابد للحدث من زمن يقع خلاله ، ولابد للشخوص من حيز يتحركون فيه ويتفاعلون معه ويتأثرون به ، وقد يمتد الزمن ليصل إلى سنوات طويلة ، وقد يكون لحظة ، لكنه في الحالتين يدور في فلك زمانين كبيرين هما : الماضى والحاضر [1]. وفى روايتنا – موضع الدراسة – نجد أن الزمن قد استغرق سنوات عديدة ، لكننا نلمح أن البدء بالزمن الماضى واسترجاع الأحداث كان ملمحاً فنياً أساسياً فى البناء القصصى .

أما عن البيئة المكانية فقد جسدتها الكاتبة فى مكانين ، أولهما طهران ، وهى العاصمة الإيرانية . والثانى إنجلترا ، وهى إحدى الدول الأوربية ، ولم يكن الوصف الذاتي للمكان محوراً أساسياً لدى الكاتبة ، لكنها جعلت لكلا المكانين تأثيراً ملموساً فى سير الأحداث وتطورها ، وفى تشكيل الحالة النفسية للأشخاص ، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، بل امتد إلى تناولها مجموعة القيم المعنوية للناس فى كلا المكانين بما تحمله فى طياتها من معتقدات وأفكار وعادات وتقاليد مؤثرة على تصرفات الشخصيات وموجهة لها . وعلى سبيل المثال نجدها فى طهران تقدم مثال الأسرة المتماسكة التى تولى للأب احتراماً جماً وللأم قدسية خاصة ؛ فالأم هنا مثال التضحية والطهارة ، كما نلمح أثر العلاقات الطيبة بين الأفراد والتعاون المتبادل بينهم . وعلى النقيض من ذلك ، نلمح فى إنجلترا آثار التطلعات المادية والأنانية والخيانة ، وهذا ما ظهر جلياً على لسان صديق أرســلان فى إنجلترا ، فهو يحذره من العمل أو التعامل مع هؤلاء الأجانب الذين عدموا القيم والمبادئ قائلاً له : " أنا

(١) محمد قطب عبد العال : الذات والموضوع ، قراءة فى القصة القصيرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٤ م ، ص ٣٢ .

ماشوفتش ناس أبداً زى الأوربيين بيعبدوا جنسهم ، أنا اتعاملت معاهم، لو حبوا يسلخوا جلدك"(١).

ونتيجة لهذا التباعد والتنافر بين المكانين كثيراً ما نلمح آثار الصدام بين الثقافتين الشرقية والغربية ،ويظهر هذا بوضوح فى حديث البطل - أرسلان - إلى زوجته الأوربية - كيت - فنجده يقول " يا هانم خلى بالك ، احنا بنقطع رؤوس الحيوانات مش بنصنع قنابل ذرية ، ونقتل فى الناس ، وأظن اللى بتعملوه أكثر وحشية من اللى بيعملوه الإيرانيون المؤمنون بعاداتهم وتقاليدهم " (٢) .

ويقول فى موضع آخر : " أنا مستاء منك ومن كل أهل بلدك ، جميعكم تعيشون فى ترف وخداع ، تضعون الطاقية على رؤوس بعضكم البعض ، إنتم حتى ما بتواسوش بعضكم فى المآسى ... شعبنا ما وصلش للفضا لغاية دلوقتى ، ومفيش مقارنة بينهم وبينكم ، إلا أنه بيملك شيء متقدروش تمتلكوه رغم كل اللى عندكم من علم واسع ، وهو القلب والعواطف والحب ، حب لا يتسلل إليه أى خلل تحت تأثير المال ، مش زيكم تحطوه فى إطار معين " (٣) .

وعلى هذا النحو كانت تبدو آثار الصدام بين الحضارتين ،وقد تمخضت فى النهاية عن زلزلة للقيم الاجتماعية المتوارثة لدى البطل ، فنجده يدمن الخمر ويرتاد صالات اللهو ولعب القمار ، وذلك على أثر إهمال زوجته له التى لا هم لها سوى الاستمتاع بحياتها دون الأخذ فى الاعتبار ما عليها من مسئوليات تجاه بيتها وزوجها وابنتها .

(١) فراموشم مكن ، ص ٧٨ .
(٢) فراموشم مكن ، ص ٨٩ .
(٣) فراموشم مكن ، ص ١٦٨ .

كان هذا فيما يتعلق بالبيئة المكانية وتصوير الكاتبة لها وتجسيدها فى مجموعة من القيم والمبادئ اتسم بها كل مكان عن الآخر وصار ملمحًا أساسيًا له ، ولكن ينبغى أن أشير هنا وقبل الانتقال إلى فكرة أخرى إلى ما يمكن أن نطلق عليه تصوير الجو العام المحيط بالشخصية، والذى يحتاج من الكاتب دومًا أن يكون ذا قريحة ذهنية خاصة تمكنه من إيجاد علاقة ما بين الحالة النفسية للشخصية والجو المحيط بها .

وهذا الجانب يمكن خلقه فى العمل المسرحي مثلاً بوضع لمسات خاصة بالديكور وأماكن الإضاءة وما إلى ذلك ، أما فى العمل القصصى فهو يحتاج إلى عبارات خاصة ووصف دقيق يستخدم فيه الكاتب خياله الذهنى أكثر من أى شيء آخر .وقد أجادت الكاتبة استخدام هذه الحاسة لديها ؛ حيث حرصت فى كثير من المواضع على تصوير المناخ العام المحيط بالشخصية ، فعلى سبيل المثال نجدها تقول على لسان البطل أثناء هبوطه مطار لندن : " كان الجو ملبداً بالغيوم ، والناس يسيرون وكأن كلاً منهم لا يرى الآخر" (١) .

وتقول أثناء سفره إلى شمال طهران بصحبة ابنته : " كان البحر فى ذلك الوقت شديد الأمواج .. كانت الأمواج تتحرك عبر البحر ثم تأتى على الشاطئ وسرعان ما تسحب معها الرمال" (٢) .

وتقول على لسانه أيضًا أثناء استلامه استدعاء المحكمة بعد ما رفعت زوجته الثالثة – ثريا – دعوى الطلاق : " كان جسدى كله يرتعد من الغضب ، وتركتنى أمى فى هدوء ، وفتحت النافذة فى برد الشتاء القارص، كنت أريد أن تحملنى الرياح معها ، لكنها أبت ، ومزقت

(١) فراموشم مكن ، ص ٤٠ .
(٢) فراموشم مكن ، ص ١٩٤ .

الاستدعاء ثانية وألقيته من النافذة وسط الرياح والأمطار " (١) ، وبذلك كانت الكاتبة تقدم لنا صورة حية من المكان موقع الحدث بالشكل الذى يثير حاسة التخيل لدى القارئ ، ويوضح الحالة النفسية للشخصية .

الشخصيات :

إن شخصيات كل قصة هى التي تخلق القصة بمجموع أعمالها وأقوالها ، ويجوز أن تكون شخصية البطل ثابتة من بداية القصة إلى نهايتها دون أن يطرأ عليها أى تغيير ، وتظل ذات طراز فكرى واحد وحالة نفسية ثابتة ، وهى ما نطلق عليه اسم الشخصية الثابتة أو البسيطة (٢) . ومن الممكن أن يحدث تحول تدريجي أو فجائي فى نمط الشخصية نتيجة لتفاعلها مع الأحداث ، أو لوقوع أزمة شديدة حلت بها، وهنا نطلق عليها اسم الشخصية المتغيرة أو النامية ، وهذه الشخصية تنقسم إلى نمطين : أولهما تكون فيه الشخصية منطقية فى أفعالها ، وصفاتها واضحة المعالم والاتجاهات . أما النمط الثانى فتتسم فيه الشخصية بعدم المنطقية والتعقيد ، ويتوافر فيها عنصر التوقع حيناً والمفاجأة حيناً آخر (٣) . وفى روايتنا نجد شخصية البطل تتنامى وفقاً لتطور الأحداث ، فهو فى البداية ذلك الطفل المدلل الذى تلبى الأسرة له جميع احتياجاته ؛ فينمو مكتسباً بعض الصفات السلبية كعدم المبالاة

(١) فراموشم مكن ، ص ٢٤٠ .

(٢) سيروس شميسا (دكتر) : انواع ادبى ، تهران ، جاب بنجم ، ١٣٧٦ ش ، ص ١٦٣ .

(٣) محمد غنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث ، ص ٥٢٩ : ص ٥٣١ .

بأهمية العمل ، اعتماده التام على والده ، عدم تحمله أية مسئولية مما أفضى فى النهاية إلى عدم استمرار زواجه الأول أكثر من عامين ، وعلى أثر ذلك يقرر السفر إلى الخارج على أمل تحقيق طموحاته وآماله التى أخفق فى تحقيقها داخل بلده ، إلا أن البداية لم تكن موفقة كما كان يتوقع ، فنجده ينغمس فى ملذات الغرب إلى أن يتزوج من كيت وينجب طفلته سوزان ، ومن هنا تبدأ الأحداث فى التطور وتتفاقم إلى أن نرى تغييراً ملموساً فى شخصية البطل فنراه رجل الأعمال الناجح ، إلا أنه يظل ضعيفًا أمام زوجته الأوربية ، متمسكًا بها رغم كل ما لديها من عيوب جوهرية . وفى تطور مفاجئ للأحداث وعلى أثر صدمته فى زوجته ومعرفته بعدم أبوته لسوزان نراه حينًا فى الشخصية المنكسرة ، وحينًا آخر فى الشخصية التى تسعى للانتقام ، وبذلك كانت شخصية البطل تتنامى وفقًا لتطور الأحداث، إلا أنها كانت واضحة الجوانب من الناحية الموضوعية ، كما كانت جميع مواقفها لها ما يبررها فى محيط القيم الاجتماعية التى تتفاعل معها.

بالإضافة إلى ذلك ، كانت هناك شخصيات أخرى ثانوية أجادت الكاتبة فى ربطها جميعًا برباط واحد يوحد اتجاه القصة إلى ما ترنو إليه وتدعم فكرتها الأساسية ، وكان لكل شخصية رسالة معينة تؤديها وفقًا لرؤية الكاتبة ، وتسير فى إطار يوضح الحالة المعيشية للبطل ، ويؤثر فى كثير من الأحيان على ردود أفعاله وتصرفاته . وقد لجأت الكاتبة فى البداية إلى الطريقة التحليلية فى وصف الأشخاص ؛ حيث ترسمها من الخارج موضحة حالها وأسلوب حياتها ، وذلك لإعطاء أكبر قدر من المعلومات للقارئ حول هذه الشخصية ، فعلى سبيل المثال يصف البطل والده فى بداية القصة قائلاً:

"على الرغم من كونه في مرحلة الكهولة ، إلا أنه يحتفظ بحميته القديمة ، فهو يتكئ على عصاه في صلابة ، ويقول في نبرة يحكم عليها الجد : لتكن رجلاً يا ولدى ، تغلب على همك وحزنك ، وانتظر ما هو سيئ، فمن العار علينا أن يلزم رجالنا الدار بسبب كثرة المشاكل " (١) .

فالكاتبة هنا ترسم لنا شخصية الأب ، فقد بلغ مرحلة الشيخوخة إلا أنه لا يزال يحتفظ بقوته وشهامته ، يرفض الخنوع والاستسلام أمام مصاعب الحياة.

وفي موضع آخر يصف أرسلان زوجة أبيه بقوله : " كانت على قدر كبير من الإيمان والعفاف .. شملتني بحبها وحنانها ، وعلى الرغم من عدم توافق أخواتي معها إلا أنها كانت تتسم بالجلد والصبر ، وتتفهم أن مثل هذا من موقفهن أمر طبيعي " (٢) .

وهنا توضح لنا الكاتبة السمات العامة لزوجة الأب التي تولت رعاية الطفل أرسلان ، فكانت له – بما تتمتع به من صفات – نعم الأم والمعين في جميع الأزمات .

إلا أننا نجد الكاتبة بعد قليل تنحي الطريقة التحليلية في وصفها للشخصيات جانبًا ، وتترك الشخصية لتعبر عن نفسها وتكشف عن أفكارها من خلال تصرفاتها وأقوالها . وبوجه عام نجحت الكاتبة في رسم كل شخصية وفقًا للدور المرسوم لها في القصة ، وبما يتناسب وطبيعتها ، وكان نجاحها أكبر في رسم شخصية البطل عن طريق إحكام تصوير الخطوط العريضة لشخصيته ثم التغلغل في نفسه لعرض

(١) فراموشم مكن ، ص ٥ .

(٢) فراموشم مكن ، ص ٦ .

ما يعتمل في صدره ويدور في عقله ، وبهذا تمكنت من اكتساب عطف القارئ الوجداني معه .

الصراع :

إن مجموعة الأحداث المتتالية في الرواية بشكل متسلسل ومنطقي تفضي في سيرها – ونتيجة إلى تطورها – إلي خلق ما يسمى بالصراع . وقد يكون هذا الصراع بين شخصين أو بين الإنسان والطبيعة أو بين الإنسان ونفسه (١) .

وفي روايتنا نجد نوعين من هذا الصراع ، أولهما صراع الشخصيات الذي تمثل بين البطل وأبيه تارة،وبين البطل وزوجته الأوربية تارة أخرى ؛ فالبطل كان معارضًا دومًا لفكر أبيه وأسلوب مواجهته للأحداث ، يشعر بقسوته عليه ، يرفض الانصياع لأوامره ؛ لذا نستشف في أحد المواضع مدى عدم التجانس بينهما وعدم اجتماعهما على رأي قط في قول أرسلان لأمه : " اون كه آبش بامن توى يك جوى نمى ره " أي ذلك الذي لا تجرى مياهه معي في مجرى واحد ، وعليه فقد كان لقاؤهما يعبر دومًا عن اختلاف وجهتي النظر بينهما .

أما الشخصية الثانية التي بلغ الصراع معها ذروته كانت كيت الزوجة الأوربية لأرسلان ؛ فاختلاف العادات والتقاليد والثقافة والفكر خلق بينهما ما يسمى باصطدام الحضارات ، وكان حوارهما معًا ينم

(١) سيروس شميسا : انواع ادبى ، ص ١٦٠ .

دومًا عن وجهات النظر المتضادة ، فأرسلان يحاول جاهدًا التمسك بقيمه وأصالته الشرقية ، وكيت تمنحها عاداتها الغربية حرية بلا حدود ، وتعتبر سلوك أرسلان ما هو إلا تخلف فكرى بعيد كل البعد عن الحضارة والمدنية الحديثة.

أما النوع الثانى من الصراع ، والذى يعتبر من وجهة نظرى أشد وأعمق تأثيرًا فى روايتنا ، هو ذلك الصراع الذى كان يدور بين البطل ونفسه ؛ فرغم معارضته لوالده إلا أنه كان يشعر فى قرارة نفسه أن الوالد على صواب ، وقد تخلى فى بلاد الغربة عن قيمه وأخلاقه الشرقية بعض الوقت ، فارتاد صالات القمار ، واحتسى الخمر ، وساير زوجته فى حضور الحفلات ، إلا أنه كان يلوم نفسه كلما اختلى بها ويشعر أنه حاد عن جادة الصواب . وبعد مفاجأته بالصدمة التى كادت أن تعصف به وهى اكتشافه خيانة زوجته له مع أقرب أصدقائه ، وأن سوزان ليست ابنته ، نجده لا يلقى باللوم إلا على نفسه فقط بسبب ثقته العمياء التى منحها لمن حوله وعدم تريثه فى اختيار الزوجة المناسبة ، فقد كانت المسافة بينه وبين كيت كالمسافة التى بين الأرض والسماء على حد قوله ، وعليه فنحن نلاحظ دومًا انفراد البطل بنفسه وتأنيبه لها على ما تم من أحداث ، موضحًا أن المتسبب الأول والرئيسى فى أية كارثة حلت به هو أرسلان نفسه وليس أى شخص آخر.

اللغـــة :

اللغة هى الأداة التى يصوغ بها الكاتب أفكاره ، ويجسد بها أحداث قصته ، وإذا ما تحدثنا عن اللغة فى الفن القصصى فسنجد أن

الأمر أكثر صعوبة من الحديث عنها فى الشعر مثلاً أو فى المسرح ، فاللغة فيهما ذات طبيعة واحدة يعبر بها الناظم أو الكاتب عن ذاته ، لكن الأمر مختلف فى القصة ؛ حيث يحاول الكاتب أن يوهم القارئ – فنياً – بأنه يقدم له شريحة حية من الحياة الواقعية لشخصيات بعينها فى زمان ومكان محددين ،والكاتب مطالب هنا بأن يكون أميناً حين يجعل أبطاله يتكلمون ؛ لأن لغتهم يجب أن تعبر عن الواقع الخاص الذى يعيشون – فنيًا – فى إطاره (١) . فضلاً عن ذلك فإن اللغة فى القصة ليست ذات مستوى واحد ، بل ذات مستويين مختلفين هما السرد والحوار ، وقد اعتمدت الكاتبة على أسلوب السرد المباشر مستخدمة صيغة المتكلم رغم عدم كونها فرداً من أفراد القصة ،ولعلها رغبت من وراء ذلك أن تخلق جواً من الألفة والصدق بين القارئ وبين شخصية البطل ، إلى حد جعلها تلجأ فى بعض المواضع إلى توجيه البطل خطابه للقارئ فى عبارات مباشرة ، مثل :

أتعلمون ما هى مشكلتى ؟!

أتريدون الحقيقة ؟!

لعلكم لا تصدقون!

أصدقكم القول .

إلا أننا نجدها فى نهاية القصة ،وتحديداً فى الفصول الثلاثة الأخيرة تستخدم ضمير الغائب ، ولعلها عمدت إلى ذلك كى تتمكن من تحليل شخصيات القصة والنفاذ إلى أعماقها وتحليل تصرفاتها وردود

(١) طه وادى (دكتور) : لغة الفن القصصى ، مجلة القصة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، العدد ٧٨ ، سنة ١٩٩٤ م ، ص ٢٣ ، ص ٢٤ .

أفعالها وما يجرى بينها من صراع بحرية تامة . وقد سار أسلوب السرد لديها بإيقاع يتناسب وتطور الأحداث داخل القصة .

بالإضافة إلى ذلك ، لجأت الكاتبة كثيراً إلى استخدام الحوار كى تعبر به عما تفكر فيه كل شخصية داخل عملها الأدبى . وقد أجادت فى استخدامه بما يساهم فى تطور الأحداث وكشف جوانب من شخصياتها، وجعلت الحوار يتناسب ووضع الشخصية الثقافى والاجتماعى والفكرى ، فحين يتحدث الأب – وفائى – نلمح الشخصية الجادة الصارمة الحكيمة فى جميع تصرفاتها وأفعالها ، فنراه يقول لابنه بعد تجربة الطلاق الأولى :

" لتكن رجلاً ، ولتأخذ درسًا من كل مشكلة ، ارفع رأسك ، لا تدع إحساس الضعف يتغلب عليك ، إن دمى يجرى فى عروقك ، أنت وفائى ، وكل وفائى لا يتملكه الخوف مثلك ، اتسم بالشهامة، وعوض ما فاتك ، إننى أريد خلفًا لى ، لا أريد ابن أمه ، امض الآن ، امض وفكر مليًا ، وحينما تصل إلى نتيجة أسرع بالمجىء إلىّ " (١) .

وحين تتحدث الأم نلمح صورة الأم فى أسمى أشكالها ، فهى المضحية بنفسها من أجل أبنائها ، الملجأ والملاذ فى الأوقات العصيبة ، مثال الطهارة والعفاف ، تلجأ إلى الله دومًا عند الأزمات ، ويوضح ذلك جليًا الحوار الذى دار بينها وبين أرسلان بعد عودته من إنجلترا منكسراً جريح القلب :

– أتذكر يا أمى أنكِ لم تعاقبينى قط على خطأ قمت به .

(١) فراموشم مكن ، ص ٢٨ .

– اليوم أنت أب ، هل تستطيع أن تمس ابنتك بسوء ؟ من الأفضل أن تدخل فالهواء بارد وقد تصاب بالبرد .

ثم يصارحها أرسلان بحقيقة ما حدث له وخيانة زوجته له وطلاقها منه فتنهمر الدموع من عينها ، وتحاول التخفيف عنه وتضمه إلى حضنها فيترك أرسلان العنان لدموعه ولأول مرة في حضن أمه الدافئ ، فتشد الأم من أزره ، وتحاول أن تخرجه من حزنه ، فتقول له :

– أنت رجل وسوف تظل رجلاً ، وما يتحمله الرجل هو الألم ... فكر في ابنتك ، فهي معك ، ونحن ، والله سبحانه وتعالى .

فيهدأ أرسلان بعد حديث الأم ، ويتيقن من أن الله سبحانه وتعالى لن يتركه في محنته ، وتتوسل الأم إليه باللجوء إلى الله كي يلهمه الصبر على فجيعته (١) .

وحين تتحدث كيت – الزوجة الأوربية – نلمح أفكارها وأفكار مجتمعها فى أقوالها ، فهى لا تعبأ بمسئولياتها تجاه بيتها وزوجها وابنتها، هى إنسان حر ، والحرية – من وجهة نظرها – أن تفعل ما تريد وقتما تريد دون رقابة أو استئذان حتى من أقرب الناس لديها ، ونلحظ ذلك جلياً فى حوارها مع زوجها :

– أوه يا عزيزى ، كانت حفلة لا شبيه لها ، .. أنت تعلم مدى عشقى للحفلات والرقص والأوركسترا والموسيقى ، إنى أتساءل دوماً كيف تحيا بدون رقص أو موسيقى ؟!

(١) فراموشم مكن ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

– إننى أفهم جيداً مدى حبك للحفلات ، لكن يا عزيزتى لقد مر على زواجنا الآن تسعة شهور ، رغم ذلك لم نتناول الغذاء سوياً تسع مرات ... نحن زوج وزوجة ، لكننا ننام فى حجرتين منفصلتين ، نعيش حياتنا منفصلين تماماً ... إنك تمكثين حتى منتصف الليل خارج المنزل ، فى عاداتنا يجب أن تطيع الزوجة زوجها ، ومسئوليتها هى رعاية زوجها وأبنائها .

– أنا لا أستطيع أن أعمل فى المنزل منذ الصباح وحتى المساء كالخادمة التى لا تتقاضى أجراً ... نحن زوج وزوجة ، ولكن لا يجب أن يتدخل أى منا فى شئون الآخر ، أنا لا أفهم شيئاً عما تتحدث عنه ، لمَ يجب أن تعيش المرأة أسيرة الرجل ؟ أنا لا أقبل أن تكون المرأة فى قيد الرجل ، تقوم بتلبية احتياجاته فقط ، أعتقد أن الزواج فى عرفكم هو الاستسلام لحماقات الرجال فقط وإنجاب طفل كل عام [١] .

بالإضافة إلى ذلك حرصت الكاتبة خلال سردها للحوار على المحافظة على الإيقاع المناسب له وتجسيد مشاعر الشخصيات ، وفقاً لمتطلبات الموقف ، فهى تصور لنا طريقة أداء الكلام على لسان الشخصية بما يفصح عن مكنونها أو عن ردود أفعالها باللحن الملائم لها . وقد تؤدى الشخصية الحوار بأكثر من لحن حسب رؤية الكاتبة ووفقاً للموقف الذى يؤدى فيه . فقد يؤدى اللحن بصورة رسمية أو بشكل جاد أو بحذر شديد أو بصيغة يغلب عليها الحزن أو بنبرة سخرية واستهزاء ، ومن البديهى أن يرتبط ذلك كله بالمؤثرات داخل العمل الدرامى .

(١) فراموشم مكن ، ص ٧٢ ، ص ٧٣ .

أما عن اللغة التى استخدمتها الكاتبة في السرد والحوار ،فنجدها تستخدم اللغة الفصحى عند السرد ، واللهجة العامية الطهرانية فى الحوار ، وذلك لكى تقترب من الواقعية ، فهى تنطق أشخاصها فى الرواية باللغة التى يتحدثون بها فى الحياة اليومية . ونلاحظ فى استخدامها للغة الفصحى اختيارها للجمل البسيطة القريبة من ذهن القارئ ، كما كانت لغة الحوار مناسبة تمامًا للشخصيات التى جرى على لسانها ، وساهمت بشكل كبير فى تصوير المشاهد على النحو الذى يكشف القارئ عن الصراع الدائر بين الشخصيات الممثلة لطرفى هذا الصراع أو فى تصوير الجو العام للموقف .

ومن الملاحظ فى اللغة التى استخدمتها الكاتبة أنها بعدت إلى حد ما عن استخدام الألفاظ الأجنبية ، فكان إيراد مثل هذه الألفاظ نادراً للغاية رغم وقوع معظم أحداث القصة فى بلد أوربى ، ورغم أن اثنين من شخصياتها كانتا أوربيتين – كيت وفرانك – وفى المقابل نجد استخدام الألفاظ العربية بشكل يثير الانتباه ، فقد أوردت الكاتبة الكثير من الألفاظ العربية ، وسوف أشير هنا إلى بعض منها ، وخاصة إلى الألفاظ التى يمكن إيجاد المقابل الفارسى لها فى يسر وسهولة، إلا أننا نجد الكاتبة فضلت استخدام اللفظ العربى وأوردته على لسان أبطال روايتها:

بى وقفه ←— هميشه – هموارِه	حجره ←— مغازه
مسبب ←— انگيزه	شئوناتم←— كارهايم
اسم ←— نام	بيدى ←— بادستم
قلبى ←— دلى	ضاربين ←— زنند كان
بناى قديمى ←— ساختمان كهن	متبسم ←— خندان
صبور ←— برد بار	والدينم ←— پدر ومادرم
تجربيات ←— آزمونها	مردد ←— دو دل

كما أكثرت الكاتبة من استخدام أكثر من كلمة عربية فى الجملة الواحدة على النحو التالى :

– تربيت من أميخته از صبر وحوصله، او وغرور وتعصب يدرم شد. ص٧

– باكمال ميل منتظرم ! معطلم نكنى . ص ٤٤

– براثر ضربات مكرر متورم ودرد ناك كشته بودند . ص ٤٥

– نون مملكت غريب خوردنش كراهت داره بركت نداره . ص ٥٧

– اوه ! جه سعادت غير مترقبه اى ! ص ١٢٠

ولعل الإفراط فى استخدام المرادفات العربية لدى الكاتبة يرجع إلى أن الثورة الإسلامية فى إيران قد جعلت الاهتمام باللغة العربية – لغة القرآن الكريم – أحد أهدافها الرئيسية ، وعليه حرص الأدباء الإيرانيون بشكل عام على تضمين مؤلفاتهم الأدبية بالعديد من المرادفات العربية ، بل وأصبحوا يفضلون استخدام اللفظ العربى على نظيره الفارسى ، وهذا ما شاهدناه سالفًا فى روايتنا موضع الدراسة .

الصور الجمالية :

أما عن الصور الجمالية فكانت كثيرة فى روايتنا ، فنظراً لحس المرأة المرهف حرصت الكاتبة من حين لآخر على إدراج بعض الصور البلاغية التى تساهم فى إظهار رؤيتها الخاصة تجاه حدث معين أو لتوضيح الحالة النفسية لشخصية بعينها . ومن هذه الصور نجد استخدامها التشبيه بكثرة لإبراز فكرة ما أو لتوضيح إحساس ما فى

أعماق الشخصية ، فعلى سبيل المثال نجدها تشبه الأحداث والذكريات التى تتداعى فى خيال البطل بشريط فيلم سينمائى يمر أمام عينيه لقطة وراء أخرى (ص٢) . وفى موضع آخر تشبه أصدقاء أرسلان الذين كانوا يلتفون حوله بسبب ما لديه من إمكانيات مادية بالذباب الذى يجتمع حول الحلوى (ص٩) . وفى موضع ثالث تشبه الأب - وفائى - بالبنجر الأحمر تارة وبالأسد المزمجر تارة أخرى للدلالة على شدة الغضب بداخله (ص٢٦) . وأحياناً تشبه الحياة بالنسبة لأرسلان بالحصار الذى يتأذى من ضيقه ، بينما تشبه أرسلان نفسه بالطائر الذى يرغب فى التحرر من ضيق هذا الحصار والانطلاق عبر الفضاء الواسع (ص٣٦) . وفى موضع آخر تشبه أرسلان فى عشقه لكيت بأحد عباد الشمس ، وذلك لتدلل على شدة عشقه لها وولهه بها (ص٦٨) .

وأحياناً تستخدم الكاتبة أسلوب الكناية فى الجملة للدلالة على معنى خاص ، فتقول على لسان أرسلان : " التاجر الذى كان يذهب لعقد الصفقات لم يكن يعود خالى الوفاض " . (ص ٧٧) .

وفى حديثه هذا كناية عن التوفيق الذى كان يحالفه فى أعماله دوماً ، وتقول فى موضع آخر على لسانه أيضاً : " وبعد انتهاء كل حفل كان يوغزنى ضميرى الوسنان ويؤنبنى على موت أصالتى ، وكنت أحاول الهروب من نفسى ، مما كنت فيه ، ومما أكون ، وكنت أقول لنفسى لعله غداً ، لكن الغد كان كالأمس ، والأمس كاليوم ، كنت أسير فى دوامة الإفرنج المليئة بالأمواج وأغرق دون أن أطلب مساعدة المنقذ " . (ص٨١).

وهذا من حديث البطل تصوير يريد أن يعبر من خلاله عن عدم رضائه عن الواقع الذى يعيشه فى بلاد الغربة ، ويصور مدى تخبطه فى

مجتمع غريب عنه ، واستسلامه دون وعى للمبادئ التى تتنافى وأصالته الشرقية .

كما أكثرت الكاتبة من استخدام التضاد ، وذلك لتأكيد المعنى وإبرازه وتوضيح الفكرة التى ترنو إليها ، تقول :

تو تفاوت خوب وبد رامى دانى . (ص ٣٩) .

بمعنى " أنت تعلم الفرق بين الحسن والسئ " .

فكر كردم او خوشبخت است وبدبخت منم . (ص١٠٤) .

بمعنى " اعتقدت أنه حسن الفأل وأنا سئ الطالع" .

فرانك در جريان كوجكترين تابزركترين مشكلات ما بود . (ص ١٠٩) .

بمعنى " كان فرانك متواجدا فى أبسط مشاكلنا وأعظمها " .

به خاطرش سرماى سيبرى وكرماى استراليا رابه جان خريدم. (ص١٦٦)

بمعنى " من أجلها تحملت برودة سيبريا وحرارة أستراليا" .

ديكر شكم به يقين مبدل شد . (ص ٢٦٧)

بمعنى " ثانية تحول شكى إلى يقين " .

ورغم استخدام الكاتبة لمثل هذه الصور الجمالية ، إلا أن استخدامها لها لم يكن من منطلق التزين اللفظى ، وإنما كان فى إطار الهدف الاجتماعى للقصة ، وبعدت تماماً عن استخدام الأسلوب الخيالى لعدم احتمال موضوع القصة له.

" الخاتمة "

عرض هذا البحث الترجمة العربية كاملة لرواية فراموشم مكن – لا تنسني – وذلك في القسم الأول منه ، ثم تناولت في القسم الثاني موضوع القصة بالدراسة والتحليل ابتداءً من الفكرة والبيئة والشخصيات والأسلوب وما إلى ذلك من عناصر القصة المختلفة . وفي نهاية البحث يمكننا القول بأن الكاتبة تمكنت – إلى حد كبير – من توصيل الهدف الذى من أجله صيغت الرواية في إطار عمل أدبي جيد صور إحدى مشكلات مجتمعها . فالكاتبة أرادت من خلال هذا العمل أن تقدم إحدى الشرائح الموجودة داخل مجتمعها ، وهي شريحة الشباب المنساق وراء تيار الإفرنج ، وتمثل ذلك في تجسيدها لشخصية البطل – أرسلان – ولما اعتدنا على أن المرأة في الغالب الأعم لا بد لها وأن تعبر عن قضاياها ، كانت الدهشة في البداية من كونها جعلت من بطل قصتها رجلاً تتحدث بلسانه وتعبر عن مشاعره وأحاسيسه في المواقف المختلفة، لكن سرعان مازالت هذه الدهشة بعد ما اقتربنا أكثر من الهدف الذى ترنوه الكاتبة .

فالكاتبة ترفض فكرة الاغتراب عن الوطن ، وما ذكرته خلال تنامي شخصية البطل وتغيرها من حالٍ إلى حال بعد سفره إلى إنجلترا يدلل على ذلك بوضوح .

والكاتبة ترفض أيضًا فكرة الزواج من أجنبيات ، وكان تصويرها للمرأة بما يؤكد تلك الفكرة ؛ فقد صورت المرأة الإيرانية تارة في صورة الأم المضحية ، المؤمنة ، العفيفة – زينت – وتارة أخرى في صورة الزوجة المخلصة الوفية لأبعد مدى حتى وإن جار عليها زوجها

– جيتى– وإن كنا قد لمسنا أن إحداهن قد شذت عن هذه القاعدة – ثريا – التى تخلت عن زوجها ، إلا أننا نجد لها ما يبرر هذا من موقفها ؛ فهى زوجة تطالب بأبسط حقوقها المشروعة فى أن تكون أمًا ، توهمت خداع زوجها لها فأبت ذلك وطالبته بالطلاق .

أما المرأة الأوربية فقد صورتها الكاتبة فى إطار سلبى على الدوام، فهى امرأة متحررة لأبعد مدى ، ترتاد صالات القمار ، تحتسى الخمر ، تواظب على حضور الحفلات ، تخالط الرجال ، عدمت القيم والمبادئ ، تقدم على الخيانة . وقد رغبت الكاتبة فى إيرادها لهذا النموذج ، وأن تؤكد لشباب بنى جنسها أنه لا خير إلا فى المرأة الإيرانية التى تتمسك بأصالتها وقيمها ، ولا تحيد عنهما مهما كانت الدوافع والأسباب .

ونحن نرى أن الكاتبة قد وفقت إلى حد بعيد فى عرض فكرتها ورسم شخصياتها وإبراز كل منها بشكل معين لتؤدى الدور المرسوم لها فى القصة دون أن تشعر القارئ بوجودها خلف تلك الشخصيات ؛ فقد ظلت كل شخصية طوال العمل الدرامي ذات كيان مستقل ، تعبر عن ذاتها ، وتنطق بما يتناسب ودورها .

كما وفقت الكاتبة أيضًا فى اختيار العنوان المناسب لقصتها ، فقد أجمع النقاد على أن يكون العنوان مثيرًا للفكر جاذبًا للانتباه ، ذا وقع جميل على الأذن ، قصيرًا قدر المستطاع ، يتماشى وموضوع القصة على ألا يوضح كل شىء فيها (١) .

وقد جاء عنوان القصة متوافقًا إلى حد كبير مع هذه المواصفات الفنية ، فهو جملة قصيرة منهية مكونة من فعل وفاعل ومفعول ، ولكنها

(١) إبراهيم نويسى : هنر داستان نويسى ، تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهى ، ص ٩٩ ، ص ١٠١ .

عبارة عن فعل مركب منهى ألحق به ضمير المفعولية للمتكلم المفرد (م) وعليه فقد جاء جاذبًا للانتباه موحيًا بموضوع القصة ، كما أنه جاء معبراً تمامًا عن هدف الكاتبة ، فالعنوان – فراموشم مكن – هو الكلمة الأخيرة التى وردت على لسان البطل فى نهاية القصة إلى زوجته الأولى – جيتى – وكأنه إشارة من الكاتبة إلى أن الزوجة الإيرانية كانت هى الملجأ والملاذ الأخير للبطل بعد رحلة المعاناة الطويلة ، فأراد فى النهاية أن يعود إليها ، بل وينصهرا سويًا حتى لا تستطيع أن تنساه من بعد .
وعلى هذا النحو نجد أن الكاتبة قد حالفها التوفيق فى عرض رؤيتها الخاصة فى إطار الشخصيات المناسبة ضمن عمل أدبى جيد وفن صادق .

" المعجم اللغوى للمصطلحات العامية فى الرواية"

" المعجم اللغوى للمصطلحات العامية فى الرواية "

آب دهان دركلو كيركردن: توقف الريق فى الحلق ، كناية عن الرعب والفزع.

آنـــــــــى : مؤقت ، فورى ،

آهـــــــان : نعم ، أجل ،

بى خـــيــالى : عدم القلق – عدم الاكتراث .

بى خـيـالى جـوانـى : رعونة الشباب .

بـى ســـــروبـا : بلا رأس ولا قدم، عاجز، فقير، وضيع، حقير .

بــــج بــــج : همس ، نجوى .

يـرنـده بـرنمـى زد : لم يكن طائر يخفق بجناحية، كناية عن الهدوء التام .

بســـــتــــو : حجرة صغيرة – صندرة .

بشت سركسى درآوردن : اتهام شخص فى غيابه أو نسبة عمل زو قول مشين إليه .

يـــــــك : نفس ،

يـكـر شـــــدن : اليأس ، الحزن ، الحيرة ، الدهشة .

تـاب تـاب كـــردن : الطبطبة .

تجــــــديـدى : مادة تخلف فى الجامعة أو ملحق فى المدرسة .

تـــــريـــــا : كافيتريا .

تشـــويـف كـــردن : يطالب .

تـــكـــايـــو : السعى . الدأب ، الانشغال ، المجىء والذهاب بعجلة .

تـــــــك روى : الانفرادية .

تـلوتـلو خــــوردن : التمـايل يمينًا ويسـاراً أثناء السـيـر على أثر السكر أو الضعف.

تن به كـــــار دادن : السعى فى أثر العمل أو الانهماك فيه .
توسرى خوردن يازدن: القمع ، الكبت ، الذل ، المهانة ، الاضطهاد.
تـــــــــــوى : فى .
توى مردم أبروداشتن: امتلاك القيمة أو الكرامة أمام الناس .
جـــا گـــذ اشتن : ترك الشىء فى المكان عمداً أو سهواً .
جامهء عمل بوشيدن : تنفيذ الشىء .
جــــال كــــردن : الحفر ، الدفن ، الكسب فى القمار .
چشم ديدن كـــسى عدم الرغبة فى رؤية شخص ما ، كناية عن
رانــــداشــــتن : الكراهية الشديدة لشخص ما .
چهار چشمى نگر يستن: النظر من جميع الزوايا ، كناية عن التفحص بدقة.
جـــى جـــى : ماذا " للتعجب " .
حـــاشـــا كـــردن : الإنكار .
حـــرص خـــوردن : الغضب ، الضيق .
حـسرت بدل مـاندن : الشعور بالحسرة نتيجة لعدم التوصل إلى هدف ما.
حـــــواس برتـى : التشتت ، الاضطراب .
حـوصله سـرنره : عدم الضيق ، عدم نفاذ الصبر .
خـســـارت ديده : الخاسر ، المغبون ، المتأذى .
خط ونشـان كشـيدن : الخط ، المحو ، كناية عن التهديد الأجوف .
خـــفـــه شـــو : اخرس .
خُـــــــــل : مجنون ، مختل .
خـنـك خـــــدا : أبله ، معتوه .
خـــــود رازدن : تجاهل العارف بالشىء .

خیابان را متر کردن : التجول أو السير في الشوارع .
داغـــون شــــدن : التبعثر ، التفرق ، كناية عن الاستياء الشديد .
در بـوسـت خــــود عدم احتواء الجلد لشخص ما ، كناية عن شدة
نگـنجـــيــــدن : الفرح .
در لفـافـه حـرف زدن : الحديث همسًا أو غمزًا .
دست از سركسی برندا شتن : عدم ترك الشخص لحاله .
دست از سركسی دا شتن : الكف عن مضايقة شخص ما .
دســــبـــــاچه : متعجل – متسرع – مرتبك .
دســت ازيـا درازتــر : كون اليد أطول من القدم ، كناية عن الإفلاس .
دست كم كسی گرفتن : عدم العناية بشخص ما .
دست وپا گم كـــردن : فقدان اليد والقدم ، كناية عن التعرض لكارثة ، فقدان الوعي ، الارتباك الشديد .
دست ودلبـــــازی : سعة الأفق ، بشاشة الوجه ، الجود .
دلـهـــــــــره : اضطراب .
دل وايس شــــدن : القلق ، الاضطراب ، الانتظار المصاحب بالخوف .
دم بـــــخــــت : من بلغت سن الزواج .
دنــدان شــكــنـــی : قاطع ، بلاترديد .
دهان كسی بازمـاندن : فتح أحد لفمه ، كناية عن الدهشة والحيرة .
دور كـــسی گـــرديدن : التضحية في سبيل شخص ما .
رگخـواب كسی بدست الوقوع تحت السيطرة ، كناية عن معرفة نقاط
افـــــتـــــادن : الضعف .
رو دربايســــتی دار : يتحرج منه ، يتكلف له .

رودست خـــــوردن : الانخداع .

زندگى بر زرق وبرق : الهيلمان ، الأبهة ، العظمة .

زيـــــكَــــول : متعيش على حساب النساء العجائز منهن خاصة .

ســـبك شــدن : الشعور بالذلة والاستخفاف .

ســربراه شــدن : التميز بالأدب والاستقامة.

ســـردر آوردن از : الفهم ، الإطلاع .

ســر دركَـــمى : الحيرة ، الدهشة .

سركسى را كلاه كَذاشتن : إلباس أحد الطاقية ، كناية عن خداع شخص أو الضحك عليه.

سـركـيسـه كـردن : أخذ المال من شخص بالحيلة.

ســـرنخى را دادن : تقـديم أول الحـبل ، كناية عن مـعـرفـة بداية الموضوع أو أصله.

سنكَ راتمام كَذا ردن: تقديم العون التام ، الاحترام الشديد .

شــــرط بـسـتن : المراهنة ، القرار ، التعهد.

شكر آب شدن ميان دوكسى : حدوث فجوة أو خلاف بين شخصين .

صـــا دقـــانه : بأمانة .

ضــربه نوش جـان : ضربة مبرحة شديدة الألم .

طـفـــــره رفـتن : التملص ، التكوص.

غــــرغــــرو : كثير الهمهمة والشكوى.

فـوت وفن كـاررا آمـوختن : تعلم دقائق الصنعة.

قـــد ونيم قـــد : الصـغـيـر والكبـيـر ، أولاد من منزل واحـد متقاربون في السن.

قـــربان كـــسى برم : أنا فداء فلان .

قند توى دل آب شدن : إذابة السكر فى قلب أحد ، كناية عن الفرح إلى ما لانهاية .

كاركسى را راه انداختن : تسهيل أعمال أحد .

كـــــثـــــيـف : قذر ، دنس .

كسى را تحويل كَرفتن : إبداء الاحترام لشخص ما .

كـلـفـت كـــــردن : التحدث مع أحد بغلظة .

كـــــــوچـــولـو : طفل صغير السن .

كَـــــــب زدن : الثرثرة .

كَــــــــشــنـه : جائع .

كَلى به جـــمــــالت : ورد على جمالك ، تقال عند المدح أو السخرية .

لات آســـمـــون جُل : فقير، معدم، من لا يملك شيئًا من حطام الدنيا.

لجـــــبــــــازى : عناد ، خصام .

مـــــأمــــور : مكلف .

مـــــجــــاز : مهذار .

مــــرور كــــــردن : إلقاء نظرة إجمالية على شيء ما .

مـــــشــــخص : متميز .

مــــوشى مـــردكَى : موت الفأر ، كناية عن إظهار الذلة والمسكنة .

مـــــــيـكَـرن : صداع نصفى .

نـاســــــلامـــــتى : مرض، تقال عند إعلان عدم الرضا عن أى شيء.

نـدانم كــــــــار : سئ التصـرف ، لا علـم له بشـىء ، متـصـرف خبط عشوائى .

نــــــــــــق زدن : الغمغمة غضباً .
نــــقــــلـــــى : ظريف وصغير .
نهــيب زدن بركــسى : الصراخ فى وجه أحد.
نـــيـــــش زدن : اللدغ باللسان .
هفت تاكفن بوسـاندن : مرور فترة على وقت الموت .
هيـــجـــــان : انفعال .
واســـــتــــادن : معاودة الوقوف .
واســـــــــــه : من أجل ، بسبب .
وجــــــــــــدان : ضمير ، شعور .
وروجـــــــــــك : طفل شنقى .
ول كَـــــــــشــتن : سير أحد هائماً مضطرباً .
يـكـه خـــــــــوردن : الاندهاش الشديد الذى يدفع إلى حركة تلقائية.
يـــكـــى يــك دونـــه : الابن الوحيد .

ثبت بأسماء المراجع

أولاً : المراجع العربية :

١- طه وادى (دكتور) : لغة الفن القصصى ، مجلة القصة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، العدد ٧٨ ، سنة ١٩٩٤م .

٢- محمد عنانى (دكتور): الأدب وفنونه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩١ م .

٣- محمد غنيمى هلال (دكتور) : النقد الأدبى الحديث ، نهضة مصر للطباعة والنشر .

٤- محمد قطب عبد العال : الذات والموضوع ، قراءة فى القصة القصيرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .

ثانياً : المراجع الفارسية :

١- إبراهيم نويسى : هنر داستان نويسى ، تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهى .

٢- سيروس شميسا (دكتر) : أنواع أدبى جاب بنجم ، تهران ١٣٧٨ ش.

٣- مريم جعفرى: فراموشم مكن جاب أول ، تهران ١٣٧٨ ش .

ثالثاً : المعاجم اللغوية :

١- إبراهيم الدسوقى شتا : المعجم الفارسى الكبير، القاهرة ١٩٩٢ م .

٢- رضا نزاد ، منصور ثروت : فرهنك معاصر .

المحتويات

القسم الثاني : الدراسة التحليلية النقدية للرواية

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ - مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لوسى سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ - السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ - نقد استجابة القارئ	چين . ب . تومكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ - صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ - العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ - شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ - الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ - مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ - مختارات	غوتفريد.بن	ت : خالد المعالى
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ - طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ - نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ - الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ - الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ - وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ - محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ - الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ - مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ - هوية فرنسا (المجلد الأول)	فرنان بروديل	ت : بشير السباعى
٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ - تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ - مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ - السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه أياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ - أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ - الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ - صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
١٠٩ – حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢–نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣–الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيتل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ – فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ – قضايا التنظير في البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف اليمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أتبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لوريتزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرْج علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – ساحت نامه إبراهيم بك جـ١	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو – أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازار	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ – شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماريديا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١)	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ - رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ - الكشف عن حافة الزمن	جون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ - الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ - الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ - السيدة بربارا	رومولو جالاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ - ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ - الچينات الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ - من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ - الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وابيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ - السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ - هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ - سياحت نامه إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ - الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ - الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ - ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ - علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ - المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ - المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريـوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالاپارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خايير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	آ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج١)	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	ديليو. إيوجين كليتباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامى صلاح
٣٣١ - عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت : سامية دياب
٣٣٢ - رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٣٣ - الإسلام في بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ - لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمى
٣٣٥ - عصر الشك	ناتالى ساروت	ت : فتحى العشرى
٣٣٦ - متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ - فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٣٨ - نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ - تاريخ الأدب في إيران جـ٢	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ - اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٣٤١ - قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٣٤٢ - سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ - العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ - الموت في الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ - الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ - سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٣٤٧ - الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٣٤٨ - المتصوفة الأولون في الأدب التركي جـ١	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ - بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٣٥١ - مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٥٢ - قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٣٥٣ - الفن الإسلامي في الأندلس (هندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٤ - الفن الإسلامي في الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٥ - التيارات السياسية في إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٥٦ - الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعى
٣٥٧ - متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ - أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازى السيد
٣٥٩ - محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشارونى
٣٦٠ - أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشربينى
٣٦١ - التصحر : التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢ - تلميذ بايتبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ - حركات التحرر الأفريقي	ريتشارد جيبسون	ت : صبري محمد حسن
٣٦٤ - حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ - سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ - نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد

٣٦٧ – القلم الجرىء نخبة ت : البرّاق عبد الهادى رضا
٣٦٨ – المصطلح السردى جيرالد برنس ت : عابد خزندار
٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ فوزية العشماوى ت : فوزية العشماوى
٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية كليرلا لويت ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢ محمد فؤاد كوبريلى ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ – عاش الشباب وانغ مينغ ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه أمبرتو إيكو ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ – اليوم السادس أندريه شديد ت : حمادة إبراهيم
٣٧٥ – الخلود ميلان كونديرا ت : خالد أبو اليزيد
٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين نخبة ت : إدوار الخراط
٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤ على أصغر حكمت ت : محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ – المسافر محمد إقبال ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ – ملك فى الحديقة ستيل باث ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ – حديث عن الخسارة جونتر جراس ت : شيرين عبد السلام
٣٨١ – أساسيات اللغة ر. ل. تراسك ت : رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ – تاريخ طبرستان بهاء الدين محمد إسفنديار ت : أحمد محمد نادى
٣٨٣ – هدية الحجاز محمد إقبال ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال سوزان إنجيل ت : إيزابيل كمال
٣٨٥ – مشترى العشق محمد على بهزادراد ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى جانيت تود ت : ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧ – أغنيات وسوناتات چون دن ت : بهاء چاهين
٣٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى سعدى الشيرازى ت : محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر نخبة ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٩٠ – الأرشيفات والمدن الكبرى نخبة ت : عثمان مصطفى عثمان
٣٩١ – الحافلة الليلكية مايف بينشى ت : منى الدروبى
٣٩٢ – مقامات ورسائل أندلسية فرناندو دى لاجرانخا ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٣٩٣ – فى قلب الشرق ندوة لويس ماسينيون ت : نخبة
٣٩٤ – القوى الأربع الأساسية فى الكون بول ديفيز ت : هاشم أحمد محمد
٣٩٥ – آلام سياوش إسماعيل فصيح ت : سليم حمدان
٣٩٦ – السافاك تقى نجارى راد ت :محمود سلامة علاوى
٣٩٧ – نيتشه لورانس جين ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٨ – سارتر فيليب تودى ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٩ – كامى ديفيد ميروفتس ت :إمام عبد الفتاح إمام
٤٠٠ – مومو مشيائيل إنده ت : باهر الجوهرى
٤٠١ – الرياضيات زيادون ساردر ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٢ – هوكنج ج . ب . ماك ايفوى ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٣ – ربة المطر والملابس تصنع الناس تودور شتورم ت : عماد حسن بكر
٤٠٤ – تعويذة الحسى ديفيد إبرام ت : ظبية خميس
٤٠٥ – إيزابيل أندريه جيد ت : حمادة إبراهيم
٤٠٦ – المستعربون الإسبان فى القرن ١٩ مانويلا مانتاناريس ت : جمال أحمد عبد الرحمن

٤٠٧ – الأدب الإسباني المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت : طلعت شاهين
٤٠٨ – معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	ت : عنان الشهاوى
٤٠٩ – انتصار السعادة	برتراند راسل	ت : إلهامي عمارة
٤١٠ – خلاصة القرن	كارل بوبر	ت : الزواوى بغورة
٤١١ – همس من الماضي	جينيفر أكرمان	ت : أحمد مستجير
٤١٢ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج٢)	ليفي بروفنسال	ت : نخبة
٤١٣ – أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت : محمد البخارى
٤١٤ – الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	ت : أمل الصبان
٤١٥ – صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت : أحمد كامل عبد الرحيم
٤١٦ – مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت : مصطفى بدوى
٤١٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث ج٥	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨ – سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية	جين هاثواى	ت : عبد الرحمن الشيخ
٤١٩ – العصر الذهبي للإسكندرية	جون ماريو	ت : نسيم مجلى
٤٢٠ – مكرو ميجاس	فولتير	ت : الطيب بن رجب
٤٢١ – الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي	روى متحدة	ت : أشرف محمد كيلاني
٤٢٢ – رحلة لاستكشاف أفريقيا جـ١	نخبة	ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٢٣ – إسراءات الرجل الطيف	نخبة	ت : وحيد النقاش
٤٢٤ – لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبد الرحمن الجامي	ت : محمد علاء الدين منصور
٤٢٥ – من طاووس حتى فرح	محمود طلوعى	ت : محمود سلامة علاوى
٤٢٦ – الخفافيش وقصص أخرى من أفغانستان	نخبة	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧ – بانديراس الطاغية	باى إنكلان	ت : ثريا شلبى
٤٢٨ – الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت : محمد أمان صافى
٤٢٩ – هيجل	ليود سبنسر وأندرزجي كروز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٠ – كانط	كرستوفر وانت وأندزجي كليموفسكى	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣١ – فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٢ – ماكيافلى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٣ – جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت : حمدى الجابرى
٤٣٤ – الرومانسية	دونكان هيث وجودن بورهام	ت : عصام حجازى
٤٣٥ – توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ت : ناجي رشوان
٤٣٦ – تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٧ – رحالة هندى في بلاد الشرق	شبلي النعماني	ت : جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨ – بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت : عايدة سيف الدولة
٤٣٩ – موت المرابي	صدر الدين عيني	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠ – قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	ت : محمد الشرقاوى
٤٤١ – رب الأشياء الصغيرة	أروندهاتى روى	ت : فخرى لبيب
٤٤٢ – حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت : ماهر جويجاتى
٤٤٣ – اللغة العربية	كيس فرستيغ	ت : محمد الشرقاوى

٤٤٤ – أمريكا اللاتينية : الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت : صالح علماني
٤٤٥ – حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	ت : محمد محمد يونس
٤٤٦ – التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	ت : أحمد محمود
٤٤٧ – نظرية الكم	ج. پ. ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٨ – علم نفس التطور	ديلان ايفانز – أوسكار زاريت	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٩ – الحركة النسائية	مجموعة	ت : جمال الجزيرى
٤٥٠ – ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا – ريبيكا رايت	ت : جمال الجزيرى
٤٥١ – الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن / بورن ڤان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢ – لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجنانزى / أوسكار زاريت	ت : محى الدين مزيد
٤٥٣ – القاهرة : إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت : حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤ – خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت : سوزان خليل
٤٥٥ – تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كوبلستون	ت : محمود سيد أحمد
٤٥٦ – لا تنسنى	مريم جعفرى	ت : هويدا عزت محمد

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٠٦١ / ٢٠٠٢

المجلس الأعلى للثقافة

تدور هذه الرواية حول بطل القصة أو الشخصية الرئيسية التى تتصل بها عدة شخصيات ثانوية وفكرة عامة؛ فنجد البطل أرسلان وفائى يمثل الشخصية الرومانتيكية التى تقع ضحية استسلامها لآمالها وتصادم هذه الآمال بالواقع المرير، وقد صورت الكاتبة هذه الشخصية تصويرًا نفسيًا حيًا دقيقًا، ولم تقدم خلال سردها للأحداث أية أحداث خيالية أو غريبة، إنما قدمت أحداثًا تمثل الواقع الحقيقى؛ فتجاوزت بذلك دلالاتها الخاصة بالقصة إلى دلالات إنسانية عامة يمكن أن يشعر بها كل من يمر بموقف مشابه.

إن الكاتبة مريم جعفرى قد وفِّقت - إلى حد بعيد - فى عرض فكرتها ورسم شخصياتها وإبراز كل منها بشكل معين لتؤدى الدور المرسوم لها فى القصة دون أن تشعر القارئ بوجودها خلف تلك الشخصيات.

تصميم الغلاف / مجاهد العزب